اقتران المفردات القرآنية المتشابهة وأثره في تحديد الدلالة

إعداد

أ.م / فاطمة أحمد السيد شتيوي

الأستاذ المساعد في قسم أصول اللغة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة

اقتران المفردات القرآنية المتشابهة وأثره في تحديد الدلالة

أ .م / فاطمة أحمد السيد شتيوي

الأستاذ المساعد في قسم أصول اللغة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة

fsheteewi1@gmail.com

الملخص :

تتعدد أوجه الإعجاز اللغوي والدلالي في القرآن الكريم ، ولا يتوقف الإعجاز الدلالي على حسن اختيار المفردة ، بل يمتد ليشمل تركيب المفردات عامة ، والمفردات المتشابهة دلاليا خاصة ، ومن أهم جزئيات المفردات المتشابهة دلاليا الألفاظ المقترنة ببعضها البعض ، فقد قرن الحقُ – سبحانه وتعالى – بين بعض الألفاظ التي يَحكم عليها البعض بأنها مترادفة ، قرنها – سبحانه وتعالى – ببعضها في آية واحدة ، بل في إثْر بعضها البعض ، ليضيف بعداً دلالياً جديدا غيْرَ الذي تفيده المفردة منفردة ، كما أن بعض المفردات تقوم مقام بعضها البعض في الكلام العام ، أما في القرآن الكريم فكل مفردة لها معنى خاصاً بها لا تقوم مفردة أخرى مكانها ، فالاقتران إنما يكون لدلالات جديدة ، وليس لتأكيد الدلالة السابقة ، وهذا الاقتران وتلك الدلالة هما المناسبان للسياق الذي له أثر كبير في تحديد الدلالة المرادة من المفردتين عند الاقتران .

الكلمات المفتاحية: الاقتران – المفردتين – السياق – الدلالة – الإعجاز – تحديد – الفرق.

The association of similar Qur'anic vocabulary and its effect on demeaning

Fatima Ahmed Al Sayed Shteiwi

Assistant Professor in the Department of Language Origins at the Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls in Mansoura

fsheteewi1@gmail.com

Abstract :

There are many aspects of linguistic and semantic miracles in the Qur'an, and the semantic miracle does not depend on the good choice of the individual, but extends to include the composition of the vocabulary general, and the vocabulary is semantically similar in particular, and one of the most important parts of the vocabulary semantically the words associated with each other, has century the right - Almighty - between some words Which is judged by some as synonymous, its century - The Almighty - in one verse, but in the excitement of each other, to add a new semantic dimension that is not useful to the individual individual, and some vocabulary is the place of each other in public speech, but in the Holy Quran all A single one has a specific meaning in which no other single takes its place, for pairing has new connotations, not to confirm the previous indication, and this association and that indication are appropriate for the context that has a great effect in determining the significance of the two individuals when pairing.

Keywords: Pairing- Singular - Context - Indication - Miracle - Identification - Difference.

بسم الله الرحمن الرحيم

أَوْجُه الإعجاز في القرآن الكريم : متعددة ، ومتنوعة ، ومن أهم مجالات الإعجاز في القرآن الكريم الإعجاز اللغوي والدلالي ، فكتاب الله هو المَعين الذي لا ينضَب ، ومن ذلك استعمال اللفظ في المكان الملائم له بحيث يستحيل وضع لفظ آخر مكانه يؤدي نفس دلالته ، حتى ولو كان اللفظان متشابهين إلى درجة يصعب على البعض تحديد الفرق بينهما ، ولا يتوقف الإعجاز على حسن اختيار المفردة ، بل يمتد ليشمل تركيب المفردات عامة ، والمفردات المتشابهة دلاليا خاصة ، ومن أهم جزئيات المفردات المتشابهة دلاليا الألفاظ المقترنة ببعضها البعض ، فقد قرن الحقُ – سبحانه وتعالى – بين بعض الألفاظ التي يَحكم عليها البعض بأنها مترادفة ، قرنها – سبحانه وتعالى – ببعضها في آية واحدة ، بل في إثْر بعضها البعض ، ليضيف بعداً دلالياً جديدا غيْرَ الذي تفيده المفردة منفردة.

فالمفردة عند اقترانها بمفردة أخرى تشابهها تفيد دلالة إضافية غيْر التي تفيدها عند الانفراد ، فالاقتران إنما يكون لدلالات جديدة ، وليس لتأكيد الدلالة السابقة.

ومن ثَم توكلت على الله وعزمت على بحث قضية اقتران المفردات المتشابهة دلاليا في الآية الواحدة ، وسَمَّيْتُه (اقترانُ المفردات القرآنية المتشابهة وأثَرُه في تحديد الدلالة)

وتكمن أهمية هذا البحث في أنه يشتمل على عدة أغراض ، الغرض الأساس ليس نقض ظاهرة الترادف في القرآن الكريم ، ولا إبراز الفروق الدلالية بين المتشابهَيْن بقدر ما هو تحديد الدلالات الدقيقة التي يفيدها

اقتران المفردات القرآنية المتشابهة ، وبيانُ أن المفرداتِ المتشابهةَ الدلالةِ التي جاءت إثر بعضها إنما جاءت لأن السياق الدلالي يتطلبها ، فالاقتران يضيف دلالات جديدة لا تضيفها المفردة الواحدة ، وأن هذا الاقتران، وتلك الدلالة هما المناسبان للسياق

فالسياق الدلالي للآية الكريمة لا يتم إلا بالمفردتين معاً ، والاقتصار على إحداهما دون الأخرى يَنْقصُ الدلالةَ المطلوبَ إيصالُها ، أي أن هناك علاقةً بين جميع المدلولات داخل السياق ، وهذا من أسرار الإعجاز، ويتضح ذلك من خلال بيان الفرق الدلالي بين المفردات المتشابهة بالإضافة إلى بيان الغرض الدلالي من الجمع بين هاتين المفردتين والوقوف على سر الجمال الدلالي في القرآن الكريم في الجمع بين مفردتين متشابهتين دلاليا ، ومن ثم الردُ على من يقول بالترادف بينهما أو أنها جاءت لتأكيد المعنى ، وبيانُ أن كل كلمة في القرآن الكريم مقصودة لذاتها دلاليا سواءً أكانت مفردةً أم مركبةً ، فليس في القرآن الكريم ألفاظ مكررة المعنى.

وقد اعتمدت في ذلك على : التأصيل اللغوي لحقيقة المفردتين ، وعلى فهم دلالتهما في مواطن ورودها في القرآن الكريم من خلال استقراء مواضع ورودهما ، وكيفية ورودهما من حيث الإفرادُ أو الاقترانُ ، متتبعةً للسياق القرآني للآية الكريمة ، متلمسةً الإيحاءاتِ الدلاليةَ والحسيةَ ، في محاولة للربط بين دلالة المفردة بشبيهتها ، ودلالتهما في سياق الآية الكريمة ، معتمدةً على أقوال العلماء في تحديد دلالة كل منهما، والفرقِ بينهما ؛ للوصول إلى الغاية من البحث ، وهي بيان أن الدلالة المرادة من الآية تتطلب ذكر المفردتين ، أي لا تقوم إحداهما مقام الأخرى في هذا السياق حتى وإن قامت إحداهما مقام الأخرى في سياق آخر، مع إظهار الدلالة التي

أضافها اقتران المفردتين ، وسرِ الجمع بينهما ، وإلقاء الضوء على السر الدلالي في تقديم إحداهما على الأخرى ، فمما لاشك فيه أن وضع كلمة قبل أخرى أمر مقصود دلاليا ، أي وُضِعَ لدلالة معينة لا تتحقق بغيره ، فأردت أن أدرس هذه القضية في ضوء الآية الواحدة في كتاب الله تعالى ، جامعةً بين أصلها اللغوي ودلالتها في الآية الكريمة وخصوصية كل لفظ من حيث الدلالة.

وقد قسمت هذا البحث قسمين : دراسةً نظريةً ، ودراسةً تطبيقيةً .

القسم الأول : الدراسة النظرية وتكلمت فيها عن:

أولًا – تعريف الاقتران في اللغة والاصطلاح.

ثانيًا – الاقتران الدلالي عند الرسول

ثالثًا – الاقتران وأثره في إكساب دلالات جديدة.

رابعًا – أثر السياق في الكشف عن الدلالات الخاصة .

خامسًا – القواعد اللغوية وأثرها في ترجيح الدلالة الخاصة .

القسم الثاني : الدراسة التطبيقية للاقتران الدلالي في القرآن الكريم ، وقد قسمتها فصلين :

الفصل الأول : الألفاظ المقترنة بالعطف.

الفصل الثاني : الألفاظ المقترنة بغير العطف.ثم أتبعت ذلك كُلَّه بقائمة من المصادر والمراجع ، ثم بفهرس للموضوعات التي اشتمل عليها البحث.

القسم الأول : الدراسة النظرية

أولًا – تعريف الاقتران في اللغة والاصطلاح.

الاقتران في اللغة : الجمع بين شيئين ، أياً كان هذان الشيأن ، قال الخليل : " والقِرانُ أن يُقارنَ بين تمرتين يأكلهما معاً " [١]، ويقول ابن فارس : " قَرَنَ : الْقَافُ وَالرَّاءُ وَالنُّونُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى جَمْعِ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ، وَالْآخَرُ شَيْءٌ يَنْتَأُ بِقُوَّةٍ وَشِدَّةٍ ، فَالْأَوَّلُ: قَارَنْتُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، وَالْقِرَانُ: الْحَبْلُ يُقْرَنُ بِهِ شَيْئَانِ، وَالْقَرَنُ: الْحَبْلُ أَيْضًا ، وَالْقَرَنُ فِي الْحَاجِبَيْنِ، إِذَا الْتَقَيَا. وَهُوَ مَقْرُونُ الْحَاجِبَيْنِ بَيِّنُ الْقَرَنِ ، وَالْقِرَانُ: أَنْ تَقْرِنَ بَيْنَ تَمْرَتَيْنِ تَأْكُلُهُمَا، وَالْقِرَانُ: أَنْ تَقْرِنَ حَجَّةً بِعُمْرَةٍ ، وَالْقَرُونُ مِنَ النُّوقِ: الْمُقَرَّنَةُ الْقَادِمَيْنِ وَالْآخِرَيْنِ مِنْ أَخْلَافِهَا، وَالْقَرُونُ: الَّتِي إِذَا جَرَتْ وَضَعَتْ يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا مَعًا، وَقَوْلُهُمْ: فُلَانٌ مُقْرِنٌ لِكَذَا، أَيْ مُطِيقٌ لَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ** ﴾ [سورة الزخرف من الآية : ١٣]" [٢]،" وقَرَنْتُ الشيءَ بالشيءِ: وَصَلْتُهُ به...واقترن الشئ بغيره ، وقارَنْتُهُ قِراناً: صاحَبْتُهُ... والقَرِينُ: المُصاحِبُ" [٣] ، فـ القَرين: المقرون بآخر، المصاحب.[٤]

---

(١) العين ٥/ ١٤٢ (ق ر ن)

(٢) مقاييس اللغة ٥/ ٧٦ (ق ر ن)

(٣) الصحاح ٦/ ٢١٨١ ، ٢١٨٢ ، لسان العرب ١٣/ ٣٣٦ ، تاج العروس ٣٥/ ٥٤١ (ق ر ن)

(٤) التعريفات الفقهية ، حمد عميم الإحسان المجددي البركتي ص ١٣٧

الاقتران في الاصطلاح : " مَعْنَاهُ أَن يردَ لفظٌ لِمَعْنى ويقترن بِهِ لفظ آخر يحْتَمل ذَلِك الْمَعْنى وَغَيرَه ، فَلَا يكونُ اقترانُه بذلك دَالًا على أَن المُرَاد بِهِ هُوَ الَّذِي أُرِيد بِصَاحِبِهِ" (١)

مما سبق يتضح أن المقصود من الاقتران الدلالي : الألفاظ المتشابهةُ الدلالةِ التي اقترنت بعضُها ببعض ، بغرض زيادة معنى على المعنى المشابه السابق.

يقول مكي : " وحمل اللفظين على فائدتين ومعنيين أَولَى من حملهما على التَّكرار بمعنى واحد" (٢) ، وقد أتت الألفاظ التي اقترنت ببعضها دلاليا على نمطين:

النمط الأول : اللفظان المقترنان ثابتان لا يتغيران في الترتيب.

النمط الثاني : يتم التبادل بين اللفظين ، فتارةً يُقدم أحدُهما على الآخر، وتارة يؤخر.

وهناك ارتباط قوي وعميق بين المفردتين ، حتى إنهما يمثلان تركيبا فريداً ذا سمات دلالية خاصة ، بل إن اختيار صيغة اللفظ المشابه على نفس وزن المتشابه معه له دلالة معينة.

---

(١) التمهيد في تخريج الفروع على الأصول ، الإسنوي ص ٢٧٣

(٢) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ، مكي ابن أبي طالب ص ٢١٩

ثانيًا – الاقتران الدلالي عند الرسول

أول من أشار إلى قضية الاقتران ، والجمعِ بين الألفاظ المتشابهة هو سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ فقد روى الإمام أحمد في مسنده عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، عَلِّمْنِي عَمَلًا يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ ، فَقَالَ:" لَئِنْ كُنْتَ أَقْصَرْتَ الْخُطْبَةَ ، لَقَدْ أَعْرَضْتَ الْمَسْأَلَةَ ، أَعْتِقِ النَّسَمَةَ ، وَفُكَّ الرَّقَبَةَ "، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، أَوَلَيْسَتَا بِوَاحِدَةٍ؟ قَالَ: " لَا، إِنَّ عِتْقَ النَّسَمَةِ أَنْ تَفَرَّدَ بِعِتْقِهَا، وَفَكَّ الرَّقَبَةِ أَنْ تُعِينَ فِي عِتْقِهَا" (١)

حيث جمع الرسول ﷺ في حديثه بين (عتق النسمة وفك الرقبة) ؛ ليضيف دلالات جديدة لا يضيفها اللفظ الواحد ، لكن الأعرابي مع علمه باللغة ، لم يدرك الفرق بين الأمرين ، وظن أن اللفظين مترادفان ؛ لتشابههما في المعنى ، فبيَّن له الرسول ﷺ الفرق بينهما، ولا شك أن الاقتصار على أحد اللفظين لا يؤدي المعنى كاملًا ، " وَوَجْهُ الفرقِ المذكورِ: أن العتق إزالة الرق، وذلك لا يكون إلا من المالك الذي يَعتِق، وأما الفك فهو السعي في التخليص، فيكون من غيره ، كمن أدى الأقساط عن المُكاتَب أو أعانه على سدادها"(٢)، وقد علق الخطابي على هذا الحديث بقوله : " فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفِقْهِ: أَنَّ الْكَلِمَةَ مِنْ خِطَابِ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ إِذَا أَمْكَنَ حَمْلُهَا عَلَى

---

(١) مسند الإمام أحمد ، ٣٠ / ٦٠٠ ، حديث رقم (١٨٦٤٧)

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٨/ ٢٤٢٦، بتصرف يسير

الْإِفَادَةِ لَمْ تُحْمَلْ عَلَى التَّكْرَارِ وَالْإِعَادَةِ ، وَلِذَلِكَ طَالَبَهُ الْأَعْرَابِيُّ بِالْفَرْقِ بَيْنَهُمَا وَرَاجَعَهُ الْكَلَامَ فِيهِمَا" (١)

" وأكد الخطيب البغدادي ذلك بقوله : " وَإِذَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِطَابٌ يَتَضَمَّنُ كَلِمَتَيْنِ مَعْنَاهُمَا فِي الظَّاهِرِ وَاحِدٌ ، وَأَمْكَنَ حَمْلُ كُلِّ كَلِمَةٍ عَلَى فَائِدَةٍ فُعِلَ ذَلِكَ ... فَيَنْبَغِي إِنْعَامُ النَّظَرِ فِي الْآثَارِ وَالسُّنَنِ ، وَالتَّفْتِيشُ عَنْ مَعَانِيهَا ، وَالْفِكْرُ فِي غَوَامِضِهَا، وَاسْتِنْبَاطُ مَا خَفِيَ مِنْهَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ جَدِيرًا بِلَحَاقِ مَنْ سَبَقَهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَالتَّبْرِيزِ عَلَى الْمُعَاصِرِينَ لَهُ مِنَ الْفُقَهَاءِ". (٢)

ثالثًا – الاقتران وأثره في إكساب دلالات جديدةفي القرآن الكريم

قضية اقتران لفظين مُتشابِهيْ الدلالةِ في القرآن الكريم مقصودة لذاتها ، ولها غرض دلالي هو : زيادة دلالة جديدة غيرِ الدلالة المرادة من اللفظ عند الإفراد ؛ لأنه " قد يتبادر إلى الذّهن أن استعمال اللفظين معاً من باب التّرادف فإذا بانكشاف المعنى يدلّ على خلاف ذلك ... دون أن نَغفُل الإشارة إلى أنه يُفترض في كل استعمال جديد ميلادٌ لمعنى جديد، ذلك أن لكل لفظ معنى أو معانيَ خاصةً وإن اشترك مع غيره في الحقل المعنوي العام " (٣)

وقد نص الزركشي على أن التركيب – أي الجمع بين لفظين يُظن منهما الترادف – يُضِيفُ دلالة أخرى غيرَ الذي يعطيَه اللفظ في حالة الإفراد

---

(١) غريب الحديث ١/ ٧٠٧

(٢) الفقيه والمتفقه ، للخطيب البغدادي ٥٤٨/١

(٣) اللفظ والمعنى في التفكير النقدي والبلاغي عند العرب /٢٢٢، ٢٢٤

فقال: " يُعْتَقَدَ أَنَّ مَجْمُوعَ الْمُتَرَادِفَيْنِ يُحَصِّلُ مَعْنًى لَا يُوجَدُ عِنْدَ انْفِرَادِ أَحَدِهِمَا ، فَإِنَّ التَّرْكِيبَ يُحْدِثُ مَعْنًى زَائِدًا ، وَإِذَا كَانَتْ كَثْرَةُ الْحُرُوفِ تُفِيدُ زِيَادَةَ الْمَعْنَى فَكَذَلِكَ كَثْرَةُ الْأَلْفَاظِ " (١)

ووضَّح ذلك في موطن آخر فقال : " قَاعِدَةٌ فِي أَلْفَاظٍ يُظَنُّ بِهَا التَّرَادُفُ وَلَيْسَتْ مِنْهُ ، وَلِهَذَا وُزِّعَتْ بِحَسَبِ الْمَقَامَاتِ ، فَلَا يَقُومُ مُرَادِفُهَا فِيمَا اسْتُعْمِلَ فِيهِ مَقَامَ الْآخَرِ ، فَعَلَى المفسر مراعاة الِاسْتِعْمَالَاتِ ، وَالْقَطْعُ بِعَدَمِ التَّرَادُفِ مَا أَمْكَنَ ، فَإِنَّ لِلتَّرْكِيبِ مَعْنًى غَيْرَ مَعْنَى الْإِفْرَادِ ، وَلِهَذَا مَنَعَ كَثِيرٌ مِنَ الْأُصُولِيِّينَ وُقُوعَ أَحَدِ الْمُتَرَادِفَيْنِ مَوْقِعَ الْآخَرِ فِي التَّرْكِيبِ وَإِنِ اتَّفَقُوا عَلَى جَوَازِهِ فِي الْإِفْرَادِ" (٢)

كما أشار ابن القيّم إلى قضية الاقتران بين الألفاظ المتشابهة ، وأثرها في اختلاف الدلالة ، وذلك عند حديثه عن الاستغفار ، فقال : "وَأَمَّا الِاسْتِغْفَارُ فَهُوَ نَوْعَانِ: مُفْرَدٌ، وَمَقْرُون بِالتَّوْبَةِ٠٠٠فَالِاسْتِغْفَارُ الْمُفْرَدُ كَالتَّوْبَةِ، بَلْ هُوَ التَّوْبَةُ بِعَيْنِهَا٠٠٠فَالِاسْتِغْفَارُ يَتَضَمَّنُ التَّوْبَةَ، وَالتَّوْبَةُ تَتَضَمَّنُ الِاسْتِغْفَارَ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا يَدْخُلُ فِي مُسَمَّى الْآخَرِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ ، وَأَمَّا عِنْدَ اقْتِرَانِ إِحْدَى اللَّفْظَتَيْنِ بِالْأُخْرَى، فَالِاسْتِغْفَارُ: طَلَبُ وِقَايَةِ شَرِّ مَا مَضَى، وَالتَّوْبَةُ: الرُّجُوعُ وَطَلَبُ وِقَايَةِ شَرِّ مَا يَخَافُهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِهِ"(٣)

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٢/ ٤٧٧

(٢) البرهان في علوم القرآن ٤/ ٧٨

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ١/٣١٤، ٣١٥ ، ومعجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ١/ ١٥١

وفي موطن آخر يتكلم عن دلالة اقتران لفظين عموما فيقول :" في ذِكْرِ أَسْمَاءِ الله بَعْدَ الْحَمْدِ، وَإِيقَاع الْحَمْدِ عَلَى مَضْمُونِهَا وَمُقْتَضَاهَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مَحْمُودٌ فِي إِلَاهِيَّتِهِ، مَحْمُودٌ فِي رُبُوبِيَّتِهِ٠٠٠ فَلَهُ بِذَلِكَ جَمِيعُ أَقْسَامِ الْكَمَالِ: كَمَالٌ مِنْ هَذَا الِاسْمِ بِمُفْرَدِهِ ، وَكَمَالٌ مِنَ الْآخَرِ بِمُفْرَدِهِ ، وَكَمَالٌ مِنِ اقْتِرَانِ أَحَدِهِمَا بِالْآخَرِ ، مِثَالُ ذَلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [سورة التغابن من الآية : ٦] ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة النساء من الآية : ٢٦]،﴿ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ﴾ [سورة الممتحنة من الآية : ٧] ،﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة البقرة من الآية: ٢١٨]، فَالْغِنَى صِفَةُ كَمَالٍ، وَالْحَمْدُ صِفَةُ كَمَالٍ، وَاقْتِرَانُ غِنَاهُ بِحَمْدِهِ كَمَالٌ أَيْضًا، وَعِلْمُهُ كَمَالٌ، وَحِكْمَتُهُ كَمَالٌ، وَاقْتِرَانُ الْعِلْمِ بِالْحِكْمَةِ كَمَالٌ أَيْضًا، وَقُدْرَتُهُ كَمَالٌ وَمَغْفِرَتُهُ كَمَالٌ، وَاقْتِرَانُ الْقُدْرَةِ بِالْمَغْفِرَةِ كَمَالٌ، وَكَذَلِكَ الْعَفْوُ بَعْدَ الْقُدْرَةِ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [سورة النساء من الآية : ٤٣] ، وَاقْتِرَانُ الْعِلْمِ بِالْحِلْمِ ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [سورة النساء من الآية : ١٢]"[1]

ومن المُحْدَثين الذين انشغلوا ببيان أوجه الإعجاز البياني للمفردة القرآنية ، وأسرارها الدلالية ، وأن الألفاظ المتشابهة ليست من قبيل الترادف ، بل لها دلالات خاصة الدكتورة عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ فقالت : " وسبقَ (الخَطَّابيُّ) أيضاً إلى لمح فروق دقيقة في الدلالة، لألفاظ قرآنية جرت معاجمنا وكتب المفسرين على القول بترادفها مع ألفاظ أخرى في معناها مثل: العلمِ والمعرفة ، الحمد والشكر، العتق وفك الرقبة،

(1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ١/ ٥٨ ، ٥٩

وهذا أيضاً مما نتزود به لطريقنا إلى فهم الإعجاز البياني، على ما سوف نوضحه في " الترادف وسر الكلمة" (١)

وقالت في دلالات الألفاظ وسر الكلمة : " من قديم شغلت قضية الترادف علماء العربية ، واختلفت مذاهبهم فيها ، والبيان القرآني يجب أن يكون له القول الفصل فيما اختلفوا فيه حين يهدي إلى سر الكلمة لا تقوم مقامَها كلمةٌ سواها من الألفاظ المقول بترادفها ، والأمر كذلك في ألفاظ القرآن: ما من لفظ فيه يمكن أن يقوم غيرُه مقامُه ، وذلك ما أدركه العرب الخُلَّص الفصحاء الذين نزل فيهم القرآن " (٢)

ويقول أبو هلال العسكري : " فَأَما قَول بعض أهل اللُّغَة إِن الشَّعَر وَالشَّعْر، وَالنّهَر وَالنّهْر بِمَعْنى وَاحِد ، فَإِن ذَلِك لُغَتَانِ ، وَإِذا كَانَ اخْتِلَاف الحركات يُوجب اخْتِلَاف الْمعَانِي فاختلاف الْمعَانِي أَنْفسهَا أَولَى أَن يكون كَذَلِك " (٣) ، وتعلق بنت الشاطئ فتقول : " ويجلو لنا كتاب العربية الأكبر – أي القرآن الكريم – هذا الملحظ الدقيق من فروق الدلالات بين الألفاظ تختلف حركاتها أو صِيَغُها من المادة الواحدة " (٤) ، ثم تقول : " وقد ينبغي لي أن أعترف هنا بقصوري عن لمح فروق الدلالة لألفاظِ قرآنية تبدو مترادفة ، فليس لي إلا أن أقر بالعجز والجهل، وأنا أتمثل بكلمة ابن الأَعْرَابِيّ (٥) : " كلُّ حَرْفين أَوْقعتْهُما العرب على معنًى واحد ، في كلّ منهما معني ليس في

(١) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ص١٠٢، ١٠٣

(٢) السابق ص ٢٠٩ ، ٢١٠

(٣) الفروق اللغوية ص ٢٤

(٤) الإعجاز البياني للقرآن ص ٢٣٢

(٥) السابق ص ٢٣٧

صاحبه، ربَّما عرفناه فأَخْبَرْنا به، وربَّما غَمُض علينا فلم نُلْزِم العربَ جهلَه"[1]، تقول بنت الشاطئ : " قصارى ما يملكه أفقهَ علماء القرآن بالعربية، لغةِ الكتاب العربي المبين، هو جهد المحاولة للمح سرِّ الدلالة للحرف القرآني، أو الكلمة والأسلوب على الوجه الذى جاء به في البيان المعجز، فإن يكن تفسيرٌ فعَلى وجه الشرح والتقريب ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [سورة الإسراء الآية : ٨٨] صدق الله العظيم " [2]

وتستطرد بنت الشاطئ فتقول :" وفيما أشتغل به على المدى الطويل من تخصص في الدراسات القرآنية ، شهد التتبع الاستقرائي لألفاظ القرآن في سياقها ، أنه يستعمل اللفظ بدلالة معينة لا يؤديها لفظ آخر في المعنى الذي تُحْشَدُ له المعاجم ، وكتب التفسير عدداً قلَّ أو كثر من الألفاظ" [3]

وتضيف : " ووجه إعجازه أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علما، وأحاط بالكلام كله علمًا، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم – سبحانه – بإحاطته أيَّ لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره٠٠٠كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان

---

(١) الأضداد لابن الأنباري ص ٧ ، المزهر ١/ ٣١٤، تاريخ آداب العرب ١/ ١٢٥، دراسات في فقه اللغة ص ٣٠٦ ، الإعجاز البياني للقرآن ص ٢٣٧ ، وينظر : مجلة التراث العربي من العدد١ إلى العدد١١٠ ، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب ، ص ١١

(٢) الإعجاز البياني للقرآن ومسائلُ ابن الأزرق ، ص ٦٠٣

(٣)الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ص ٢١٤، ٢١٥

العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد. ونحن تَبيَّنَ لنا البراعةُ في أكثره ويَخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة وَمَيْزِ الكلام" (١)

وهذا كله يدل على أن الجمع بين مفردة متشابهة الدلالة مع مفردة أخرى في آية واحدة ليس للتأكيد كما يظن البعض ، إنما لأمر دلالي ، وهو ما تضيفه المفردتان ، وما تدلان عليه من إيحاءات دلالية يستدعيها السياق، يستحيل أن تعطي المفردة الواحدة المعنى الأساس والإضافي والإيحائي كاملا ؛ لأن المفردة تختص بالتعبير عن جانب واحد فقط من الجوانب المختلفة للمدلول الواحد ، فالغرض الأساس من الجمع بين المفردتين الإحاطةُ بكل الدلالات التي يستدعيها السياق ، أقلُّ هذه الدلالات تثبيت المعنى وتكثيره كما قال البقاعي:" الدلالة على المعنى بلفظين أجدر في ثباته وتكثيره من لفظ واحد"(٢)

وذهب العسكري إلى أن هناك دلالاتٍ خاصةً من المفردة الثانية فقال : "مُحالٌ أَن يخْتَلفَ اللفظان وَالْمعْنَى وَاحِد كَمَا ظن كثير من النَّحْوِيين واللغويين ، وَإِنَّمَا سمعُوا الْعَرَب تَتَكَلَّم بذلك على طباعها وَمَا فِي نفوسها من مَعَانِيهَا الْمُخْتَلفَة وعَلى مَا جرت بِهِ عاداتها وتعارفها وَلم يعرف السامعون تِلْكَ الْعِلَل والفروق فظنوا مَا ظنوه من ذَلِك وتأولوا على الْعَرَب مَا لَا يجوز

(١) المحرر الوجيز ١/ ٥٢

(٢) نَظْم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٦/ ٤٤٥

فِي الحكم ٠٠٠وَمن لَا يتَحَقَّق الْمعَانِي يظنّ أَن ذَلِك كُله يُفِيد الْمُبَالغَة فَقَط وَلَيْسَ الْأَمر كذلك بل هِيَ مَعَ إفادتها الْمُبَالغَة تفِيد الْمعَانِي الَّتِي ذَكرنَاهَا"(١)

وهو ما قد نص عليه الخطابي فقال : " في الكلام ألفاظ متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب ... والأمر فيها وفي ترتيبها عند علماء أهل اللغة بخلاف ذلك ، لأن لكل لفظة منها خاصيةً تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها وإن كانا قد يشتركان في بعضها"(٢) ، وأكد الرازي ذلك بقوله : " لا يجوزُ أن يتكلَّم الله – تعالى– بشيءٍ ولا يعنِي بهِ شيئًا " (٣) ، فـ" كان آخرَ ما توصل إليه علماء اللغة في إطار النظرية السياقية هو فكرة " الرصفِ "، وهو يعني مراعاة وقوع الكلمات مجاورةً لبعضها حيث يُعدُّ هذا الوقوع أحد معايير تحديد دلالة الكلمة " (٤) ، وقد أشار ابن القيم إلى الدلالة المشتركة والدلالة الخاصة بقوله: " فِي اللُّغَةِ أَلْفَاظٌ بَيْنَهَا قَدْرٌ مُشْتَرَكٌ وَبَيْنَهَا قَدْرٌ مُمَيَّزٌ ، وَهَذَا يَكُونُ مَعَ تَمَاثُلِ الْأَلْفَاظِ تَارَةً؛ وَمَعَ اخْتِلَافِهَا أُخْرَى؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَمَا أَنَّ اللَّفْظَ قَدْ يَتَّحِدُ وَيَتَعَدَّدُ مَعْنَاهُ : فَقَدْ يَتَعَدَّدُ وَيَتَّحِدُ مَعْنَاهُ كَالْأَلْفَاظِ الْمُتَرَادِفَةِ. وَإِنْ كَانَ مِنْ النَّاسِ مَنْ يُنْكِرُ التَّرَادُفَ الْمَحْضَ ، فَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ اللَّفْظَانِ مُتَّفِقَيْنِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنًى وَيَمْتَازُ أَحَدُهُمَا بِزِيَادَةِ " (٥)

---

(١) الفروق اللغوية ص ٢٤

(٢) بيان إعجاز القرآن (مطبوع ضمن:ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) للخطابي ص٢٩

(٣) المحصول ١/ ٣٨٥

(٤) علم الدلالة : أصوله ومباحثه في التراث العربي ، منقور عبد الجليل ص ١١٩

(٥) مجموع الفتاوى ٢٠ / ٤٢٣

ووضح ذلك د ابراهيم أنيس فقال : " من الكلمات ما تشترك معانيها في بعض الأجزاء، وتختلف في البعض الآخر، ويمكن تشبيهها بدوائر متحدة المركز، ومختلفةٍ في جزء من سطوحها، أو مُشتركةٍ في جزء من السطح فقط"[١] ، وهو ما أكده الدكتور محمود فهمي حجازي بقوله : " ففي ظل مبدأ نسبية الدلالة يندر أن تكون هناك كلمات تتفق في ظلال معانيها اتفاقاً كاملاً، ومن الممكن أن تتقارب الدلالات لا أكثرَ ولا أقل، فالألفاظ المترادفة هي بهذا المعنى الألفاظُ ذات الدلالات المتقاربة " [٢]

فالجمع بين المفردتين المتشابهين هو إبراز وتحديد جميع الأوجه الدلالية ، للوصول إلى كمالها الدلالي ، فـ : " الألفاظ في السياق القرآني محفورة وقد ملئت دلالة، و إشارة؛ فليس للمتأمل فيها أن يقف عند حدود الأبعاد المادية (العُرْفية) لهذه الألفاظ؛ فالقرآن المجيد لَمَّا استعملها لم يكن ليقف عند تلك الدلالة، فجاء حريصا قاصدا إلى الإشباع الدلالي لهذه الألفاظ من الصوت، والمعنى الأساسِ إلى الإشارة والرمز، فالمعنى العاطفيّ والإيحائيّ ، فجاءت لذلك (الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم) محاولةً لتلمس الدلالة القرآنية بأبعادها العرفية العامة، وأبعادها الذوقية الذاتية ، وما يفرزه السياق من فائض في المعنى، أو تضخم في دلالة هذه اللفظة أو تلك محمود " [٣]

وإذا كانت كيفية نظم الكلام تُضيف دلالاتٍ ، فمن باب أولى : الجمعُ بين المتشابه يؤدي إلى دلالات جديدة ، أي أن الجمع بين الألفاظ المتشابهة

---

(١) في اللهجات العربية ص ١٨٣

(٢) مدخل إلى علم اللغة ص ٧٩

(٣) الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم محمد جعفر محيسن العارضي ص ١

تنبثق عنه دلالات خاصة للمفردات ، ويستحيل أن تكون الكلمة الثانية عديمة الفائدة ، بل تضيف دلالة لا تضيفها المفردة الأولى ؛ لأن لكل مفردة دلالة خاصة بها لا تشترك معها فيه مفردةٌ أخرى مع اشتراكهما في الدلالة المركزية العامة ، و" قد تكون تلك الدلالة المركزية واضحة في أذهان كل الناس كما قد تكون مبهمة في أذهان بعضهم، ويمكن أن تُشَبَّهَ الدلالةُ بتلك الدوائر التي تحدث عقب إلقاء حجر في الماء، فما يتكون منها أولاً يعد بمثابة الدلالة المركزية للألفاظ ، يقع فهم بعض الناس منها في نقطة المركز، وبعضهم في جوانب الدائرة أو على حدود محيطها، ثم تتسع تلك الدوائر وتصبح في أذهان القلة من الناس وقد تضمنت ظلالا من المعاني لا يَشْرَكُهم فيها غيرهم" [١] ، وقد " ذكر Firht أن قائمة الكلمات المتراصفة مع كل كلمة تعد جزءًا من معناها" [٢] ، ولذا كان هذا البحث في الدلالات الدقيقة التي يفيدها الجمع بين ألفاظ متشابهة ، ليؤكد أن الجمع كان لغرض دلالي لا يمكن إيصاله بمفردة واحدة ، مع أنهما متقاربى الدلالة ، وأن القرآن الكريم طَوَّع الألفاظ وسبكها في أحسن صورة لإبراز الدلالة ، وقد تطلب البحث عن الدلالة الإضافية التي أضافتها المفردتان البدأ بإثبات الدلالة العامة (المعجمية) للفظتين ، وأنهما متشابهتان في تلك الدلالة ، ثم العروج على الاستعمال القرآني للفظتين ، للتعرف على دلالاتهما ، مع التركيز على الفروق الدلالية بين اللفظتين ، والانتهاءِ بالتماس الدلالة الخاصة لكل لفظة، وما حوته من تفرد وامتياز دلالي ، مع التنبيه على الغرض الدلالي من الاقتران.

---

(١) دلالة الألفاظ ، د. إبراهيم أنيس ص ١٠٦

(٢) علم الدلالة ، د.أحمد مختار عمر ص٧٨

ولاشك أن قضية دلالة الألفاظ مهمة وتزداد أهميتها من كونها في الألفاظ القرآنية ، وتكمل أهميتها في كونها في الدلالة العميقة الخاصة ، ولا شك أن الاعتماد في المقام الأول لم يكن على المعاجم اللغوية التي تهتم بالدلالة اللغوية الأصلية ، بل على كتب التفسير من خلال السياقات القرآنية التي استعملت فيها اللفظة ، للوصول إلى الدلالة الإضافية التي أضافها الاقتران ، والتي لا تتعارض مع الدلالات العامة ، فإعجاز الجمع بين المتشابه يظهر من ناحيتين : اختيارِ المفردة والمفردة المشابهة ، وطريقةِ اقترانهما وتركيبهما ٠

وأيضًا : فإن التركيب القرآني لمفردتين اقترنتا ببعضهما البعض ، يُجَوِّزُ جّعْلَ هذا التركيب مفردةً مركبة ، بمعنى أنه : " إذا كان لفظ يقع في صحبة آخر دائما : فمن الممكن أن يُستخدم هذا التوافق في الوقوع كمعيار لاعتبار هذا التجمع مفردة معجمية واحدة تعبيراً " (١)

رابعًا – أثر السياق في الكشف عن الدلالات الخاصة

إذا كان السياق له دور مهم في الكشف عن الدلالة ، فإنه الفارق الرئيس في الكشف عن دلالة اللفظين المتشابهين في الآية الواحدة ، فالدلالة الخاصة لا تظهر إلا من خلال السياق ، أي أنه هو الذي يحدد الدلالة المرادة ؛ لأن المعنى المركزي أو المحوري يتفرع عنه معان خاصةً إضافية تابعة للمعنى المركزي ، والسياقُ هو الكاشف لتلك الدلالات الخاصة ، فدلالات المفردات القرآنية لا تُحَدَّد بالقيم التجريدية العامة المشار إليها في القواميس ، والمعجمات ، بل تحيط بكل كلمة ظلال من الدلالات الخاصة ،

(١) علم الدلالة ص ٧٩

وهذا ما نجده لدى فيرث زعيم المدرسة السياقية الذي صرح " بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوَحْدة اللغوية ، أي وضعِها في سياقات مختلفة ، فمعظم الوحدات الدلاليةِ تقع في مجاورة وحداتٍ أخرى ، وإن معانيَ هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها "[1] ، فموضع المفردة وصلتها بالمفردة الثانية هو من يحدد الدلالة المرادة من المفردتين ، " وقد وظف النص القرآني اللفظ توظيفا أكسبه صفة الإعجاز، إذ نجد أن لكل لفظ قرآني موضعَه الذي يضيف إلى السياق معنى وتناغما لا يمكن لغيره أن يَحُلَّ محلَّه " [2] و" السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة ، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم ، فمن أهمله غَلِطَ في نظره وغالط في مناظرته " [3]

" إن تسييق الصيغة اللغوية يعد المنفذ المهم لتحديد مجالها الدلالي، فلا يمكن أن تَرِدَ الصيغةُ اللغوية بمعزلٍ عن السياق النفسي أو الاجتماعي الثقافي، بل يحصل التجاور بين مجموع الصيغ اللغوية داخل التركيب ، وهو ما يمكن التعبير عنه بمصطلح "النَّظْم"، كما سماه قديماً عبد القاهر الجرجاني في كتابه: "دلائل الإعجاز".. وقد اعتبر فيرث (Firht) أن قائمة الكلمات المتراصفة مع كل كلمة تعد جزءاً من معناها، بحيث يستدعي

([1]) ينظر : علم الدلالة ، د/ أحمد مختار عمر ص ٦٩ ، ٧٠

([2]) السياق القرآني والدلالة المعجمية د. ماجدة حسن ص ٣

([3]) بدائع الفوائد ، ابْن قَيِّم الجَوْزِيَّةِ ٤/ ٩

حضورُ كلمة ما حضورَ سلسلة من الكلمات التي تتراصف معها سياقياً وتتوافق معها في الوقوع " (١)

وإذا كان السياق هو المفسِر لدلالة المفردة ، فإنه في الجمع بين مفردتين متشابهتي المعنى هو المحدد لدلالة كل منهما ، والنظر لدلالة المفردة دون مُشابِهَتِها يُخِلُّ بالمعنى المراد ، وفي ذلك يقول الشاطبي: " فَلَا مَحِيصَ لِلْمُتَفَهِّمِ عَنْ رَدِّ آخِرِ الْكَلَامِ عَلَى أَوَّلِهِ، وَأَوَّلِهِ عَلَى آخِرِهِ، وَإِذْ ذَاكَ يَحْصُلُ مَقْصُودُ الشَّارِعِ فِي فَهْمِ الْمُكَلَّفِ، فَإِنْ فَرَّقَ النَّظَرَ فِي أَجْزَائِهِ؛ فَلَا يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى مُرَادِهِ، فَلَا يَصِحُّ الِاقْتِصَارُ فِي النَّظَرِ عَلَى بَعْضِ أَجْزَاءِ الْكَلَامِ دُونَ بَعْضٍ" (٢)

وإذا حاولنا بيان دلالة المفردة دون النظر لسياق الآية وقعنا في الحرج مثلما حدث مع الصحابة – رضوان الله عليهم – حيث فسروا الظلم الوارد في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [سورة الأنعام الآية : ٨٢] بالمعاصي ، وقالوا : أينا لم يَلبِسَ إيمانَه بظلم؟ . . فبين النبي – صلى الله عليه وسلم – أن المراد بالظلم في الآية الشركُ ، وليست المعاصي بِظُلْمٍ، يَعْنِي: بِشِرْكٍ ، وتلا قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ [سورة لقمان الآية : ١٣]

---

(١) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي منقور عبد الجليل ص ١١٩، وعلم الدلالة د / أحمد مختار عمر ص٧٧

(٢) الموافقات للشاطبي ٢٦٦/٤ ، وعلوم القرآن للشاطبي من خلال كتابه الموافقات ص١٥١

، فبيَّن أن المراد بالظلم الشرك [١]، ويدل على ذلك لفظ الإيمان في الآية ، فسياق الكلام يدل على أن المراد بالظلم ليس الظلم بمعناه العام ، بل ظلم خاص وهو الشرك الذي هو ضد الإيمان٠

فحصر دلالة اللفظ على المعنى اللغوي فقط لا يعطي النص حقه ؛ لأن الكلمة " قد تستدعي قيماً اجتماعية أو ثقافية أو حتى قيماً انفعالية ، تعكس صورة قائلها ، وتحدد بعض ملامح الجانب النفسي فيه" [٢] ، وقد نص ابن عطية على أن الاقتصار على اللغة في تفسير اللفظ دون مراعاة السياق خطأ، حيث قال في معرض رده على من قال بأن : " سارِبٌ معناه: مُتَوارٍ في سِرْبٍ ، قال : وهذا القول– وإن كان تعلقه باللغة بيِّنًا– ضعيف ؛ لأن اقتران الليل بالمستخفي ، والنهارِ بالسارب يَرُدُّ على هذا القول" [٣] ، كما أشار ابن كثير إلى ذلك فقال: " وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ مِنْ جِهَةِ الْعَرَبِيَّةِ مُتَّجِهٌ، وَلَكِنْ لَا يُسَاعِدُهُ الْمَعْنَى عَلَى ذَلِكَ" [٤]

وقد أشار الزركشي إلى دور السياق في التفسير فقال : " وَمِمَّا يُعِينُ عَلَى الْمَعْنَى عِنْدَ الْإِشْكَالِ أُمُورٌ٠٠٠– منها– دَلَالَةُ السِّيَاقِ فَإِنَّهَا تُرْشِدُ إِلَى تَبْيِينِ الْمُجْمَلِ وَالْقَطْعِ بِعَدَمِ احْتِمَالِ غَيْرِ الْمُرَادِ وَتَخْصِيصِ الْعَامِّ وَتَقْيِيدِ

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٥٦، جامع البيان ٩/ ٣٦٨

(٢) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ، منقور عبد الجليل ص٧٥

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٣٠٠

(٤) تفسير القرآن العظيم ٧/ ٤٤٥

الْمُطْلَقِ وَتَنَوُّعِ الدَّلَالَةِ وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْقَرَائِنِ الدَّالَّةِ عَلَى مُرَادِ الْمُتَكَلِّمِ ، فَمَنْ أَهْمَلَهُ غَلِطَ فِي نَظِيرِهِ وَغَالَطَ فِي مُنَاظَرَاتِهِ " (١)

وقد ضرب القرطبي مثالًا يوضح به خطأ الاعتماد على دلالة اللفظ في اللغة فقط فقال : مَنْ " بادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة القرآن بالرأي ، والنقلِ والسماع لابد له منه في ظاهر التفسير أولا ليتقي به مواضع الغلط ، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط٠٠٠ ألا ترى أن قوله تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا ﴾ [سورة الإسراء من الآية : ٥٩] معناه : آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها ، فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ، ولا يدري بماذا ظلموا وأنهم ظلموا غيرهم وأنفسَهم ، فهذا من الحذف والإضمار" (٢) ، "وإضافة إلى الدلالة السياقية ، يشير الدرس الدلالي الحديث إلى دلالة أخرى تتحدد وفق موقع الصيغة من السياق، ووفق تركيب عناصر الجملة وترتيبها، وهو ما اصطُلِح على تسميتها بالدلالة الموقعية ، فقد تتكون الجملتان من نفس الوَحَدَات لكن ترتيبها في كل جملة يختلف فتتميز الدلالة تبعاً لذلك، إن السياق اللغوي قد يحيل إلى دلالات مختلفة تتحدد بضوابط خاصة من ذلك المعاني ...الاجتماعية والفردية " (٣)

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٩٩، ٢٠٠

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١/ ٣٤

(٣) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ، منقور عبد الجليل ص ٨٧

وتتجلى أهمية الاقتران بين الألفاظ المتشابهة في تحديد دلالتها الخاصة ، إذ إن للمفردة دلالتَها العامةَ عند الانفراد ، وعند اقترانها بمشابهها تكون لها دلالة أخرى.

وأيضاً : فالاقتران له أهميته في تحديد معاني الآيات ، خاصةً عند الافتقار إلى قرائن أخرى معتبرة في فهم المراد ، فالاقتران قرينة لغوية تساعد على كشف الدلالات الخاصة.

قال شيخ الإسلام: " يُنْظَرُ فِي كُلِّ آيَةٍ وَحَدِيثٍ بِخُصُوصِهِ وَسِيَاقِهِ وَمَا يُبَيِّنُ مَعْنَاهُ مِنْ الْقُرْآنِ وَالدَّلَالَاتِ ، فَهَذَا أَصْلٌ عَظِيمٌ مُهِمٌّ نَافِعٌ فِي بَابِ فَهْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالِاسْتِدْلَالِ بِهِمَا مُطْلَقًا " (١)

ومما شجعني على هذا البحث أن معظم من درس الفروق اللغوية درسها من خلال المعنى المعجمي أي معنى المفردة عند علماء اللغة دون النظر إلى سياق المفردة ، ومن ثم عزمت على دراسة دلالة المفردة في سياقها القرآني؛ لأن القرآن الكريم استخدم ألفاظه وتراكيبه استخدامًا ملائمًا للسياق الذي يضيف دلالات خاصة ودلالات إضافية على معاني المفردات المعتادة في المعاجم ، التي يستخدمها العرب في ألفاظهم وتراكيبهم ؛ لأن القرآن الكريم له خصوصية مُعجِزة ، وقواعدُ متفردة في تأليف المفردات وربطِها وتنظيمها، وهذا من أسرار إعجاز القرآن الكريم.

(١) مجموع الفتاوى ٦/ ١٨

خامسًا – القواعد اللغوية وأثرها في ترجيح الدلالة الخاصة

اتفق العلماء في توضيحهم للدلالة الخاصة لكل مفردة من المفردات المتشابهة على مجموعة من القواعد العلمية المهمة ومن أهم هذه القواعد :

أولاً – التأسيس خيرٌ من التأكيد [١]

التأسيس: عبارة عن إفادة معنى آخرَ لم يكن حاصلًا قبله[٢]

التَّأْكِيد : عبارة عن إعادة المعنى الحاصل.[٣]

جاء في الكليات: " التَّأْكِيد: هُوَ أَن يكون اللَّفْظ لتقرير الْمَعْنى الْحَاصِل قبله وتقويته، والتأسيس: هُوَ أَن يكون لإِفَادَة معنى آخر لم يكن حَاصِلا قبله ، وَيُسمى الأول إِعَادَة وَالثَّانِي إِفَادَة "[٤]

وحمل المعنى على التأسيس أولى من التأكيد[٥] ؛ لأن حمل الكلام على الإفادة خير من حمله على الإعادة.[٦] ، و" التأسيس هو الأصل ، وقد أمكن اعتباره مع فخامة المعنى وجلالته وعدمِ الإخلال بالفصاحة[٧] ،

---

(١) التعريفات للجرجاني ص ٥٠

(٢) التعريفات للجرجاني ص٥٠ ، التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص ٨٩

(٣)عُدَّة الصابرين وذخيرة الشاكرين بن قيم الجوزية ص ١٨٨

(٤) الكليات للكفوي ص ٢٦٧

(٥) البحر المحيط ١/ ٣٨٤ ، الدر المصون ٦/ ٤٣٧ ، تفسير ابن عرفة ٣/ ٧٤ ، حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي٦/ ٣٩٠، فتح القدير ٢/ ٥٥ ، المُهَذَّب في علم أصول الفقه ٥/ ٢٤٥٦

(٦) التعريفات / ٥٠

(٧) عدة الصابرين لابن القيم ١٨٨

يقول السمين الحلبي : " متى دار الكلامُ بين الحَمْل على التأكيد أو التأسيس فَحَمْلُه على الثاني أولى" (١)

ويقول أبو حيان : " والتَّأْكِيدِ لَا يُصَارُ إِلَيْهِ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ يَبْعُدُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى التَّأْسِيسِ" (٢) ، لأن " الأصل في الكلام التأسيس والإفادةَ فائدةً جديدة ، والتأكيد لا يفيد فائدة جديدة " (٣)

وقد طبق العلماء ذلك في تفسيراتهم ، واعتمدوا عليها في ترجيحاتهم ، ومنهم ابن العربي ، فيقول : " إِنْ كُنَّا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا مُوجِبَ الْغَايَةِ فَقَدْ حَمَلْتُمْ أَنْتُمْ اللَّفْظَ عَلَى التَّكْرَارِ، فَتَرَكْتُمْ فَائِدَةَ عَوْدِهِ، وَإِذَا أَمْكَنَ حَمْلُ اللَّفْظِ عَلَى فَائِدَةٍ مُجَدَّدَةٍ لَمْ يُحْمَلْ عَلَى التَّكْرَارِ فِي كَلَامِ النَّاسِ، فَكَيْف كَلَامُ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ؟"(٤)، ومنهم الألوسي ، فيقول في معرض الترجيح : ولعل الأولُ أَوْلَى... لما أن التأسيس خير من التأكيد " (٥) ، وكذلك الشوكاني ، فقال : وَالْأَوَّلُ أَوْلَى ؛ لِأَنَّ التَّأْسِيسَ خَيْرٌ مِنَ التَّأْكِيدِ"(٦)، وقريب من ذلك قاعدة : إعْمَالُ الْكَلَام أَوْلَى مِنْ إهْمَالِهِ (٧)

---

(١) الدر المصون ٦/ ٤٣٧، اللباب في علوم الكتاب ١١/ ١٢

(٢) البحر المحيط ١/ ٣٨٤

(٣) الْمُهَذَّبُ في عِلْمِ أُصُولِ الفِقْهِ الْمُقَارَنِ ٣/ ١١٣٦

(٤) أحكام القرآن ١/ ٢٣٢

(٥) روح المعاني ٢/ ١٤٩

(٦) فتح القدير ٢/ ٥٥

(٧) الأشباه والنظائر ٢/ ٢١٦

يقول السبكي : " فانظر تصرف الأئمة –رحمهم الله– في مدلولات الألفاظ وحرصَهم على إعمال الكلام ما وجدوا إليه سبيلًا " (١)

ثانياً – من القواعد المتعلقة بالبحث قاعدة : الأصل في الكلام التباين لا الترادف : " فَالأَصْلُ فِي اللُّغَةِ: هُوَ التَّبَايُنُ، وَهُوَ أَكْثَرُ اللُّغَةِ ... والتَّرَادُفَ مِنْ عَوَارِضِ الْمُفْرَدَاتِ " (٢) ، فالألفاظ متباينة في مدلولاتها لا مترادفة و" التَّرَادُفُ خِلَافُ الْأَصْلِ فَإِذَا دَارَ اللَّفْظُ بَيْنَ كَوْنِهِ مُتَرَادِفًا أَوْ مُتَبَايِنًا فَحَمْلُهُ عَلَى الْمُتَبَايِنِ أَوْلَى، لِأَنَّ الْقَصْدَ الْإِفْهَامُ ، فَمَتَى حَصَلَ بِالْوَاحِدِ لَمْ يُحْتَجْ إلَى الْأَكْثَرِ، لِئَلَّا يَلْزَمَ تَعْرِيفُ الْمُعَرَّفِ، وَلِأَنَّهُ يُوجِبُ الْمَشَقَّةَ فِي حِفْظِ تِلْكَ الْأَلْفَاظِ"(٣)

فالمفردات وإن تشابهت دلاليًا يبقى لكل مفردة دلالة خاصة بها تختلف عن دلالة المفردة الأخرى ، وقد وضح الإمام الطبري ذلك فقال : " إنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ، سَمَّى تَنْزِيلَهُ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَسْمَاءً أَرْبَعَةً: مِنْهُنَّ الْقُرْآنُ، فَقَالَ فِي تَسْمِيَتِهِ إِيَّاهُ بِذَلِكَ فِي تَنْزِيلِهِ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴾ [سورة يوسف الآية : ٣] ، وَقَالَ: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [سورة

---

(١) الإبهاج في شرح المنهاج ٢/ ١٢٩ ، الأشباه والنظائر للسبكي ١/ ١٧١ ، ، الأشباه والنظائر للسيوطي ص ١٢٨

(٢) شرح الكوكب المنير ١/ ١٤٣، مختصر التحرير ١/ ١٤٣ ، ينظر: التقرير والتحبير ١/ ١٦٩،١٧٠

(٣) البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي ٢/ ٣٦٠

النمل الآية : ٧٦]، وَمِنْهُنَّ الْفُرْقَانُ: قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي وَحْيِهِ إِلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُسَمِّيهِ بِذَلِكَ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [سورة الفرقان الآية : ١]، وَمِنْهُنَّ الْكِتَابُ: قَالَ تَبَارَكَ اسْمُهُ فِي تَسْمِيَتِهِ إِيَّاهُ بِهِ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ قَيِّمًا ۖ ﴾ [سورة الكهف : ١، ٢] ، وَمِنْهُنَّ الذِّكْرُ: قَالَ تَعَالَى ذِكْرُهُ فِي تَسْمِيَتِهِ إِيَّاهُ بِهِ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [سورة الحجر الآية : ٩] ، وَلِكُلِّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ الْأَرْبَعَةِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَعْنًى وَوَجْهٌ غَيْرُ مَعْنَى الْآخَرِ وَوَجْهِهِ " [١]

ثالثاً – من القواعد التي تبين أن قضية الاقتران بين الألفاظ المتشابهة ليست تأكيدًا وإعادةً للمعنى السابق قاعدةُ : العطف يقتضي المغايرة [٢] ، يقول الكَفَوِيّ : " وَإِذا دخل حرف الْعَطف بَين الاسمين كَانَ الثَّانِي غيرَ الأول؛ إِذْ الأَصْل الْمُغَايرَة واستقلال كل وَاحِد من الْمَعْطُوف والمعطوف عَلَيْهِ بِنَفسِهِ " [٣]، وقد أشار إلى هذه القاعدة كثير من العلماء ،

---

(١) جامع البيان ١/ ٨٩

(٢) الفروق اللغوية ٢٩٩ ، طبعة مؤسسة النشر الإسلامي ، مفاتيح الغيب ١٢/ ٣٦٥، كشف الأسرار شرح أصول البزدوي ٢/ ١٣٠، لباب التأويل في معاني التنزيل ١/ ٣٠٠ ، البحر المحيط ١/ ١٥٨، المصباح المنير ١/ ١٠٨ (ج م ع)، شرح التلويح على التوضيح ١/ ٢٠٨، معترك الأقران في إعجاز القرآن ٣ / ٣١٠ ، ٣١١ ، حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي ٣٧٩/٦ ، الكليات ص ٢٢٣، الْمُهَذَّبُ في عِلْمِ أُصُولِ الفِقْهِ ٣/ ١٣٨٣

(٣) الكليات ص ٦٠٧

وطبقوها في مؤلفاتهم . يقول الرازي : " وَلَا بُدَّ مِنَ الْفَرْقِ بَيْنَ الْبَيَانِ وَبَيْنَ الْهُدَى وَبَيْنَ الْمَوْعِظَةِ، لِأَنَّ الْعَطْفَ يَقْتَضِي الْمُغَايَرَةَ " (١)

وفي موطن آخر يقول : " الْعَطْفُ يَقْتَضِي الْمُغَايَرَةَ بَيْنَ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ ، فَوَجَبَ حُصُولُ الْفَرْقِ بَيْنَ الْهُدَى وَالنُّورِ، فَالْهُدَى مَحْمُولٌ عَلَى بَيَانِ الْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ وَالتَّكَالِيفِ، وَالنُّورُ بَيَانٌ لِلتَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْمَعَادِ" (٢)، ويقول الزَّبيدي: و" هَذِهِ القاعِدَةُ تَقْتَضِي أنَّه لَا بُدَّ فِي المَعْطوفِ أنْ يكونَ غَيْرَ المَعْطوفِ عَلَيْهِ، والمُغايَرَةُ عنْدَ الإطْلاقِ تَقْتَضِي المُبايَنَةَ ؛ لأنَّها المَفْهومُ مِنْهَا عنْدَ أَكْثَر الناسِ ، وإنْ كانَ التَّحْقيقُ : أنَّ بينَ الأعَمِّ والأخَصِّ والعامِّ والخاصِّ والجُزْءِ والكُلِّ مغايَرَةً، ولكنَّ المُغايَرَةَ عنْدَ الإطْلاقِ إنَّما تَنْصرِفُ إِلَى مَا لَا يصدقُ أَحَدُهما على الآخرِ" (٣) ، فالعطف دليل على الدلالة الخاصة؛ لأن " الأصل في باب العطف أن لا يُعطَف الشيءُ على نفسه ، وإنما يعطف على غيره ، وعلة ذلك أن حروف العطف بمنزلة تَكْرار العامل ، وتكرار العامل يلزم معه تكرير المعمول، فإذا ثبت هذا ووجدتَ شيئاً معطوفاً على ما هو في معناه مثل قوله: " كذباً وزوراً " ... فما ذلك إلا لمعنى زائد خفي في اللفظ الثاني"(٤)

وقال أبو هلال العسكري : " والشَّاهِد على أَن اخْتِلَاف الْعبارَات والاسماء يُوجب اخْتِلَاف الْمعَانِي: أَن الِاسْم كلمة تدل على معنى الْإِشَارَة ، وَإِذا أُشير إِلَى الشَّيْء مرّة وَاحِدَة فَعُرِف ، فالإشارة إِلَيْهِ ثَانِيَةً وثالثةً غيرُ مفيدة

(١) مفاتيح الغيب ٩/ ٣٧٠

(٢) السابق ١٢/ ٣٦٥

(٣) تاج العروس ٤٠/ ٤٥٦ ، ٤٥٧ (لا)

(٤) نتائج الفِكَر في النَّحو ، للسُّهَيلي ص ١٨٦

، وواضع اللُّغَة حَكِيم لَا يَأْتِي فِيهَا بِمَا لَا يُفِيد ، فَإِن أُشير مِنْهُ فِي الثَّانِي وَالثَّالِث إِلَى خلاف مَا أُشير إِلَيْهِ فِي الأول كَانَ ذَلِك صَوَابا ، فَهَذَا يدل على أَن كل اسْمَيْنِ يجريان على معنى من الْمعَانِي وَعينٍ من الْأَعْيَان فِي لُغَة وَاحِدَة ، فَإِن كل وَاحِد منهما يَقْتَضِي خلاف مَا يَقْتَضِيهِ الآخَر ، وَإِلَّا كَانَ الثَّانِي فضلا لَا يُحْتَاج إِلَيْهِ ، وَإِلَى هَذَا ذهب الْمُحَقِّقُونَ من الْعلمَاء ... وَعطف الشَّيْء على الشَّيْء وإن كَانَا يرجعان إِلَى شَيْء وَاحِد : إِذا كَانَ فِي أَحدهمَا خلافٌ لآخر، فَأَما إِذا أريد بالثاني مَا أُرِيد بِالْأولِ : فعطف أَحدهمَا على الآخر خطأ ؛ لَا تَقول جَاءَنِي زيد ، وَأَبُو عبد الله ، إِذا كَانَ زيد هُوَ : أَبُو عبد الله وَلَكِن مثل قَوْله :

أَمرتُكَ الْخَيْر فافعل مَا أُمِرتَ بِهِ فقد تركتُك ذَا مَالٍ ، وَذَا نَشَب(١)

وذلك أَن المَال إِذا لم يُقيد فَإِنَّمَا يُعْنى بِهِ الصَّامِت ، كَذَا قَالَ ، والنَّشَبُ مَا يُنشب وَيثبت من العقارات ، وكذلك قَول الحُطَيْئَة :

ألا حبّذاً هندٌ و أرضٌ بها هندُ وهِنْدٌ أتى مِنْ دُونها النَّأْيُ والبُعْدُ (٢)

وَذَلِكَ أَن النَّأي يكون لما ذهب عَنْك إِلَى حَيْثُ بلغ ، وَأدنى ذَلِك يُقَال لَهُ : النَّأيُ ، والبُعْدُ تَحْقِيق التروح والذهابُ إِلَى الْموضع السحيق ، وَالتَّقْدِير:

---

(١) البيت من (البسيط) ، وهو لعمرو بن معدي كرب في ديوانه ص١، الكتاب لسيبويه ١/ ٣٧ ، شرح شواهد المغني ٢/ ٧٢٨ ، النشب : المال الثابت كالضِّياع ونحوِها ، وكأنه أراد بالمال الذي ذَكره قبل ذلك : الإبلُ خاصة ؛لأنها غالب أموال العرب " ينظر شرح الشواهد الشعرية في أمهات الكتب النحوية ، محمد حسن شُرَّاب ١/ ١١٧

(٢) البيت من (الطويل) في ديوانه ص ٧، الصاحبي في فقه اللغة ص ٦٠ ، وبلا نسبة في شرح المُفَصل ١/ ٥٤، ١٩٤، لسان العرب ٣/ ٢٢٣ (سند)، ١٥/ ٣٠٠ (نأي) ، همع الهوامع ٣/ ٣٩

أَتَـى مـن دونهَـا النـأي الَّـذِي يكـون أولَ الْبُعـد ، والبُعـد الَّـذِي يكَـاد يبلـغ الْغَايَة٠٠٠ جَمِيع مَا جَاءَ فِي الْقُرْآن ، وَعَن الْعَرَب من لفظين جاريين مجْرى مَـا ذكرنَـا مـن الْعقل واللـب ، والمعرفـة وَالْعلـم ، وَالْكَسْـب وَالْجَـرْح ، وَالْعَمَـل وَالْفِعْل ، مَعْطُوفًا أَحدهمَا على الآخر، فَإِنَّمَا جَازَ هَذَا فيهمَا ؛ لما بَينهمَا من الْفرق فِي الْمَعْنى"[1] ، والإعجاز يمنع " أَن يكون اللفظان يدلان على معنى وَاحِد ، لِأَن فِي ذَلِك تَكْثِيرًا للغة بِمَا لَا فَائِدَة فِيهِ "[2] ، وحاشا أن يكون كلام الله عديم الفائدة٠

ومن خلال النظر في الألفاظ المتشابهة الدلالة ، والتي اجتمعت في آية واحدة ، تبين أن هناك طريقتين :

الطريقة الأولى : الجمع بين المفردتين بدون حرف عطف مثل : " هنيئًا مريئًا " غَضبانَ أَسِفاَ " " فِجاجًا سُبلًا "

والطريقة الثانية : الجمع بين المفردتين المتشابهتين بحرف العطف مثل " بَثِّي وَحُزْني " ، وقد بيَّن ابن القيم الغرض من ذلك فقال : " فإذا كان المقام مقام تعداد الصفات من غير نظر إلى جمعٍ أو انفراد : حَسُن إسقاط حرف العطف ، وإن أريد الجمع بين الصفات أو التنبيه على تغايرها حسن إدخال حرف العطف" [3]

([1]) الفروق اللغوية ص ٢٢، ٢٣

([2]) السابق ، ص ٢٣

([3]) بدائع الفوائد ٣/ ٥٢

كما وضح ذلك عند بيانه لقوله تعالى: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [سورة التوبة الآية : ١١٢] ، فقال : " كل صفة لم تُعطف على ما قبلها كان فيه تنبيه على أنها في اجتماعها كالوصف الواحد لموصوف واحد فلم يُحْتجْ إلى عطف، فلما ذكر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر – وهما متلازمان مُسْتَمدان من مادة واحدة – حسن العطف لِيُتَبَيَّنْ أن كل وصف منهما قائم على حِدَتِه مطلوب تعيينه ، لا يُكْتفي فيه بحصول الوصف الآخر بل لا بد أن يظهر أمره بالمعروف بصريحة ، ونهيه عن المنكر بصريحة ، وأيضا : فَحَسُنَ العطفَ ههنا ما تقدم من التضاد ، فلما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضدين ، أحدُهما طلبُ الإيجاد ، والآخر طلب الإعدام : كانا كالنوعين المتغايرين المتضادين ، فَحسُن لذلك العطف" [١]، فـ"الْفَاءَ لِلْعَطْفِ، وَمِنْ شَرْطِهِ الْمُغَايَرَةُ ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ الثَّانِي غَيْرَ الْأَوَّلِ عَمَلًا بِحَقِيقَةِ الْعَطْفِ". [٢]

كما أتت الألفاظ التي اقترنت ببعضها دلاليًا من حيث الثباتُ والتغيرُ على نمطين:

النمط الأول : اللفظان المقترنان ثابتان لا يتغيران في الترتيب.

النمط الثاني :التبادل بين اللفظين ، فتارة يُقَدَّم أحدُهما على الآخر، وتارة يؤخر

---

(١) بدائع الفوائد ٣/ ٥٣، ٥٤

(٢) كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام ، الْبَزْدَوِي ٢/ ١٩٣

القسم الثاني

الدراسة التطبيقية للاقتران الدلالي في القرآن الكريم ، وقد قسمتُها فصلين:

الفصل الأول: الألفاظ المقترنة بالعطف.

الفصل الثاني: الألفاظ المقترنة بغير العطف.

الفصل الأول : الألفاظ المقترنة بالعطف.

١- (أثاثًا – متاعًا)

قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمۡ مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴾ [سورة النحل الآية : ٨٠]

من الألفاظ المتشابهة دلاليًا لفظا (الأثاث والمتاع) وقرنهما الحق – عز وجل – في آية واحدة ، ولفظ الأثاث والمتاع بينهما تشابه دلالي كبير جعل البعض يفسرهما بمعنى واحد ، ومن هؤلاء عبد الله ابن عباس – رضوان الله عليهما – فقد فسرَّ الأثاث بالمتاع ، " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْأَثَاثُ: الْمَتَاعُ. وَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالْحَسَنُ، وَعَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ، وَعَطَاءٌ الْخُرَاسَانِيُّ، وَالضَّحَّاكُ، وَقَتَادَةُ " [١]، وهو ما ذهب إليه الفراء فقال : " الأثاث: المتاع " [٢]، وجاء في جامع البيان : " وَأَمَّا الْأَثَاثُ فَإِنَّهُ مَتَاعُ الْبَيْتِ ...وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الْأَثَاثَ هُوَ الْمَتَاعُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

أَهَاجَتْكَ الظَّعَائِنُ يَوْمَ بَانُوا بِذِي الرِّئْيِ الْجَمِيلِ مِنَ الْأَثَاثِ [٣]

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٥٩١

(٢) معاني القرآن ٢/ ١٧١

(٣) جامع البيان ١٤/ ٣١٧ ، والبيت لمحمد بن نُمَيْر الثقفي (من الوافر) في : الكامل ٢/ ١٧٧، جمهرة اللغة ١/ ٥٤ ،مقاييس اللغة ١/ ٨ (أَ ثَ ث) ، معجم البلدان ٥/ ٢٩٨، لسان العرب ١٤/ ٢٩٦ (ر أ ى)

ومع اتفاق جل المفسرين على أن معناهما متقارب ، وأنهما يطلقان على آلات البيت وحوائجه التي يُنْتفع بها في الحياة : اختلفوا في تحديد دلالة كل منهما عند اقترانهما ٠

فقيل : الأثاث أعم من المتاع ، حيث يشمل الأثاثُ جميعَ أنواع المتاع سواء كان من متاع البيت أو غيره . يقول الخليل : " والأَثَاثُ : أَنْواعُ المتاع ، من مَتاعِ البَيْتِ ونحوِهِ" [١]: " والمتاعُ : مَا يَستمتِع بِهِ الْإِنْسَان فِي حَوَائِجه من أمتعة البيت ونحوه من كلّ شيء" [٢]

وقد رجح الطبري هذا القول فقال :" وَأَنَا أَرَى أَصْلَ الْأَثَاثِ اجْتِمَاعَ بَعْضِ الْمَتَاعِ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى يَكْثُرَ، كَالشَّعْرِ الْأَثِيثِ وَهُوَ الْكَثِيرُ الْمُلْتَفُّ" [٣] ، وفي تهذيب اللغة : " الأَثاث: المَال أَجْمع ، الْإِبِل والغَنَم والعَبِيد والمتَاع...والأَثاث: أَنْوَاع المَتاع ، من مَتاع البَيت وَنَحْوه" [٤]، فـ" الأثاثُ ما يتأَثَّثُ بهِ الإنسانُ ، أي يتكثَّرُ، وهوَ مِن قولِهِمْ: نَبْتٌ أَثِيثٌ، وشَعْرٌ أَثِيثٌ، أي كثيرُ الأصولِ، والمَتاعُ ما يُستمتَعُ بهِ ، أي يُنتفَعُ ، ويُقالُ: هَذَا مَتاعٌ لكَ، أي مَنفعةٌ " [٥]

وقيل : " الأَثاثُ: الْكَثِيرُ مِنَ الْمَالِ ، وَقِيلَ: كثرةُ الْمَالِ ، وَقِيلَ: المالُ كلُّه ، والمتاعُ مَا كَانَ مِنْ لِباسٍ أَو حَشْوٍ لفراشٍ " [٦] ، وقد أكد الخازن

---

(١) العين ٨/ ٢٥٣ (أث ث)

(٢) العين ٢/ ٨٣ ، تهذيب اللغة ٢/ ١٧٦(ع ت م)

(٣) جامع البيان ١٤/ ٣١٧

(٤) تهذيب اللغة ١٥/ ١٢٠(ث م أ)

(٥) التَّلخِيص في مَعرفَةِ أسمَاءِ الأشياء ص ١٣٩، ١٤٠

(٦) لسان العرب ٢/ ١١١، المعجم الاشتقاقي ١/ ٢٢٥(أ ث ث)

ذلك فقال : " فإن قلت: أيُّ فرقٍ بين الأثاث والمتاع حتى ذكره بواو العطف – والعطف يوجب المغايرة – فهل من فرق؟ قلت: الأثاث ما كثر من آلات البيت وحوائجه وغيرِ ذلك فيدخل فيه جميع أصناف المال، والمتاع ما ينتفع به في البيت خاصة ، فظهر الفرقُ بين اللفظتين ، والله أعلم " (١)

في حين ذهب الرازي إلى التفريق بوجه آخر فقال : " فَإِنْ قِيلَ: عَطَفَ الْمَتَاعَ عَلَى الْأَثَاثِ – وَالْعَطْفُ يَقْتَضِي الْمُغَايَرَةَ – وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْأَثَاثِ وَالْمَتَاعِ؟ قُلْنَا: الْأَقْرَبُ أَنَّ الْأَثَاثَ مَا يَكْتَسِي بِهِ الْمَرْءُ وَيَسْتَعْمِلُهُ فِي الْغِطَاءِ وَالْوِطَاءِ، وَالْمَتَاعَ مَا يُفْرَشُ فِي الْمَنَازِلِ ويُزَيَّنُ به " (٢)

بينما قال القاسمي :" الأثاث ما يتخذ للاستعمال بِلِبْسٍ أو فرش ، والمتاع ما يتخذه للتجارة ، وقيل هما بمعنى " (٣)، أما ابن عاشور فقد ذهب إلى أن المتاع أعم من الأثاث فقال : " وَالْأَثَاثُ– بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ– اسْمُ جَمْعٍ لِلْأَشْيَاءِ الَّتِي تُفْرَشُ فِي الْبُيُوتِ مِنْ وَسَائِدَ وَبُسُطٍ وَزَرَابِيَّ، وَكُلُّهَا تُنْسَجُ أَوْ تُحْشَى بِالْأَصْوَافِ وَالْأَشْعَارِ وَالْأَوْبَارِ ، وَالْمَتَاعُ أَعَمُّ مِنَ الْأَثَاثِ، فَيَشْمَلُ الْأَعْدَالَ وَالْخَطْمَ وَالرَّحَائِلَ وَاللُّبُودَ وَالْعُقُلَ، فَالْمَتَاعُ: مَا يُتَمَتَّعُ بِهِ وَيُنْتَفَعُ، وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْمتَعِ، وَهُوَ الذَّهَابُ بِالشَّيْءِ " (٤)

ويؤيد ذلك ما ذكره الأزهري قال : " فأمّا الْمَتَاع فِي الأَصْل فكلّ شَيْء يُنتفَع بِهِ ويُتبلَّغ بِهِ ويُتزوَّد؛ والفَناء يَأْتِي عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا " (٥)

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل٣/ ٩٢

(٢) مفاتيح الغيب ٢٠/ ٢٥٣

(٣) محاسن التأويل ٦/ ٣٩٨

(٤) التحرير والتنوير ١٤/ ٢٣٩

(٥) تهذيب اللغة ٢/ ١٧٣(ع ت م)

وأرى أن ما ذهبت إليه د عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) من كون الأثاث يطلق في الغالب على متاع البيت خاصة ، أما المتاع فيشمل أثاث البيت وغيره وهو الْأَوْلَى والمناسب لسياق لفظ المتاع في القرآن الكريم؛ حيث شمل متاع البيت وغيرهِ ، قال تعالى: " ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ١٤]

تقول (بنت الشاطئ) : " ويظهر من استقراء الآيات في الكلمتين أن الأثاث يستعمل- أكثر ما يستعمل- في متاع البيت بخاصة ، ومع ملحظ الوفرة والكثرة ، وقلما استُعْمِل في المعنوي، وأما المتاع ، فعامٌ فيما هو من متاع الدنيا ، غير مقصور على الأثاث ٠٠٠ويَقْوَى هذ الملحظ في الفرق بين خصوص الأثاث وعموم المتاع ، بعطف أحدهما على الآخر في آية النحل. مع تدبر آياتٍ في المتاع ، لا يَقبل سياقُها أن تُحمل الكلمة على معنى الأثاث" (١)

وأيضًا : الأثاث يختص – غالبًا – بالأشياء الأساسية والضرورية للحياة ، بخلاف المتاع الذي يشمل- في الغالب- الأساسياتِ والكماليات أو الضروريات والحاجِياتِ والتحسيناتِ ، ويؤيد ذلك : أن القرآن الكريم استعمل لفظ المتاع في الدلالة على تفضيل بعض الأشخاص للحياة الدنيا ، فقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ

(١) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ص ٣٢٩

مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ [سورة النساء الآية : ٧٧]

أما عن الدلالة التي يفيدها الاقتران فتظهر : في أن سياق الآيات هو سياق بيان نعمة الله تعالى على عباده في أنه جعل لهم بيوتًا دائمة وبيوتًا متنقلة ، وجعل لهم من جلود الأنعام وأوبارها وأصوافها وأشعارها أثاثًا ومتاعًا ، فناسب ذلك بيان أصل النعمة وكمالِها ، وأنه – سبحانه – جعل لهم الضروريات

(الأثاث) والكماليات (المتاع) الدائم والمتنقل ، فكل لفظ له سمات دلالية خاصة زائدة عن معناه الأصلي .

٢- (إِلًّا - ذِمَّةً)

قال تعالى: ﴿ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ ﴾ [سورة التوبة من الآية : ٨] ، وقوله تعالى: ﴿ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ﴾[سورة التوبة الآية:١٠]

من الألفاظ القليلة الذِّكْر في القرآن الكريم : لفظُ (الإلِّ) ؛ حيث لم يرد إلا مرتين في موطن واحد وموضوع واحد ، بل ومع لفظ واحد وهو لفظ (الذمة) مما يدل على أن بين اللفظين ارتباطًا دلاليًا معينًا ناتجًا عن اقترانهما، وقد اختلف أهل اللغة والتفسير في دلالة (الإل) فقيل :" الإلّ: الرّبوبيّة ، والإلّ: قُرْبَى الرَّحِم " [١] وقيل : " الإلُّ بالكسر، هو الله عزّ وجلّ ،

([١]) العين ٨/ ٣٦٠ ، ٣٦١ (أ ل ل)

والإلُّ أيضًا: الْعَهْدُ والقرابة " [1] ، وفي تحفة الأريب : " الإلُّ: قيل: الله ، والْعَهْدُ ، والْقَرَابَةُ ، والْحَلِفُ " [2] ، وقد ذكر ابن فارس هذه المعانيَ للفظ (الإلُّ) فقال: " الْهَمْزَةُ وَاللَّامُ فِي الْمُضَاعَفِ ثَلَاثَةُ أُصُولٍ: اللَّمَعَانُ فِي اهْتِزَازٍ، وَالصَّوْتُ، وَالسَّبَبُ يُحَافَظُ عَلَيْهِ... وَالْمَعْنَى الثَّالِثُ: الْإِلُّ: الرُّبُوبِيَّةُ ، وَقَالَ قَوْمٌ: هِيَ قُرْبَى الرَّحِمِ ، الْإِلُّ كُلُّ سَبَبٍ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَالْإِلُّ: الْعَهْدُ . [3]

أما عن معنى (الذِّمة) في اللغة فورد أنها بمعنى : الْعَهْدِ ، والكَفالةِ ، وَالْأَمَانِ ، وَالضَّمَانِ [4] " قال ابن عطية : " والذمة كل ما يجب أن يُحفظ ويُحمَى، ومَنْ رأى أن (الإل) العهدُ : جعلهما لفظتين مختلفتين لمعنى واحد أو متقارب، ومن رأى (الإل) لغير ذلك فهما لفظان لمعنيين " [5] ، وقد ذهب الزَّجَّاج إلى أن " حقيقة (الإلّ) عَلَى مَا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ : تحديدُ الشَّيْءِ، فَمِنْ ذَلِكَ الأَلَّة الحَرْبة لأَنها مُحَدَّدَةٌ ، وَمِنْ ذَلِكَ أُذن مُؤَلَّلَة إِذا كَانَتْ مُحَدَّدَةً ، والإلُّ يُخَرَّجُ فِي جَمِيعِ مَا فُسِّرَ مِنَ الْعَهْدِ والجِوَار، عَلَى هَذَا ، وكذلك القرابَة، فإذا قُلْتَ فِي الْعَهْدِ : بَيْنَهُمَا إِلٌّ، فتأْويله : أَنهما قَدْ حَدَّدَا فِي أَخذ الْعَهْدِ، وإِذا قُلْتَ فِي الجِوَار بَيْنَهُمَا إِلٌّ، فتأْويله : جِوَار يُحَادُّ الإِنسان، وإِذا قُلْتَهُ فِي الْقَرَابَةِ، فتأْويله الْقَرَابَةُ الَّتِي تُحادّ الإِنسان" [6]

([1]) الصحاح ٤/ ١٦٢٦ (أ ل ل)

([2]) تحفة الأريب ص ٤٩(أ ل ل) ، وينظر : معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٤٣٣

([3]) ينظر : مقاييس اللغة ١/ ١٨: ٢١ (أَ ل ل)

([4]) ينظر : تهذيب اللغة ١٤/ ٣٠٠ (ذ م م) ، لسان العرب ١٢ / ٢٢١، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب ص ١٢٩، المصباح المنير ١/ ٢١٠، معجم اللغة العربية المعاصرة ١/ ٨٢١ ، المعجم الاشتقاقي ٢/ ٧٢٣(ذ م م)

([5]) المحرر الوجيز ٣/١٠

([6]) معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٤٣٤

وقال الطبري : " وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: {لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً} فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ: لَا يُرَاقِبُوا اللَّهَ فِيكُمْ وَلَا عَهْدًا ... وَقَالَ آخَرُونَ: الْإِلُّ: الْقَرَابَةُ ، وَلَكِنَّهُ كُرِّرَ لَمَّا اخْتَلَفَ اللَّفْظَانِ وَإِنْ كَانَ مَعْنَاهُمَا وَاحِدًا ، قَالَ: فَالْكَلِمَةُ وَاحِدَةٌ وَهِيَ تَفْتَرِقُ، قَالَ: وَالْعَهْدُ هُوَ الذِّمَّةُ " (١)

وقَالَ : " وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَخْبَرَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أَمَرَ نَبِيَّهُ وَالْمُؤْمِنِينَ بِقَتْلِهِمْ بَعْدَ انْسِلَاخِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ وَحَصْرِهِمْ وَالْقُعُودِ لَهُمْ عَلَى كُلِّ مَرْصَدٍ أَنَّهُمْ لَوْ ظَهَرُوا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَرْقُبُوا فِيهِمْ إِلًّا، وَالْإِلُّ: اسْمٌ يَشْتَمِلُ عَلَى مَعَانٍ [كثيرة]: وَهِيَ الْعَهْدُ ، وَالْعَقْدُ، وَالْحِلْفُ، وَالْقَرَابَةُ، وَهُوَ أَيْضًا بِمَعْنَى اللَّهِ. فَإِذْ كَانَتِ الْكَلِمَةُ تَشْمَلُ هَذِهِ الْمَعَانِي الثَّلَاثَةَ، وَلَمْ يَكُنِ اللَّهُ خَصَّ مِنْ ذَلِكَ مَعْنًى دُونَ مَعْنًى، فَالصَّوَابُ أَنْ يَعُمَّ ذَلِكَ كَمَا عَمَّ بِهَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ مَعَانِيَهَا [كثيرة]، فَيُقَالُ: لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ اللَّهَ، وَلَا قَرَابَةً، وَلَا عَهْدًا، وَلَا مِيثَاقًا " (٢)

وذهب ابن عاشور إلى أن : " الْإِلُّ: الْحِلْفُ وَالْعَهْدُ ، وَيُطْلَقُ الْإِلُّ عَلَى النَّسَبِ وَالْقَرَابَةِ. وَقَدْ كَانَتْ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْسَابٌ وَقَرَابَاتٌ، فَيَصِحُّ أَنْ يُرَادَ هُنَا كِلَا مَعْنَيَيْهِ ، وَالذِّمَّةُ مَا يَمُتُّ بِهِ مِنَ الْأَوَاصِرِ مِنْ صُحْبَةٍ وَخُلَّةٍ وَجِوَارٍ مِمَّا يَجِبُ فِي الْمُرُوءَةِ أَنْ يُحْفَظَ وَيُحْمَى، يُقَالُ: فِي ذِمَّتِي كَذَا، أَيْ أَلْتَزِمُ بِهِ وَأَحْفَظُهُ " (٣) ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ مَنِ اسْتَعْمَلَ الْإِلَّ بِمَعْنَى الْعَهْدِ أَرَادَ بِهِ الْمُطْلَقَ مِنْهُ (٤) ، " والمعاني كلها تَلْفِتُنَا إلى وجود نوع من التراحم، بحيث

---

(١) جامع البيان ١١/ ٣٥٤، ٣٥٩

(٢) جامع البيان ١١/ ٣٥٨

(٣) التحرير والتنوير ١٠/ ١٢٤

(٤) تفسير المنار ١٠/ ١٦٧

بحيث لا تتملك الإنسانَ القسوة أو انفلات الانفعال، وليجعلْ الإنسان لنفسه من يقول له: " اهدأ إنه جارك أو من قوم بينهم وبين مَنْ تعاهدون صلةُ قرابة " ؛ لأن الذي يجعل الإنسان لا يميل إلى الشر ولا يستشري فيه ساعةَ يحفِزَه الأمر؛ هو مراعاة الملابسات كلها، وهكذا يتدخل الحوار، ولكن قد توجد قرابة أو عهد أو قسم أو جوار ليمنع البطش بقسوة ، أي إن " إِلًّا " هو الأمر الذي يمنع الرد بقسوة على شيء قد يكون وقع خطأ. والمعنى أيضا هو عدم احترام لكل القيم؛ عدمُ احترام للقرابة أو الجوار أو العهد أو القسم، فإذا تمكن رجل قوي من طفل صغير لم يراع فيه أيا من هذه الأشياء ، ويريد الحق أن نعلم أن المشركين إذا تمكنوا من المؤمنين فهم لا يراعون فيهم قرابة ولا عهداً ولا حِلْفاً ولا جواراً ولا قسماً ولا أيَّ شيء. إذن فكيف يكون للمشركين عهد؟ وهم إن تمكنوا من المؤمنين لا يراعون فيهم شيئا أبداً "[1]

وأرى – والله أعلم – أن القرآن الكريم قرن لفظ (الإل) مع لفظ (الذمة) لدلالة خاصة وهي الإشارة إلى أن هؤلاء الناس لا يراعون فيهم أي شيء ، أي لا يقيمون وزنا لأي سبب من أسباب المراعاة ،لا لدين، ولا لِخُلِق ، ولا لجوار ، ولا لعهد، ولا لِعُشْرة ، ولفظ الإل مع الذمة هو من أفاد هذه الدلالة.

٣- (البأساء – الضراء) :

قال تعالى : ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ [سورة البقرة من الآية : ١٧٧] ، وقوله تعالى : ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ

([1]) تفسير الشعراوي ٩٤٠٢/٨

مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٢١٤] ، وقوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [سورة الأنعام الآية : ٤٢]، وقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ [سورة الأعراف الآية : ٩٤]

الابتلاءات التي تصيب الإنسان مختلفة ، ومتعددة ، ومتنوعة ؛ فقد تكون في النفس أو المال أو الأولاد أو غيرِ ذلك ، وقد استعمل القرآن الكريم للدلالة على ذلك بعض الألفاظ ، وعند النظر في تلك الألفاظ اتضح أن القرآن الكريم قرن بين لفظين من الألفاظ الدالة على الابتلاءات ، وهما لفظا (البأساء والضراء) ، وقد تكرر هذا الاقتران أربع مرات في القرآن الكريم ، بل إن صيغة (بأساء) لم ترد في القرآن الكريم إلا مقترنة مع (الضراء) ، مما يدل على أن هذا الاقتران مقصود دلاليًا، وبالرجوع إلى أهل اللغة اتضح أن اللفظين متقاربان دلاليًا ، حيث ردهما الْجَوْهَرِيُّ إلى الشدة فقال : " والبَأْساءُ والضَّرَّاء : الشِّدَّةُ ، وَهُمَا اسْمَانِ مُؤَنَّثَانِ مِنْ غَيْرِ تَذْكِيرٍ" [1] ، في حين رد ابن فارس البأساء إلى الشدة فقال : " بَأْسٌ: الْبَاءُ وَالْهَمْزَةُ وَالسِّينُ

(1) الصحاح ٢/ ٧٢٠ ، لسان العرب ٤/ ٤٨٣ (ض ر ر)

أَصْلٌ وَاحِدٌ الشِّدَّةُ وَمَا ضَارَعَهَا، فَالْبَأْسُ الشِّدَّةُ فِي الْحَرْبِ ... وَالْبُؤْسُ: الشِّدَّةُ فِي الْعَيْشِ. وَالْمُبْتَئِسُ الْمُفْتَعِلُ مِنَ الْكَرَاهَةِ وَالْحُزْنِ" [1]، قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ:

مَا يَقْسِمِ اللَّهُ أَقْبَلْ غَيْرَ مُبْتَئِسٍ مِنْهُ ، وَأَقْعُدْ كَرِيمًا نَاعِمَ الْبَالِ [2]

وَرَدَّ الضراءَ إلى الضر الذي هو ضد النفع فقال : " ضَرَّ ؛ الضَّادُ وَالرَّاءُ ثَلَاثَةُ أُصُولٍ: الْأَوَّلُ : خِلَافَ النَّفْعِ، وَالثَّانِي: اجْتِمَاعُ الشَّيْءِ، وَالثَّالِثُ : الْقُوَّةُ ، فَالْأَوَّلُ الضَّرُّ: ضِدُّ النَّفْعِ ، وَيُقَالُ: ضَرَّهُ يَضُرُّهُ ضَرًّا ، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَى هَذَا كُلُّ مَا جَانَسَهُ أَوْ قَارَبَهُ" [3] ، ويقول الخليل : " والضَّرَرُ: النُّقصان يدخُلُ في الشيء، تقول: دَخَلَ عليه ضَرَرٌ في ماله ، ورجلٌ ضَريرٌ: بيّنُ الضَّرارة، وقَومٌ أضِرّاء: ذاهبو البَصَر. ورجلٌ ضَريرٌ وامرأةٌ ضَريرةٌ: أضَرَّه المَرَضُ، والضريرُ: المريضُ"[4]

فهناك تقارب دلالي كبير بين (البأساء والضراء) حتى إنه يجوز استخدام أحدهما مكان الآخر في غير القرآن الكريم ، لكنَّ جَمْع القرآنِ الكريم بينهما يفيد أن لكل منهما دلالةً خاصة ، وقد اختلف العلماء في تحديد الدلالة الخاصة لكل منهما ، فذهب الزّجاج إلى أن : " البأْسَاءُ الجوعُ ،

([1]) مقاييس اللغة ١/ ٣٢٨(ب أ س)

([2]) البيت من (البسيط) في : ديوانه ص ١٧٢، وبلا نسبة في : مقاييس اللغة ١/ ٣٢٨، المخصّص ٣/ ٤٧٢، أساس البلاغة ١/ ٤٣ ، لسان العرب ٦/ ٢١ ، تاج العروس ١٥/ ٤٣٤ (ب أ س)

([3]) مقاييس اللغة ٣/ ٣٦٠ (ضَ ر ر)

([4]) العين ٧/ ٧ (ض ر ر)

وَالضَّرَّاءُ النَّقْصُ في الأَمْوال والأَنْفُس " [١] ، وهو ما ذكره الصغاني فقال : " البأساء في الأموال وهو الفقر، والضراء في الأنفُسِ وهو القتل" [٢]

وجاء في تهذيب اللغة : بَأْس " من البُؤْس ، وَهُوَ الفَقْر، بَئِسَ الرجُل يَبْأسُ بُؤْساً وبَأْساً وبَئيساً: إِذا افْتَقَرَ، فَهُوَ بائس، أَي: فَقير" [٣]

بينما جعل البقاعي" البأساء (فَعْلاء) من البؤس ، وهو سوء الحال والفاقة ، وفقد المنة عن إصلاحه، والضراء مرض البدن وآفاته، فكان البأساء في الحال والضراء في البدن" [٤]

أما الفيروز آبادى فقد جعل الضراء يشمل المال والبدن ، فقال : " ضرّه ضَرَرًا وضَرًّا، وضَرُورة وَضَرُوراءَ ، وضاروراء، وهو سُوءُ الحال، إِمّا في نفسه ، كقلّة العلم والفضل والعفّة، وإِمّا في بدنه ، كعدم جارحةٍ ونقص، وإِمّا في حالة ظاهرة من قلّة مال وجاه " [٥]

بينما ذهب العسكري إلى أَن البأساء والضراء يشتركان في الدلالة العامة ، لكن البأساء أشد من الضراء فقال : " البأساء ضراء مَعهَا خوف ،

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٢٤٨ ، تهذيب اللغة ١٣/ ٧٣ ، المحكم ٨/ ٥٦٢(س ب أ) ، لسان العرب ٦/ ٢١(ب أ س)

(٢) العُباب الزاخر ص ٦٤

(٣) تهذيب اللغة ١٣ / ٧٣ (س ب أ)

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣/ ٩

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٣/ ٤٦٨

وأصلها الْبَأْس ، وَهُوَ الْخَوْف ، يُقَال : لَا بَأْس عَلَيْك أَي لَا خوف عَلَيْك ، وَسُميت الْحَرْب بَأْسا ؛ لما فِيهَا من الْخَوْف " [1]

من خلال ما سبق : أرى – والله أعلم – أن لفظ الضُّر يشمل جميع أنواع الضرر في : المال ، أو الحال ، أو النفس ، أما البؤس فيخصص بـ : الضرر والشدة في الحال والمال ، لكن لا يشمل البدن، فبينهما عموم وخصوص ، فالضراء أعم من البأساء؛ لأنه يستخدم للدلالة على سوء الحال والبدن ، بينما البأساء خاص بالحال والمال، ولا يشمل البدن.

ويدل على ذلك استعمال القرآن الكريم والسنة النبوية ، حيث استعمل القرآن الكريم الضراء في مقابلة السراء قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ١٣٤] ، فَإِنَّهُ يَعْنِي: فِي حَالِ السُّرُورِ بِكَثْرَةِ الْمَالِ، وَرَخَاءِ الْعَيْشِ... وَالضَّرَّاءُ: إِذَا أَصَابَهُ الضِّيقُ وَالْجَهْدُ فِي عَيْشِهِ [2]، وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [سورة الأعراف الآية : ٩٥] يعني الشدة والرخاء.[3]

وكذلك السنة النبوية ، فقد روى الترمذي عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: " ابْتُلِينَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالضَّرَّاءِ فَصَبَرْنَا، ثُمَّ ابْتُلِينَا

---

(1) الفروق اللغوية ص ١٩٨

(2) جامع البيان ٦/ ٥٦

(3) تفسير مقاتل بن سليمان ٢/ ٥١

بِالسَّرَّاءِ بَعْدَهُ فَلَمْ نَصْبِرْ" [١] ، فـ " الضَّرَّاء: الْحَالَةُ الَّتِي تَضُرُّ، وَهِيَ نَقِيضُ السّرّاء ... يُرِيدُ إِنَّا اختُبِرنا بِالْفَقْرِ والشِّدة وَالْعَذَابِ فَصَبَرْنَا عَلَيْهِ، فلمَّا جَاءَتْنَا السَّرَّاءُ، وَهِيَ الدُّنْيَا والسَّعه وَالرَّاحَةُ بطِرنا وَلَمْ نَصْبِرْ" [٢] ، مما يدل على أن الضراء يقصد بها هنا الضراء في المال والحال.

كما استعمل القرآن الكريم والسنة النبوية الضرر في البدن ، قال تعالى:" ﴿ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ [سورة النساء من الآية : ٩٥] فالمراد بالضرر : العلل الضّارّة المانعة عن المقاصد ، سواء كانت في البصر أم غيره" [٣] ، " أَيْ: غَيْرُ أُولِي الزَّمَانَةِ وَالضَّعْفِ فِي الْبَدَنِ وَالْبَصَرِ"[٤]، فأولو الضرر: أصحاب الأمراض والعاهات" [٥]

وروى البخاري في صحيحه : " عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ البَرَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة النساء من الآية: ٩٥] " دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدًا، فَجَاءَ بِكَتِفٍ فَكَتَبَهَا، وَشَكَا ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ضَرَارَتَهُ، فَنَزَلَتْ: ﴿ لَّا يَسْتَوِي

---

(١) سنن الترمذي ٤/ ٢٢٣، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حديث رقم (٢٤٦٤)

(٢) النهاية في غريب الحديث الأثر ٣/ ٨٢

(٣) دَرْجُ الدُّرر في تَفسِير الآيِ والسُّوَر ١/ ٥٢٠

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن ١/ ٦٨٢

(٥) التفسير الوسيط ٢/ ٨٨٥

﴿ ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ ﴾ [سورة النساء من الآية : ٩٥] (١) "

أيضًا القرآن الكريم استخدم البأساء في حال الشدة في المال والحال والقتال ، ولم ترد بمعنى الأمراض ، قال تعالى : ﴿ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴾ [سورة النساء الآية : ٨٤] ، يقول الزجاج : " البأس الشدة في كل شيءٍ "(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ [سورة الأنعام الآية : ٦٥] أي " يسلط بعضكم على بعض بالقتل "(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سورة الأحزاب الآية : ١٨] " يعني: ولا يحضرون القتال إلا قليلاً" (٤)

---

(١) صحيح البخاري ٤/ ٣٠ ، كتاب التفسير ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ ﴾ ، حديث رقم (٢٨٣١)

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٨٥

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية ٣/ ٢٠٥٥

(٤) بحر العلوم ٣/ ٥٢

والملاحِظ لجميع الآيات التي قرنت البأساء مع الضراء يجدُ أنها تتحدث عن العموميات، بمعنى : أنها تتحدث عن الصابرين، وأنهم لن يدخلوا الجنة إلا بعد ابتلائهم ، وأن الله ابتلاهم بالبأساء والضراء في النفس والمال حتى يتضرعوا.

٤- (بثي – وحزني)

قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [سورة يوسف الآية : ٨٦]

الانفعالات النفسية عامةً والمؤلمة خاصةً متداخلةً ومتشابهةً ، ومن ثَمَّ تجد ألفاظها متشابهة الدلالة ، ومن تلك الألفاظ المتشابهة التي اقترنت معا في آية واحدة في كتاب الله تعالى لفظا (البث – والحزن) ؛ حيث وردا على لسان نبي الله يعقوب – عليه السلام – عند إفصاحه عن شعوره على فُقدان يوسف – عليه السلام – وأغلب العلماء على أن الدلالة العامة للبث هي (الحزن) ، حتى قال بعضهم " البثّ: الحُزْن الَّذِي تُفْضِي بِهِ إِلَى صَاحبك " [١] ، و" أصل البث الْحزنُ " [٢] فـ " معناهما واحد وإن اختلف اللفظ " [٣] " من عطف الشيء على رديفه ، أو على مرادفه [٤] ، وقد ذكرهما كُرَاعُ النَّمل ضمن " بَابُ إِعَادَةِ المَعْنَى إذاَ اخْتَلَفَ اللَّفْظَانِ " [٥] ،

([١]) تهذيب اللغة ١٥/ ٥١ (ث ب)

([٢]) مشارق الأنوار على صحاح الآثار ١/ ٧٨

([٣]) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الْكُلوم ١/ ٣٨٤

([٤]) الفروق اللغوية ص ١٨٥ ، مؤسسة النشر الإسلامي ، المعجم الوسيط ٢/ ١٠٠٦

([٥]) المنتخب من غريب كلام العرب ١/ ٦٢٢، ٦٢٣

فقيل : " والمترادفان مثل: {بَثِّي وَحُزْنِيٓ } [١] ، و" إنما سمي الحُزْنُ البثَّ ، لِأَنَّ صَاحِبَهُ لَا يَصْبِرُ عَلَيْهِ حَتَّى يَبُثّه أي: يَفْشُوَه " [٢]

ولكن لما قرن الله تعالى بين (البث والحزن) دل ذلك على أن لكل لفظ دلالةً خاصةً ، وقد حاول العلماء الوقوف على تلك الدلالة الخاصة من خلال بيانهم الفروقَ الدلالية بين اللفظين ، فقيل : " البثّ: غير الحزن ، لقوله تعالى : {بَثِّي وَحُزْنِيٓ } [٣] ، حتى فرق بينهما العسكري فقال : " الْفرق بَين الْحزن والبث : أَن قَوْلنَا (الْحزنُ) يُفِيد غِلَظ الْهمُّ ، وَقَوْلنَا (البث) يُفِيد أَنه يَنْبَثُّ وَلَا يَنْكَتِم ٠٠٠قال تَعَالَى (إِنَّمَا أَشْكُو بثي وحزني إِلَى الله) فعطف البث على الْحزن لما بَينهمَا من الْفرق فِي الْمَعْنى [٤] ، وقيل: " البثُّ: ما أبداه ، والحزن: ما أخفاه ، لأن الحزن مستكنّ في القلب، والبَثُّ: ما بُثَّ وأُظهر". [٥] [٥] ، وذهب البعض إلى أن " البث هو أشد الحزن ، لا يصبر عليه صاحبه صاحبه حتى يَبُثَّه ، أي: يَشْكُوَه " [٦] وَقَالُوا " الْبَثُّ أَشَدُّ الْحُزْنِ ٠٠٠ وَالْحُزْنُ

---

(١) الكليات ص ٣١٥

(٢) بحر العلوم ٢٠٧/٢ ، معالم التنزيل في تفسير القرآن ٢/ ٥٠٩

(٣) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ١/ ٣٨٤

(٤) الفروق اللغوية ص ٢٦٧

(٥) شمس العلوم لنشوان الحميرى ١/ ٣٨٤

(٦) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب ص ٦٢، المعجم الوسيط ١/ ٣٨ ، معجم اللغة العربية المعاصرة ١/ ١٥٨ (ب ث ث)

أَشَدُّ الْهَمّ " [١] أي " إِنَّمَا أَشْكُو خَبَرِي الَّذِي أَنَا فِيهِ مِنَ الْهَمّ، وَأَبُثُّ حَدِيثِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ " [٢]

وقيل : " البث: مَا يجده الرجل فِي نَفسه من كرب أَو غم " [٣] ، وقيل : " يعني همي وحزني " [٤] ، وقيل : همي وغمي [٥] ، فـ " البث: أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه، فيبثه إلى الناس أي ينشره " [٦] ، وقيل : البث المصيبة التي لا قدرة لأحد على كتمانها فيبثها وينشرها. [٧]

من خلال ما سبق يتضح أن (البث) يشترك مع (الحزن) في الدلالة العامة ، لكنْ له دلالةً خاصةً ، هي : الوصول إلى مرحلة (الهم ، والغم ، والحزن الشديد ، والألم ، والضيق النفسي ، والأسف) الذي يصعب معه كظمه ، وهي الدلالة المرادة هنا ، ويؤيد ذلك أن يعقوب – عليه السلام – كتم وصبر على فقدان يوسف وأخيه ، ومكائدِ إخوته ، وكَظَمَ كُلَّ ذلك ، ولم يُخْرِجْه لأحد حتى لم يعد يتحمل كبت كل هذه المعاناة فبثها إلى الله تعالى ، ويؤكد ذلك دلالة لفظ (البث) في اللغة والقرآن الكريم فـ " أصل البَثِّ: التفريقُ وإثارة الشيء كَبثِّ الريحِ الترابَ ، وبثّ النفس ما انطوت عليه

---

(١) مجاز القرآن ١/ ٣١٧ ، فقه اللغة وسر العربية ص ١٣٠ ، الغريبين في القرآن والحديث ١٤٠/١ ، مفاتيح الغيب ١٨/ ٥٠٠ ، معجم تصحيح لغة الإعلام العربي ص ٥٦

(٢) تفسير الطبري ١٣/ ٣٠٦

(٣) جمهرة اللغة ١/ ٦٣(ب ث ث)

(٤) تفسير التستري ص ٨٢

(٥) بحر العلوم ٢٠٧/٢

(٦) الكشاف ٤٩٩/٢

(٧) التفسير الوسيط ٥/ ٣٧٢

من الغمّ والسّرّ، يقال: بَثَثْتُهُ فَانْبَثَّ، ومنه قوله عزّ وجل: ﴿ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾ [سورة الواقعة الآية : ٦] ، وقوله عزّ وجل: ﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ﴾ [سورة البقرة من الآية : ١٦٤] إشارة إلى إيجاده تعالى ما لم يكن موجودا وإظهاره إياه ، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ [سورة القارعة من الآية : ٤] أي: المُهَيَّج بعد ركونه وخفائه ، وقوله عزّ وجل: ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ ﴾ [سورة يوسف من الآية : ٨٦] أي: غمّي الذي أبثّه عن كتمان "[١] ، قال ابن فارس : " الْبَاءُ وَالثَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ تَفْرِيقُ الشَّيْءِ وَإِظْهَارُهُ؛ ... وَأَمَّا الْبَثُّ مِنَ الْحُزْنِ فَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا، لِأَنَّهُ شَيْءٌ يُشْتَكَى وَيُبَثُّ وَيُظْهَرُ "[٢]

فـ" البث " ما في صدر الإنسان مما هو مُعتَزِم أن يبثه وينشره ، وأكثر ما يستعمل " البث" في المكروه ... وقد يستعمل " البث" في المَخْفِيّ على الجملة ".[٣] فـ " حقيقة البث في اللغة: ما يَرِدُ على الإنسان من الأشياء المُهْلِكة التي لا يتهيأ له أن يخفيَها ، وهو مِنْ بثثتُه ، أي فرّقتهُ "[٤]

فلفظ البث للدلالة على أن الحزن استولى عليه حتى إنه لم يستطع كتمانه ، " وَذَلِكَ لِأَنَّهُ مَتَى أَمْكَنَهُ أَنْ يَمْسِكَ لِسَانَهُ عَنْ ذِكْرِهِ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ

---

(١) المفردات في غريب القرآن ص ١٠٨

(٢) المقاييس ١/ ١٧٢ (ب ث ث)

(٣) المحرر الوجيز ٢٧٣/٣

(٤) المعجم الاشتقاقي ١/ ٧٢ (ب ث ث)

الْحُزْنُ مُسْتَوْلِيًا عَلَيْهِ ، وَأَمَّا إِذَا عَظُمَ وَعَجَزَ الْإِنْسَانُ عَنْ ضَبْطِهِ وَانْطَلَقَ اللِّسَانُ بِذِكْرِهِ – شَاءَ أَمْ أَبَى – كَانَ ذَلِكَ بَثًّا ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ صَارَ عَاجِزًا عَنْهُ وَهُوَ قَدِ اسْتَوْلَى عَلَى الْإِنْسَانِ ، فقوله: بثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ، أَيْ لَا أَذْكُرُ الْحُزْنَ الْعَظِيمَ وَلَا الْحُزْنَ الْقَلِيلَ إِلَّا مَعَ اللَّه " [1] ، " والخلاصة أن البثّ هنا هو الحزن المبثوث ... أو أنه يشكو إلى الله أنه يَبُثُّ ولا يستطيع أن يَكْظِم، كأنما يطلب المعونة على الكظم " [2]

٥- (بَخْسًا – رَهَقًا)

قال تعالى : " ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ [سورة الجن الآية : ١٣]

الناظر في القرآن الكريم يجد الحق – سبحانه وتعالى – يهتم بقضية العدل وحصول كل إنسان على حقه اهتماما كبيراً ، ومن ثم نجد الله عز وجل يؤكد ذلك بدلالات متعددة ، ومن ثم استخدم القرآن الكريم ألفاظا متشابهة الدلالة لنفي الظلم ، ومن ذلك (البَخْسُ ، والرَّهَق) فهما يشتركان في كونهما ظلما ، لكن " البخس : نقض الشيءِ على سبيل الظلم ، بينما الرهق : ظلمٌ ومشقة عليه بالزيادة في آثامه وسيئاته. [3]

وقد اتفقت كلمة جمهور المفسرين على أن الدلالة المقصودة من البخس والرهق هنا أَن : من يُصَدِّق بالله فإنه لا يخشى نقصانًا من حسناته ،

---

(١) مفاتيح الغيب ١٨/ ٥٠٠

(٢) المعجم الاشتقاقي ١/ ٧٢ (ب ث ث)

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم١٠/١٦١٨

وإنما يُجَازي عليها كُلِّها الجزاءَ الأَوفى ، ولا يخاف – كذلك – أَن يُرْهَق ويُشَق عليه بالزيادة في آثامه وسيئاته أَو تَغْشاه ذلة ، فَعَدْلُ الله قائم ، وفي ذلك يَقُولُ الطبري : " فَمَنْ يُصَدِّقْ بِرَبِّهِ {فَلَا يَخَافُ بَخْسًا} [الجن: ١٣] : يَقُولُ: لَا يَخَافُ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَلَا يُجَازَى عَلَيْهَا؛ وَلَا رَهَقًا : وَلَا إِثْمًا يُحْمَلُ عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِ غَيْرِهِ، أَوْ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا " [١] قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء الآية : ٤٠] ، لكن ذهب سفيان – رحمه الله – إلى أن الدلالة المرادة من البخس : أن يُبْخَس حَقّهُ كُلّهُ والدلالة المرادة بالرَّهَق : أن يُبْخَس بعضَ حقه. [٢] ، كما ذهب السمرقندي إلى أن: " الرهق: الظلمُ : أن يجعل ثوابُ عمله لغيره. والبخس النقصان من ثواب عمله " [٣] ، " وَالْمَعْنَى: لَا يَخَافُ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ حَسَنَاتِهِ وَلَا أَنْ يُزَادَ فِي سَيِّئَاتِهِ " [٤]

([١]) جامع البيان ٢٣ / ٣٣٢ ، الهداية إلى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ١٢/ ٧٧٧٠، التفسير الوسيط للواحدي ١٠/١٦٢٠

([٢]) تفسير الثوري ص ٢٨٤

([٣]) بحر العلوم ٣/ ٥٠٥

([٤]) فتح القدير ٥/ ٣٦٨

فالبخس نقص الشيء على سبيل الظلم ، تَبْخَسُ حَقَّه : تعطيه أقلَّ من حقه تكون – قد – ظلمته ... تقول بخسه حقه إذا نقصه ، إذن اللغة عندها دقة في التعبير ، فليس مجرد نقص الشيء فقط يعني البخس ، إنما على سبيل الظلم ...الرهق الظلم والذلة والقهر وهو غِشْيان المحارم والذِلَّة ، أرهقه الأمر أي أذله، أرهقه الأمر أي غشيه بقهر قهره وأتعبه" [١]

فاللغة والسياق يرجحان قول جمهور المفسرين ، أما اللغة : فلأن البخس: جاء في اللغة بمعنى النقص [٢] قال ابن فارس : " (بَخَسَ) الْبَاءُ وَالْخَاءُ وَالسِّينُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ النَّقْصُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾ [سورة يوسف من الآية : ٢٠]، أَيْ: نَقْصٍ " [٣]، وقيل : البَخْسُ: الظلم، تَبْخَسُ أَخَاك حقَّه فتَنْقُصُه، كَمَا يَبْخَسُ الكَيَّالُ مِكْيَالَه فَيَنْقُصُهُ. [٤]

ومن معاني الرَّهَقُ في اللغة : الكَذِب ، العَظَمَةُ ، الظُّلم، العَيْب. (٥) ، قال الأزهري : الرَّهَقُ، اسمٌ من الإرهاق، وَهُوَ: أَن يُحمَلَ عَلَيْهِ مَا لَا يطيقه"[٦]

---

(١) لمسات بيانية لسور القرآن الكريم ، د . فاضل صالح السامرائي ص ٤٧

(٢) الجيم للشيباني ١/ ٨٣ ، الصحاح ٣/ ٩٠٧ (ب خ س)، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب ص ٧١ ،

(٣) مقاييس اللغة ١/ ٢٠٥ (ب خ س)

(٤) العين ٤/ ٢٠٣ ، جمهرة اللغة ١/ ٢٨٩ ، تهذيب اللغة ٧/ ٨٨(خ س ب)

(٥) العين ٣/ ٣٦٧ ، (ه ق ر) ، الصحاح ٤/ ١٤٨٧، مقاييس اللغة ٢ / ٤٥١، لسان العرب ١٠ / ١٣١(ر ه ق)

(٦) تهذيب اللغة ٥/ ٢٥٩ (ه ق ر)

أيضا لفظ الرهق سبق وأن ذُكِر في السياق في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [سورة الجن الآية : ٦] أَيْ: زَادَ رِجَالُ الْجِنِّ مَنْ تَعَوَّذَ بِهِمْ مِنْ رِجَالِ الْإِنْسِ رَهَقًا، أَيْ: سَفَهًا وَطُغْيَانًا، أو تَكَبُّرًا وَعُتُوًّا " [١]، فنفىَ سبحانه وتعالى البخسَ والرهق ؛ لأن " البخس ظلم والرهق ظلم " [٢] ، فَلَا يَخَاف أَنْ يُنْقَص مِنْ حَسَنَاته أَوْ يُحْمَل عَلَيْهِ غَيْرُ سَيِّئَاته [٣] أي " لَا يَخَافُ أَنْ يُبْخَسَ، بَلْ يَقْطَعُ بِأَنَّهُ يُجْزَى الْجَزَاءَ الْأَوْفَى، وَلَا يَخَافُ أَنْ تُرْهِقَهُ ذِلَّةٌ من قوله : ﴿ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ [سورة القلم من الآية : ٤٣] " [٤] ، وأيضًا إنما جاء لفظ (الرهق) بجانب (البخس) ؛ لأن الإنسان قد لا يَنْقُص حَقُّه ويأخُذُه كاملا ولكن يأخذه بطريقة فيها رهق أو إهانة ، فجاء لفظ (الرهق) لبيان أنه " لَا يَخْشَى أَنْ يُبْخَسَ فِي الْجَزَاءِ عَلَى إِيمَانِهِ وَلَا أَنْ يُهَانَ ، وَفُهِمَ مِنْهُ : أَنَّ مَنْ لَا يُؤْمِنُ يُهَانُ بِالْعَذَابِ" [٥] ، وفي صفوة التفاسير: " قال ابن عباس: لا يخاف أن

---

(١) فتح القدير ٥/ ٣٦٦

(٢) لمسات بيانية لسور القرآن الكريم ص ٥٢

(٣) تفسير القرآن العظيم ١٤/ ١٥٢

(٤) مفاتيح الغيب ٦٧١/٣٠

(٥) التحرير والتنوير ٢٩ / ٢٣٥

يُنْقص من حسناته، ولا أن يُزَاد في سيئاته، لأن البخس النقصان، والرهق العدوان " (١)

٦- (تَبْدِيلاً - تَحْوِيلا)

﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾ [سورة فاطر الآية: ٤٣]

من الألفاظ المتشابهة دلاليا لفظا (التبديل والتحويل)، وقد ورد التبديل منفردًا ، كما ورد التحويل منفردًا أيضًا ، ثم قرن سبحانه وتعالى التبديل مع التحويل في آية واحدة لنفي شيء واحد، وفيما يلي عرض لبعض اللمحات الدلالية من هذا الاقتران :

أولاً : التبديل والتحويل يشتركان في الدلالة العامة وهي : أن كلا منهما رَفْعٌ للشيء عن المكان أو الأشخاص أو غير ذلك ، ولذلك يجوز أن يستعمل أحدهما دلالياً مكان الآخر، لكن يظل لكل منهما دلالته الخاصة والمرادة عند الاقتران ، وقد حاول العلماء إبراز الدلالة الخاصة لكل منهما ، فقالوا : التبديل إزالة للشيء من الأصل أو رفعٌ للأمر، بخلاف التحويل فإنه نقل للشيء عن الأشخاص أو الأماكن ، أي إزالة عن مكان إلى مكان آخر أو عن أناس إلى أناس آخرين

(١) صفوة التفاسير للشيخ محمد علي الصابوني٣/٤٣٦، ينظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص٤٨٩

قال ابن فارس : " بَدَلَ : الْبَاءُ وَالدَّالُ وَاللَّامُ أَصْلٌ وَاحِدٌ ، وَهُوَ قِيَامُ الشَّيْءِ مَقَامَ الشَّيْءِ الذَّاهِبِ. يُقَالُ: هَذَا بَدَلُ الشَّيْءِ وَبَدِيلُهُ ٠ وَيَقُولُونَ بَدَّلْتُ الشَّيْءَ: إِذَا غَيَّرْتَهُ وَإِنْ لَمْ تَأْتِ لَهُ بِبَدَلٍ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ **قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ** ﴾ [سورة يونس من الآية : ١٥] ، وَأَبْدَلْتُهُ: إِذَا أَتَيْتَ لَهُ بِبَدَلٍ " [١] ، وجاء في لسان العرب : " بَدَلُ الشَّيْءِ: غَيْرُه.٠٠٠٠وتَبَدَّل الشيءَ وتَبَدَّلَ بِهِ واسْتَبْدَلَهُ واسْتَبْدَلَ بِهِ، كُلُّه: اتَّخَذَ مِنْهُ بَدَلًا، وأَبْدَلَ الشيءَ مِنَ الشَّيْءِ وبَدَّلَه: تَخِذَه منه بَدَلًا، وأَبْدَلْتُ الشيءَ بِغَيْرِهِ وبَدَّلَه اللَّهُ مِنَ الْخَوْفِ أَمْناً ، وتَبْدِيل الشَّيْءِ: تَغْيِيرُهُ وإِن لَمْ تأْت بِبَدَلٍ ، واسْتَبْدَلَ الشَّيْءَ بِغَيْرِهِ وتَبَدَّلَهُ بِهِ إِذا أَخذه مَكَانَهُ. والمُبَادَلَة: التبادُل. والأَصل فِي التَّبْدِيل تَغْيِيرُ الشَّيْءِ عَنْ حَالِهِ ، والأَصل فِي الإِبْدَال جَعْلُ شَيْءٍ مَكَانَ شَيْءٍ آخَر" [٢] ، ومنه قوله **تعال** : ﴿ **أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلاً** ﴾ **[سورة الكهف من الآية : ٥٠]**

" والتَّحَوُّل: التَّنَقُّل مِنْ مَوْضِعٍ إِلى مَوْضِعٍ، وَالِاسْمُ الحِوَل؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ **خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً** ﴾ [سورة الكهف الآية:١٠٨][٣]، " فالتَّحْوِيلُ عِبَارَةٌ عَنِ النَّقْلِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ وَمَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ يُقَالُ: حَوَّلَهُ فَتَحَوَّلَ " [٤] " وَحَال الشيءُ نفسَهُ يَحُول حُؤُولاً بمعنيين: يكون تغيُّراً وَيكون

([١]) مقاييس اللغة ١/ ٢١٠(ب د ل)

([٢]) لسان العرب ١١/ ٤٨ (ب د ل)

([٣]) الصحاح ٤/ ١٦٨٠ ، لسان العرب ١١/ ١٨٩(ح و ل)

([٤]) مفاتيح الغيب ٢٠/ ٣٥٧

تَحْوِيلا ...حَالَ الرجل يَحُول مثلُ تَحَوَّل من مَوضِع إِلَى مَوضِع " [١] ،" وتَحَوَّلَ عَنِ الشَّيْءِ: زَالَ عَنْهُ إِلى غَيْرِهِ " [٢] ، وحالَ إلى مكانٍ آخرَ، أي تحوّلَ" [٣]

ثانياً : صيغة (تحويلا) وردت في القرآن الكريم ثلاث مرات : مرة للدلالة على عدم القدرة على تحويل الضر أو تبديله [٤] قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً ﴾ **[سورة الإسراء الآية : ٥٦]** ،

ومرتين للدلالة على عدم القدرة على تغيير أو تبديل سنة الله [٥] قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ﴾ [سورة الإسراء الآية : ٧٧] ، أي لا تجد لما أجرينا به العادة تغييراً أي لا يغيره أحد" [٦] ، وقال تعالى : ﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ

---

(١) تهذيب اللغة ٥/ ١٥٧، ١٥٨ (ح ل و)

(٢) لسان العرب ١١/ ١٨٧ (ح و ل)

(٣) الصحاح ٤/ ١٦٧٩ (ح و ل)

(٤) الكشاف ٢/ ٦٧٣

(٥) بحر العلوم ٢/ ٣٢٤، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٣/ ٢٢٢

(٦) روح المعاني ٨/ ١٢٦

إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [سورة فاطر الآية : ٤٣]

لكن في آية سورة فاطر اقترن التبديل مع التحويل فما الدلالة التي أضافها لفظ (التبديل) ؟

اقتصر سبحانه تعالى على التحويل في آية [سورة الإسراء : ٧٧] ، لأن السياق كان عن الإخراج من الأرض والتحولِ عنها ، فناسب ذلك التحويلُ [١]، بينما كان سياق الكلام في الآية الأخرى موطِنَ البحث عن أنهم لم يتبدلوا بعد مجيء النذير مع أنهم كانوا قد أقسموا أنهم سيتغيرون وسيتبدلون إذا جاءهم النذير، ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ [سورة فاطر الآية : ٤٢] ، ومن ثم أخبر سبحانه وتعالى أن سنته في هلاك الظالمين المستكبرين لا تتبدل ولا تتغير ، ولما أخبر سبحانه أن المكر السيء لا يحيق إلا بأهله ، بَيَّن لهم أن العذاب لن يحُولَ عنهم ، فالحق لن يبدل سنته بجعله غيرَ التعذيب تعذيباً ولا يُحَوِّلَها بأن ينقله من المكذبين إلى غيرهم أي " ولا يحيط الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر... فَهَلْ ينتظرون. إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم. فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا إذ لا يبدلها بجعله غيرَ التعذيب تعذيباً ولا يحولها بأن ينقله من المكذبين إلى غيرهم [٢]

([١]) أسرار التكرار في القرآن ص ٢١١

([٢]) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤/ ٢٦١

، يقول الرازي : " التَّبْدِيلُ تَحْوِيلٌ ، فَمَا الْحِكْمَةُ فِي التَّكْرَارِ؟ نقول: بقوله (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) حَصَلَ الْعِلْمُ بِأَنَّ الْعَذَابَ لَا تبديل له بغيره، وبقوله (وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا) حَصَلَ الْعِلْمُ بِأَنَّ الْعَذَابَ مَعَ أَنَّهُ لَا تَبْدِيلَ لَهُ بِالثَّوَابِ لَا يَتَحَوَّلُ عَنْ مُسْتَحِقِّهِ إِلَى غَيْرِهِ فَيَتِمُّ تَهْدِيدُ الْمُسِيءِ" (١)

وقيل المراد من قوله تعالى : { **فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا** } " [فاطر : ٤٣] بأنْ يضع موضعَ العذابِ غيرَ العذابِ { **وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا** } [فاطر : ٤٣] بأنْ ينقله من المكذِّبين إلى غيرِهم " (٢)

وقد ذكر الماوَرْدِيُّ وجهيْن: أحدهما: يعني تحويلاً وتغييراً ، حكاه النقاش. الثاني: يعني أن من قُتِل بحق فلا دية له على قاتله ، قاله السُّدِّي. (٣) ، فلن يقدر أحد على تغيير سنة الله لا بالتبديل ولا بالتحويل، " وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ لَا تَقَعُ الْكَرَامَةُ فِي مَوْقِعِ الْعِقَابِ، وَلَا يُتْرَكُ عِقَابُ الْجَانِي. وَفِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ الْحُكَمَاءِ: مَا بِالطَّبْعِ لَا يَتَخَلَّفُ وَلَا يَخْتَلِفُ " (٤)،" ونفيُ وجدانِ التَّبديلِ والتَّحويلِ عبارةٌ عن نفي وجودهما بالطَّريقِ البُرهانِّي وتخصيصُ كلَ منُهما بنفيٍ مستقلَ لتأكيدِ انتفائهما " (٥)

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٦/ ٢٤٧

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم٧ / ١٥٦

(٣) النُّكَتُ والعيون ٤/٤٢٥

(٤) التحرير والتنوير ٢٢/ ٣٣٨

(٥) إرشاد العقل السليم ٧/ ١٥٦

٧- (تَخَف - تَخْشَى)

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ [سورة طه الآية : ٧٧] ، وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [سورة الرعد الآية : ٢١]

من الألفاظ المتشابهة تشابهًا كبيرًا من الناحية الدلالية لفظا (الخوف والخَشْيَة) حيث يُستخدمان دلاليًا مكان بعضهما البعض ، ومع هذا التشابه الدلالي جمع الحق – سبحانه وتعالى – بينهما في أكثر من آية ؛ مما يدل على أن الدلالة الخاصة هي المرادة عند الاقتران ، وقد ذهب بعض اللغويين إلى القول بترادفهما ، ومن ثم فأحدهما يدل على الآخر والثاني تأكيدا للأول. جاء في تاج العروس : " خَشِيَه وتَخَشَّاهُ ، كِلاهُما بمعْنَى خافَهُ...ثمَّ تَفْسِيرُه الخشْيَة بالخَوْفِ صَرِيحٌ فِي تَرادُفِهما " (١)

واللغة تؤيد هذا التقارب الدلالي ؛ حيث رد ابن فارس المادتين إلى (الذعر والفزع ، والخوف) فقال في : خَشِيَ " الْخَاءُ وَالشِّينُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ

(١) تاج العروس ٣٧/ ٥٤٩، ٥٥٠(خ ش ي)

يَدُلُّ عَلَى خَوْفٍ وَذُعْرٍ، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ الْمَجَازُ. فَالْخَشْيَةُ الْخَوْفُ... وَيُقَالُ هَذَا الْمَكَانُ أَخْشَى مِنْ ذَلِكَ، أَيْ أَشَدُّ خَوْفًا" (١)

وقال في خَوَفَ : " الْخَاءُ وَالْوَاوُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الذُّعْرِ وَالْفَزَعِ ، يُقَالُ خَاوَفَنِي فُلَانٌ فَخُفْتُهُ ، أَيْ كُنْتُ أَشَدَّ خَوْفًا مِنْهُ " (٢)

لكن ذهب جمهور العلماء إلى أن الخشية وإن كانت تستعمل للدلالة على الخوف ، وكذلك الخوف وإن كان يستعمل للدلالة على الخشية في حالة الإفراد فإنَّ لكل لفظ منهما دلالتَه الخاصةَ التي تختلف عن الآخر، وتكون الدلالة الخاصة مرادةً في التركيب.

وقد فَصَّل الزركشي القول في ذلك ووضحه وبين الفرق فقال: " قَاعِدَةٌ فِي أَلْفَاظٍ يُظَنُّ بِهَا التَّرَادُفُ وَلَيْسَتْ مِنْهُ وَلِهَذَا وُزِّعَتْ بِحَسَبِ الْمَقَامَاتِ فَلَا يَقُومُ مُرَادِفُهَا فِيمَا اسْتُعْمِلَ فِيهِ مَقَامَ الْآخَرِ، فَعَلَى المفسر مراعاة الِاسْتِعْمَالَاتِ وَالْقَطْعُ بِعَدَمِ التَّرَادُفِ مَا أَمْكَنَ فَإِنَّ لِلتَّرْكِيبِ مَعْنًى غَيْرَ مَعْنَى الْإِفْرَادِ وَلِهَذَا مَنَعَ كَثِيرٌ مِنَ الْأُصُولِيِّينَ وُقُوعَ أَحَدِ الْمُتَرَادِفَيْنِ مَوْقِعَ الْآخَرِ فِي التَّرْكِيبِ وَإِنِ اتَّفَقُوا عَلَى جَوَازِهِ فِي الْإِفْرَادِ ، فَمِنْ ذَلِكَ : الْخَوْفُ وَالْخَشْيَةُ لَا يَكَادُ اللُّغَوِيُّ يُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْخَشْيَةَ أَعْلَى مِنَ الْخَوْفِ وَهِيَ أَشَدُّ الْخَوْفِ فَإِنَّهَا مَأْخُوذَةٌ مِنْ قَوْلِهِمْ شَجَرَةٌ خَشِيَّةٌ إِذَا كَانَتْ يَابِسَةً ، وَذَلِكَ فَوَاتٌ بِالْكُلِّيَّةِ . وَالْخَوْفُ مِنْ قَوْلِهِمْ نَاقَةٌ خَوْفَاءُ إِذَا كَانَ بِهَا دَاءٌ وَذَلِكَ نَقْصٌ وَلَيْسَ بِفَوَاتٍ وَمِنْ

(١) مقاييس اللغة ٢/ ١٨٤ ، ١٨٥(خ شِ يَ)

(٢) السابق ٢/ ٢٣٠ (خ و ف)

ثَمَّةَ خُصَّتِ الْخَشْيَةُ بِاللَّهِ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾

وَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا أَيْضًا بِأَنَّ الْخَشْيَةَ تَكُونُ مِنْ عِظَمِ الْمَخْشِيِّ وَإِنْ كَانَ الْخَاشِي قَوِيًّا، وَالْخَوْفُ يَكُونُ مِنْ ضَعْفِ الْخَائِفِ وَإِنْ كَانَ الْمُخَوِّفُ أَمْرًا يَسِيرًا . وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْخَاءَ وَالشِّينَ وَالْيَاءَ فِي تَقَالِيبِهَا تَدُلُّ عَلَى الْعَظَمَةِ ، قَالُوا شَيْخٌ لِلسَّيِّدِ الْكَبِيرِ، وَالْخَيْشُ لِمَا عَظُمَ مِنَ الْكَتَّانِ ، وَالْخَاءُ وَالْوَاوُ وَالْفَاءُ فِي تَقَالِيبِهَا تَدُلُّ عَلَى الضَّعْفِ ، وَانْظُرْ إِلَى الْخَوْفِ لِمَا فِيهِ مِنْ ضَعْفِ الْقُوَّةِ، وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ فَإِنَّ الْخَوْفَ مِنَ اللَّهِ لِعَظَمَتِهِ يَخْشَاهُ كُلُّ أَحَدٍ كَيْفَ كَانَتْ حَالُهُ ، وَسُوءُ الْحِسَابِ رُبَّمَا لَا يَخَافُهُ مَنْ كَانَ عَالِمًا بِالْحِسَابِ وَحَاسَبَ نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ يحاسَبَ ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [سورة فاطر من الآية : ٢٨] ، وقال لموسى : ﴿ لَا تَخَفْ﴾ أَيْ لَا يَكُونُ عِنْدَكَ مِنْ ضَعْفِ نَفْسِكَ ما تخاف منه من فِرْعَوْنَ ، فَإِنْ قِيلَ: وَرَدَ: ﴿ تَخَافُونَ رَبَّهُم ﴾ [سورة النحل من الآية : ٥٠]

قِيلَ: الْخَاشِي مِنَ اللَّهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عَظَمَةِ اللَّهِ ضَعِيفٌ ، فَيَصِحُّ أَنْ يَقُولَ: يَخْشَى رَبَّهُ لِعَظَمَتِهِ ، وَيَخَافُ رَبَّهُ أَيْ لِضَعْفِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى"[1]

(1) البرهان في علوم القرآن ٤/ ٧٨ ، ٧٩ ، الإتقان ٢/ ٣٦٣، ٣٦٤

قال السيوطي : " وَأَمَّا﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [سورة النحل من الآية: ٥٠] فَفِيهِ نُكْتَةٌ لَطِيفَةٌ فَإِنَّهُ فِي وَصْفِ الْمَلَائِكَةِ وَلَمَّا ذَكَرَ قُوَّتَهُمْ وَشِدَّةَ خَلْقِهِمْ عَبَّرَ عَنْهُمْ بِالْخَوْفِ لِبَيَانِ أَنَّهُمْ وَإِنْ كَانُوا غِلَاظًا شِدَادًا فَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ تَعَالَى ضُعَفَاءُ ثُمَّ أَرْدَفَهُ بِالْفَوْقِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْعَظَمَةِ فَجَمَعَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ ، وَلَمَّا كَانَ ضَعْفُ الْبَشَرِ مَعْلُومًا لَمْ يَحْتَجْ إِلَى التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ " (١)

وذهبت " بنت الشاطئ إلى أنها من خلال استقرائها لجميع آيات الخشية والخوف في القرآن الكريم توصلت إلى أن " كل خشية فيه ، على اختلاف صيغها ، لا تكون إلا في الحياة الدنيا ، لا في الآخرة ، إذ الدنيا هي مجال الابتلاء : وإذا تعلقت الخشية في القرآن بأمر يَّخشىَ ، فإنه الغيب ، والساعة واليوم الأخر أو العنت والكساد والإملاق وضياع اليتامى ، والإرهاق طغياناً وكفراً ، وأما إذا تعلقت بذات ، لا بأمر ، فإنها في تقدير القرآن ، لا تكون إلا الخشية لله ، وحده ، دون أي مخلوق ، يطرد ذلك في كل مواضع استعمالها في الكتاب المُحْكَم ، بصريح الآيات ... وتُسند خشية الله في القرآن إلى : الذين يبلغون رسالات ربهم ، ومَنْ اتَّبع الذكر ، والمؤمنين ، والعلماء ، والذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ... فإذا كانت خشية الله متوقَّعة من الجبل كما في آية الحشر ، أو من الحجارة كما في آية البقرة

﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة البقرة من الآية : ٧٤] ،

فذلك من رائع البيان القرآني إذ يبث الحياة في الجامد الأصم ، فيجعله بحيث يحس وينفعل ، ويخشى الله ويخشع ، والخشوع كذلك ، ليس من شأن

(١) الإتقان ٢/ ٣٦٤

الجبل الجامد ، لأنه من أفعال القلوب. وإذا خشع الصوت أو خشع الوجه أو البصر ، فإنما يكون ذلك من خشوع القلب. [1] ، قَالَ الرَّاغِب : " الخَشْيَة: خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن عِلْم بما يخشى منه، ولذلك خُصَّ العلماءُ بها في قوله: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [سورة فاطر من الآية : ٢٨] " [2]، وقد أكد هذا الفيروز آبادي بقوله : " الخشية أَخصّ من الخوف؛ فإنَّ الخشية للعلماءِ بالله تعالى كما تقدّم فهي خوف مقرون بمعرفة. قال النبيّ صلَّى الله عليه وسلم " إِنِّي أَتقاكم لله وأَشدُّكم له خشية " فالخوف حركة، والخشية انجماع وانقباض وسكون، فإنَّ الَّذى يرى العدوّ والسّيل ونحوَ ذلك له حالتان: إحداهما حركة الهرب منه، وهى حالة الخوف، والثانية سكونه وقراره في مكان لا يصل إليه وهى الخَشْية" [3]

من خلال ما سبق يتضح أن الخشية تختلف عن الخوف وأن الدلالة المرادة لا يقوم لفظ واحد منهما – سواء يخشون أو يخافون – بإيصالها ، بل لا تتحقق الدلالة الخاصة إلا باللفظين معا ، لأن الخوف من سوء الحساب غيرُ الخشية منه ، وكذلك خشية الله غير الخوف منه سبحانه وتعالى ، والدلالة المراد إيصالها : أنهم يفعلون تلك الأشياء محبين لها مستحضرين عظمة الله سبحانه وتعالى في أثناء فعلها راجين قبولها ، لكنهم مع ذلك يخافون سوء الحساب ، ولا تتحقق تلك الدلالة إلا باللفظين. كما أن

([1]) الإعجاز البياني للقرآن ص ٢٢٦، ٢٢٧

([2]) المفردات ص ٢٨٣ ،بصائر ذوي التمييز ٢/٥٤٤ (خ شِ ي)

([3]) بصائر ذوي التمييز ٢/ ٥٤٥

تقديم الخشية على الخوف هو المناسب ؛ لأن الخشية والتعظيم تدفع الإنسان إلى الالتزام ومع ذلك يخاف من العذاب ، ويؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ [سورة طه الآية : ٧٧] حيث جعل الخوف من إدراك فرعون لهم ، ولم تُجعل الخشية في جانب فرعون ؛ لأنهم لا يهابون فرعون ولا يعظمونه ولا يجلونه حتى يَخْشَوْه ؛ لأن الخشية تتعلق بالعظيم " لا تَخَفْ أن يدركك فرعونُ ولا تخشىْ الغرقَ " [1]، ولذلك لما مدح الله تعالى المؤمنين مدحهم بخشيته فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُوْلَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ۝٦١ ﴾ [سورة المؤمنون الآيات ٥٧ : ٦١] ، وعند الإمام أحمد في مسنده ، وفى جامع الترمذي " عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ أَهُوَ الرَّجُلُ يَزْنِي وَيَسْرِقُ وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ قَالَ: " لَا يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ – " أَوْ " لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ – " وَلَكِنَّهُ " الرَّجُلُ

(1) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٧٠

يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ، وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُ " (١)

وقد أشار الرازي إلى الدلالة الخاصة فقال : " اعْلَمْ أَنَّ الْقَيْدَ الرَّابِعَ – وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ – إِشَارَةٌ إِلَى الْخَشْيَةِ مِنَ اللَّهِ وَهَذَا الْقَيْدُ الْخَامِسُ إِشَارَةٌ إِلَى الْخَوْفِ وَالْخَشْيَةِ وَسُوءِ الْحِسَابِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْخَشْيَةِ مِنَ اللَّهِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ خَوْفِ الْجَلَالِ وَالْمَهَابَةِ وَالْعَظَمَةِ ، وَإِلَّا لَزِمَ التِّكْرَارُ " (٢)

٨- **(خطيئةً – إثمًا)**

قال تعالى : ﴿ **وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا** ﴾ [سورة النساء الآية : ١١٢]

من الأمور الملازمة للبشر الوقوعُ في المعصية ، والمعاصي التي يرتكبها الإنسان تتعدد وتتنوع وتختلف من اتجاهات متعددة ، فقد تكون المعصية في حقوق الله ، وقد تكون في حقوق العباد ، وقد تكون عن جهل وعدم قصد أو خطأ ، وقد تكون عن عمد ، وقد تكون متكررة ، وقد تكون متقطعة ، ويعبر عن تلك المعاصي بألفاظ متشابهة كـ (الذنب والإثم والخطايا) جاء في تفسير المنار: " يُطْلِقُ الْعُلَمَاءُ الْخَطِيئَةَ وَالْإِثْمَ وَالذَّنْبَ وَالسَّيِّئَةَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ ... وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْإِثْمُ هُنَا بِمَعْنَى الْخَطِيئَةِ " (٣) ، وتستعمل جميعها للدلالة على المخالفات الشرعية في حالة انفرادها ، ولكن

---

(١) الحديث في مسند الإمام أحمد ٤٢ / ٤٦٥ ، حديث رقم (٢٥٧٠٥) ، باب مُسْنَدُ الصِّدِّيقَةِ عَائِشَةَ بِنْتِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، والجامع الكبير "سنن الترمذي" ٥/ ٢٣٦ ، حديث رقم (٣١٧٥) ، بَاب وَمِنْ سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ.

(٢) مفاتيح الغيب ١٩/ ٣٤

(٣)٥/ ٣٢٧

إذا اقترنت مع بعضها في الاستعمال هل تكون من باب عطف المرادف للتأكيد ؟ أم تختلف دلالتُهما فقد ورد لفظ (الخطيئة والإثم) مقترنيْن معًا في آية واحدة من كتاب الله تعالى.

وقد ذهب البعض إلى أن الدلالة المرادة من" الإثم والخطيئة بمعنى واحد كُرر لاختلاف اللفظ تأكيدا" (١) ، يقول ابن عطية : " ذهب بعض الناس إلى أنهما لفظان بمعنًى كُرِّر لاختلاف اللفظ " (٢)

بينما ذهب معظم اللغويين والمفسرين إلى أن الخطيئة والإثم وإن كانا يستخدمان بمعنى واحد إلا أن اقترانهما يجعل دلالة كل منهما في هذا الموضع تختلف عن الآخر، أو بمعنى أدق : تظهر الفروق الدلالية الخاصة بكلتا اللفظتين في هذا الاستعمال ، وقد حاول العلماء استنباط تلك الفروق الدلالية فتعددت ملاحظهم.

جاء في البحر المحيط: " الْخَطِيئَةُ مَا كَانَ عَنْ غَيْرِ عَمْدٍ ، وَالْإِثْمُ: مَا كَانَ عَنْ عَمْدٍ" (٣)، فالخطيئة من الخطأ ، ضدُّ الصواب ، قال أبو عبيدة: " قال: خَطِئْتُ بمعنى أخطأتُ ، ففيه نظر ؛ فإن المعروف عند أهل اللغة أن (خَطِىءَ) بمعنى أَثِم و(أخطأ) إذا لم يتعمد أو إذا لم يُصِبْ " (٤) ، "وَيُقَالُ لِمَنْ أَراد شَيْئًا فَفَعَلَ غَيْرَهُ أَو فَعَلَ غَيْرَ الصَّوَابِ: أَخْطَأَ" (٥) ، فالمقصود "بالخطيئة ما لا يكون عن عمد ، وبالإثم ما كان عن عمد، ونبّه – سبحانه

(١) الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٣٨٠ ، فتح القدير ١/ ٥١٣

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ١١١

(٣) البحر المحيط ٤/ ٦٠

(٤) مجاز القرآن ١/ ٣٧٦ ، الفروق اللغوية ص ٢٢٠

(٥) لسان العرب ٦٦/١ (خ ط أ)

– أن مَنْ رَمَى بأحدهما بريئًا فهو في استحقاق العقاب سواءٌ، وإن كان في ارتكاب أحدهما بخلاف الآخَر" (١) ، في حين ذهب البعض الآخر إلى أن الخطأ يكون في كل شيء عن عمد وغير عمد. (٢) ، وقد جمع الإمام الطبري بين الرأيين السابقين فذهب إلى أن الخطيئة قد تكون عن عمد ، وقد تكون عن غير عمد ، بينما الإثم لا يكون إلا عن عمد ، فقال : " يَعْنِي بِذَلِكَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: وَمَنْ يَعْمَلْ خَطِيئَةً ، وَهِيَ الذَّنْبُ ، أَوْ إِثْمًا ، وَهُوَ مَا لَا يَحِلُّ مِنَ الْمَعْصِيَةِ ، وَإِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَ الْخَطِيئَةِ وَالْإِثْمِ ، لِأَنَّ الْخَطِيئَةَ قَدْ تَكُونُ مِنْ قِبَلِ الْعَمْدِ وَغَيْرِ الْعَمْدِ ، وَالْإِثْمُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنَ الْعَمْدِ ، فَفَصَلَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لِذَلِكَ بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ: وَمَنْ يَأْتِ خَطِيئَةً عَلَى غَيْرِ عَمْدٍ مِنْهُ لَهَا، أَوْ إِثْمًا عَلَى عَمْدٍ مِنْهُ ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا ، يَعْنِي بِالَّذِي تَعَمَّدَهُ بَرِيئًا ، يَعْنِي ثُمَّ يَصِفُ مَا أَتَى مِنْ خَطَئِهِ أَوْ إِثْمِهِ الَّذِي تَعَمَّدَهُ بَرِيئًا مِمَّا أَضَافَهُ إِلَيْهِ وَنَحَلَهُ إِيَّاهُ " (٣) ، وتبعه في ذلك أبو هلال العسكري فقال:" الْفرق بَين الْإِثْم والخطيئة: أَن الْخَطِيئَة قد تكون من غير تعمد وَلَا يكون الْإِثْم إِلَّا تعمدا ، ثمَّ كثر ذَلِك حَتَّى سُمّيت الذُّنُوب كلها خَطَايَا" (٤) ، وَيُقَال: خَطِئَ إِذا أَثِم ، وأَخطَأ إِذا فَاتَهُ الصَّوَاب"(٥)

وقد بين العلامة محمد رشيد رضا كيف أن الخطيئة تشمل العمد وغير العمد فقال : " وَأَمَّا الْخَطِيئَةُ فَظَاهِرٌ أَنَّهَا مِنَ الْخَطَأِ ضِدُّ الصَّوَابِ، وَصِيغَةُ فَعِيلَةُ تَدُلُّ عَلَى مَعْنًى أَيْضًا ، فَالْخَطِيئَةُ : الْفَعْلَةُ الْعَرِيقَةُ فِي الْخَطَأِ ، لِظُهُورِهِ فِيهَا ظُهُورًا لَا يُعْذَرُ صَاحِبُهُ بِجَهْلِهِ، وَالْخَطَأُ قِسْمَانِ: أَحَدُهُمَا أَنْ

(١) تفسير الراغب الأصفهاني ص ١٤٣٣

(٢) الفروق اللغوية ص ٢٢٠ ، مؤسسة النشر الإسلامي

(٣) جامع البيان ٧/ ٤٧٧ ، ٤٧٨

(٤) الفروق اللغوية ص ٢٣٣ ، دار العلم، وينظر: ٤٦٨ ، الكليات ص ٤٢٥ (خ ط أ)

(٥) الكليات ص ٤٢٥ (خ ط أ)

تُخْطِئَ مَا يُرَادُ مِنْكَ، وَهُوَ مَا يُطَالِبُكَ بِهِ الشَّرْعُ وَيَفْرِضُهُ عَلَيْكَ الدِّينُ، أَوْ مَا جَرَى عَلَيْهِ الْعُرْفُ وَالْعَهْدُ، وَيَدْخُلُ فِي الْقِسْمِ الثَّانِي مَا يُخْطِئُهُ الْفَاعِلُ مِنْ مَطَالِبِ الشَّرْعِ أَيْ يَتَجَاوَزُهُ وَلَوْ عَمْدًا، وَمِنْ هُنَا جَعَلُوا الْخَطِيئَةَ بِمَعْنَى الْمَعْصِيَةِ مُطْلَقًا" (١)

وقيل : المراد : " الإثم غيرُ الخطيئة ، فإن الإثم في هذا الموضع ما يقتطعه الإنسان من مال مَنْ لا يجوز الاقتطاع من ماله، فيكون المعنى: مَنْ يكسِبْ ذنبا بينه وبين الله أو ذنبا هو من مظالم العباد، فهما جنسان، فحسُنَ دخولُ "أو" فيهما" (٢) ، وقد أضاف الرازي بعض الفروق فقال :" وَذَكَرُوا فِي الْخَطِيئَةِ وَالْإِثْمِ وُجُوهًا: الْأَوَّلُ: أَنَّ الْخَطِيئَةَ هِيَ الصَّغِيرَةُ، وَالْإِثْمَ هُوَ الْكَبِيرَةُ ، وَثَانِيهَا: الْخَطِيئَةُ هِيَ الذَّنْبُ الْقَاصِرُ عَلَى فَاعِلِهَا، وَالْإِثْمُ هُوَ الذَّنْبُ الْمُتَعَدِّي إِلَى الْغَيْرِ كَالظُّلْمِ وَالْقَتْلِ ، وَثَالِثُهَا: الْخَطِيئَةُ مَا لَا يَنْبَغِي فِعْلُهُ سَوَاءٌ كَانَ بِالْعَمْدِ أَوْ بِالْخَطَأِ، وَالْإِثْمُ مَا يَحْصُلُ بِسَبَبِ الْعَمْدِ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ مَا قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ وَهُوَ قَوْلُهُ : ﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ [سورة النساء من الآية : ١١١] ، فَبَيَّنَ أَنَّ الْإِثْمَ مَا يَكُونُ سَبَبًا لِاسْتِحْقَاقِ الْعُقُوبَةِ " (٣) ، ويقول ابن عاشور : " وَذِكْرُ الْخَطِيئَةِ وَالْإِثْمِ هُنَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمَا مُتَغَايِرَانِ، فَالْمُرَادُ بِالْخَطِيئَةِ الْمَعْصِيَةُ الصَّغِيرَةُ، وَالْمُرَادُ بِالْإِثْمِ الْكَبِيرَة " (٤)

وأرى – والله أعلم – أن معظم هذه الفروق صحيحة ، ومع ذلك أرى أن هناك فرقا بين الخطأ والخطيئة ، فالخطأ ما كان عن غير عمد ،

(١) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ٣٢٧/٥

(٢) باهر البرهان في معانى مشكلات القرآن ص ٣٨٧

(٣) مفاتيح الغيب ١١/ ٢١٥

(٤) التحرير والتنوير ٥/ ١٩٦

والخطيئة تكون عن عمد، والسياق القرآني يرجح هذا الأمر ، حيث استعمل القرآن الكريم (الخطأ) في مقابلة العمد في أكثر من موضع ، قال تعالى :﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب من الآية : ٥] أي سهوتم فيه [١]، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ ﴾ [سورة النساء من الآية :٩٢] ، وقوله تعالى:﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[سورة النساء الآية : ٩٣] غلَّظ الله وعيد قاتل المؤمن عمداً للمبالغة في الرَّدع والزَّجر [٢]

ثُمَّ أن الخطيئة وردت في السياق القرآني للدلالة على المعاصي والذنوب الكبيرة عامة ، كما في قوله تعالى :﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [سورة طه الآية : ٧٣] شركنا[٣]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الشعراء الآية : ٥١] شِرْكَنا وسِحْرَنا [٤]، وقيل : أَي: ذنوبنَا[٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟

(١) تذكرة الأريب في تفسير الغريب ص ٢٩٧
(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي ص ٢٨٢
(٣) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص ٢٦٤
(٤) بحر العلوم ٢/ ٥٥٤
(٥) تفسير القرآن للسمعاني ٤/ ٤٦

سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [سورة العنكبوت الآية :١٢] أي أوزارَكم [١]

٩- (دُعَاءً – نِدَاءً)

قال تعالى : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ١٧١]

من الألفاظ المتشابهة الدلالة إلى درجة كبيرة لفظا (الدعاء والنداء) ، وقد اقترنا في آية واحدة من كتاب الله تعالى في معرض الحديث عن حال الكفار مع دعوة النبي ﷺ ، حيث شبه سبحانه وتعالى حال الكافرين بحال الحيوانات التي لا تفقه من النعيق إلا الدعاء والنداء .

ولم يتعرض لبيان الدلالة الخاصة لكل من اللفظين إلا القليل من العلماء ، حيث ذهب أبو هلال العسكري إلى أَن : " النداء هُوَ رفع الصَّوْت بِمَا لَهُ معنى والعربي يَقُول لصَاحبه نَادِ معي ليَكُون ذَلِك أندى لصوتنا أَي أبعد لَهُ ، وَالدُّعَاء يكون بِرَفْع الصَّوْت وخفضه ، يُقَال دَعوته من بعيد ودعوت الله فِي نَفسِي ، وَلَا يُقَال ناديتُه فِي نَفسِي " [٢]، أي أن النداء خاص بالصوت المرتفع ، بينما الدعاء عام يشمل المرتفع والمنخفض، وقد يفهم أيضًا أن النداء لا يكون إلا بما له معنى ، بخلاف الدعاء ، فقد يكون بما له معنى ، وما ليس له معنى عندنا ، وإن كان كل الدعاء له معنى عند الله – سبحانه وتعالى – ، قال العسكري : " الفرق بين النداء والدعاء : الأول قد

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل٣/ ٣٧٧

(٢) الفروق اللغوية ص ٣٨

يكون بعلامة من غير صوت ولا كلام ، ولكن بإشارة تنبئ عن معنى: تَعَالَ، ولا يكون النداء إلا برفع الصوت، وامتداده. ولذا لا يسند النداء إلى الله – سبحانه – بخلاف الدعاء ، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ [سورة يونس من الآية : ٢٥] ، ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦ ﴾ [سورة البقرة من الآية : ٢٢١] [١] ، فـ : " النِّداء: رَفعُ الصَّوْت بالدُّعاءِ، ويُقَالُ للصَّوْت المجرَّدِ نِدَاء" [٢]

وقال الراغب:" الدُّعَاء كالنّداء... وقد يستعمل كلّ واحد منهما موضع الآخر " [٣]

وقيل : " النداء : صوت خالٍ من المعنى [٤] ، ويؤيد ذلك : أن النعيق زجر الغنم والصياحُ بها [٥]، قال الأخطل:

انْعِقْ بضَأْنك، يَا جَريرُ، فإنَّما مَنَّتْكَ نفسُك فِي الخَلاء ضَلَالَا [٦]

([١]) الفروق اللغوية ص ٥٣٥، ط مؤسسة النشر الإسلامي ، ينظر: مجمع البيان للطبرسي ١/ ٣٥٣، ٣٥٤

([٢]) المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث ٣/ ٢٨١

([٣]) المفردات في غريب القرآن ص ٣١٥ (دعا)

([٤]) معجم اللغة العربية المعاصرة ٣/ ٢١٨٩

([٥]) ينظر : الصحاح ١٥٥٩/٤ (ن ع ق)، المحرر الوجيز ٢٣٨/١ ، تاج العروس ٢٦/ ٤٢٨(ن ع ق)

([٦]) البيت من (الكامل) في: ديوانه ص٢٥٣، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ٩٤٣/٢(ع ق ن)، لسان العرب ١٠/ ٣٥٦، تاج العروس ٢٦/ ٤٢٨(ن ع ق)

يقول الراغب : " النِّدَاءُ: رفْعُ الصَّوت وظُهُورُهُ، وقد يقال ذلك للصَّوْت المجرَّد، وإيّاه قَصَدَ بقوله: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾ [سورة البقرة من الآية : ١٧١] أي: لا يَعْرِفُ إلّا الصَّوْتَ المجرَّد دون المعنى الذي يقتضيه تركيبُ الكلام "(١)

في حين ذهب ابن عاشور إلى أن لكل لفظ منهما دلالةً خاصة به تختلف عن الدلالة العامة ، وأن الدلالة الخاصة هي المرادة ، فقال : " وَالدُّعَاءُ وَالنِّدَاءُ قِيلَ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، فَهُوَ تَأْكِيدٌ وَلَا يَصِحُّ، وَقِيلَ الدُّعَاءُ لِلْقَرِيبِ وَالنِّدَاءُ لِلْبَعِيدِ، وَقِيلَ الدُّعَاءُ مَا يُسْمَعُ ، وَالنِّدَاءُ قَدْ يُسْمَعُ ، وَقَدْ لَا يُسْمَعُ وَلَا يَصِحُّ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِمَا نَوْعَانِ مِنَ الْأَصْوَاتِ الَّتِي تَفْهَمُهَا الْغَنَمُ، فَالدُّعَاءُ مَا يُخَاطَبُ بِهِ الْغَنَمُ مِنَ الْأَصْوَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى الزَّجْرِ وَهِيَ أَسمَاء الْأَصْوَات، والنداء رَفْعُ الصَّوْتِ عَلَيْهَا لِتَجْتَمِعَ إِلَى رُعَاتِهَا، وَلَا يَجُوزَ أَنْ يَكُونَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ مَعَ وُجُودِ الْعَطْفِ ؛ لِأَنَّ التَّوْكِيدَ اللَّفْظِيَّ لَا يُعْطَفُ فَإِنَّ حَقِيقَةَ النِّدَاءِ رَفْعُ الصَّوْتِ لِإِسْمَاعِ الْكَلَامِ، أَوِ الْمُرَادُ بِهِ هُنَا نِدَاءُ الرِّعَاءِ بَعْضَهُمْ بَعْضًا لِلتَّعَاوُنِ عَلَى ذَوْدِ الْغَنَمِ " (٢) ، وقال : " وَالنِّدَاءُ إِعْلَانُ الْخِطَابِ ، وَهُوَ أَصْلُ حَقِيقَتِهِ فِي اللُّغَةِ، وَيُطْلَقُ النِّدَاءُ غَالِبًا عَلَى دُعَاءِ أَحَدٍ لِيُقْبِلَ بِذَاتِهِ أَوْ بِفَهْمِهِ لِسَمَاعِ كَلَامٍ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بِرَفْعِ صَوْتٍ قال تعالى : ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾ [سورة مريم الآية : ٣]" (٣)

وأرى قوة ما ذهب إليه ابن عاشور، وذلك لما يأتي :

---

(١) المفردات في غريب القرآن ص ٧٩٦ (ن د ا)

(٢) التحرير والتنوير ٢/ ١١٣

(٣) التحرير والتنوير ٢/ ١٣٤

أولاً : أن كلامَ الله – سبحانه وتعالى– لا يخلو من فائدة ، فليس هناك لفظان متطابقان في الدلالة تمامًا ، بل لابد من وجود دلالة خاصة ، وهذا هو المبدأ الأصيل في كتاب الله تعالى : أن لكل كلمة دلالةً خاصة يستدعيها السياق.

ثانيا : القاعدة اللغوية أن العطف يقتضي المغايرة ٠

ثالثا: اختلاف المعنى ، وهو أمر خاص بهذه الآية ؛ لأن لفظي الدعاء والنداء وردا على سبيل الحصر حيث وردا استثناء .

رابعا: لو نظرنا إلى حال الراعي مع الأغنام من حيث الكلام نجد أنه ينقسم إلى نوعين :

النوع الأول: أصوات مجردة ليس لها معنى ، وغالبًا ما يستخدمها إذا كانت بعيدة ، أو للاتِّباع ، أي رفع الصوت على الغنم ، لتجتمع إلى رعاتها.

النوع الثاني: أصوات أو كلمات لها معنى ، لكن لا تفهمها الأغنام أيضاً ، أي ما يخاطَب به الغنم من الأصوات الدالة على الزجر، وهي أسماء الأصوات ٠

جاء في المعجم الاشتقاقي : " أن المراد: إما تشبيهه ﷺ في دعوته الكفارَ الذين لا يستجيبون بالراعي الذي ينعِق بالغنم والإبل فلا تسمع إلا دعاءه (أي صِياحه) ونداءه ولا تفهم ما يقول...وإما تشبيه الذين كفروا في دعائهم الآلهةَ الجمادَ بالصائح في جوف الليل فيجيبه الصدى ... الذي لا حقيقة فيه ولا منتفَع ، وإما تشبيه الكفار في دعائهم الأصنامَ بالراعي الذي ينعِق بالغنم ، ولا يدرى أين هي، أو الذي ينعِق بشيء بعيد لا يَسمع ...

وأري أن الأول فيه جفاء ويصادم صدر الآية ويصادم تكليفه ﷺ بالدعوة، فالثاني وصدر الثالث أنسب " [١]

" وقال قوم: إنما وقع هذا التشبيه براعي الضأن ؛ لأنها من أبلد الحيوان، فهي تحمق راعيها، ... فمعنى الآية : أن هؤلاء الكفرة يمر الدعاء على آذانهم صفحا يسمعونه ، ولا يفقهونه ؛ إذ لا ينتفعون بفقهه" [٢] ، بل الكفار أسوء من الحيوانات ؛ لأنه " قد يصير للحيوان الشُّعُور بِمُرَاد الْإِنْسَان ، فَرُبمَا إِذا خاطبه بِاللَّفْظِ وَالْإِشَارَة فهم المُرَاد – فالكافر – لَا يعرف إِلَّا الصَّوْت الْمُجَرّد دون الْمَعْنى الَّذِي يَقْتَضِيهِ تركيب الْكَلَام ، وَيُقَال للمُرَكَّبِ الَّذِي يُفهَم مِنْهُ الْمَعْنى ذَلِك. والنداء للاستحضار دون تَحْقِيق الْمَعْنى " [٣]

١٠- (شِرْعَةً – ومِنْهاجا)

قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ** ﴾ [سورة المائدة من الآية : ٤٨]

من نعم الله – سبحانه وتعالى – على عباده أنْ شَرَع لهم الأحكام ، وسن لهم السُّنن ، وبين لهم المعالم ، وحدد لهم الطريق ، ومن الألفاظ التي استعملها القرآن الكريم للدلالة على ذلك لفظ الشريعة ، فقال تعالى مخاطباً رسوله ﷺ :﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [سورة الجاثية الآية : ١٨] ، لكن عندما تحدث القرآن الكريم

([١]) المعجم الاشتقاقي ٢/ ٦٥٦ ، ٦٥٧ (د ع و)

([٢]) المحرر الوجيز ٢٣٨/١

([٣]) الكليات ص ٩٠٧

عن بيان اختلاف الشرائع ، قرن بين لفظ (الشِّرْعة) ، ولفظ (المِنْهَاج) ، مع العلم بأن لفظ المنهاج لم يأت في القرآن الكريم كله إلا مرة واحدة في هذا الموطن ، أي أنه من الفرائد القرآنية ، ولا شك أن هذا الاقتران لغرض دلالي ؛ لأن لفظ المنهاج متشابه دلاليا مع لفظ الشرعة ، حتى إن بعض العلماء جعلهما مترادفين، فقيل الشِّرعة والمنهاج جَمِيعًا: الطَّرِيق ، والطَّرِيق هَاهُنَا: الدِّين، ولكنَّ اللفظَ إِذا اختَلف أُتي بِهِ بألفاظٍ تؤكد بهَا القصَّة وَالْأَمر، كَمَا قَالَ عنترة :

حُيِّيتَ مِن طَلَلٍ تقادم عهدُه أقوى وأقفرَ بَعْدَ أمِّ الْهَيْثَم (١)

فَمَعْنَى أقوى وأقفَرَ وَاحِد يدلُّ على الخَلْوة ، إلاّ أنّ اللَّفظين أوكدُ فِي الخَلْوة من لفظ واحد" (٢) ، و" قَالَ بَعْضُهُمْ: الشِّرْعَةُ وَالْمِنْهَاجُ عِبَارَتَانِ عَنْ مَعْنًى وَاحِدٍ، وَالتَّكْرِيرُ لِلتَّأْكِيدِ وَالْمُرَادُ بِهِمَا الدِّينُ" (٣)

والأصل اللغوي للفظين يدل على تشابههما دلالياً ، جاء في المقاييس: شَرَعَ " الشِّينُ وَالرَّاءُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ شَيْءٌ يُفْتَحُ فِي امْتِدَادٍ يَكُونُ فِيهِ ، مِنْ ذَلِكَ : الشَّرِيعَةُ ، وَهِيَ مَوْرِدُ الشَّارِبَةِ الْمَاءَ، وَاشْتُقَّ مِنْ ذَلِكَ الشِّرْعَةُ فِي الدِّينِ" (٤)، فالشريعة : الطريقة والسنة (٥)

---

(١) البيت من (الكامل) في : ديوانه ص١٨٩، تهذيب اللغة١/ ٢٧٠ (ع ش ر)، لسان العرب٨/ ١٧٦ ، تاج العروس٢١/ ٢٦٠ (ش ر ع)

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٨٤/٢، ١٨٥ ، تهذيب اللغة ١/ ٢٧٠ (ع ش ر)، لسان العرب ٨/ ١٧٦(ش ر ع)

(٣) مفاتيح الغيب ١٢/ ٣٧٣

(٤) مقاييس اللغة ٣/ ٢٦٢ (ش ر ع)

(٥) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب ص ١٨٧(ش ر ع)

وجاء في العين : " نَهَجَ: طريقٌ نَهْجٌ: واسِعٌ واضِحٌ، وطُرُقٌ نَهْجةٌ ... والمِنْهاج: الطّريقُ الواضِحُ " (١) وقال ابن فارس : " النُّونُ وَالْهَاءُ وَالْجِيمُ أَصْلَانِ مُتَبَايِنَانِ: الْأَوَّلُ : النَّهْجُ، الطَّرِيقُ، وَنَهَجَ لِي الْأَمْرَ: أَوْضَحَهُ ، وَهُوَ مُسْتَقِيمُ الْمِنْهَاجِ ، وَالْمَنْهَجُ: الطَّرِيقُ أَيْضًا" (٢)

وقد اعترض البعض على أنهما بمعنى واحد ، قال أبو هلال العسكري: " الشَّاهِد على أَن اخْتِلَاف الْعبارَات والأسماء يُوجب اخْتِلَاف الْمعَانِي : أَن الِاسْم كلمة تدل على معنى الْإِشَارَة ، وَإِذا أُشير إِلَى الشَّيْء مرّة وَاحِدَة فَعُرِف ، فالإشارة إِلَيْهِ ثَانِيَةً وثالثةً غيرُ مفيدة ، وواضع اللُّغَة حَكِيم لَا يَأْتِي فِيهَا بِمَا لَا يُفِيد ، فَإِن أُشير مِنْهُ فِي الثَّانِي وَالثَّالِث إِلَى خلاف مَا أُشير إِلَيْهِ فِي الأول ، كَانَ ذَلِك صَوَابا ، فَهَذَا يدل على أَن كل اسْمَيْنِ يجريان على معنى من الْمعَانِي وَعينٍ من الْأَعْيَان فِي لُغَة وَاحِدَة ، فَإِن كل وَاحِد منهما يَقْتَضِي خلاف مَا يَقْتَضِيهِ الآخر، وَإِلَّا لَكَانَ الثَّانِي فضلا لَا يُحْتَاج إِلَيْهِ ، وَإِلَى هَذَا ذهب الْمُحَقِّقُونَ من الْعلمَاء ، وإليه أَشَارَ الْمبرد فِي تَفْسِير قَوْله تَعَالَى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ قَالَ : فَعطَفَ (منهاجًا) على (شرعةً)؛ لِأَن الشرعة لأوّل الشَّيْء ، والمنهاج لمعظمة ومتسعه ، واستشهد على ذَلِك بقَوْلهمْ : شرع فلَان فِي كَذَا ، إِذا ابتدأه ، وأنهج البِلَى فِي الثَّوْب إِذا اتَّسع فِيهِ، قَالَ : وَيعطف الشَّيْء على الشَّيْء وإن كَانَا يرجعان إِلَى شَيْء وَاحِد إِذا كَانَ فِي أَحدهمَا خلافُ الآخر ، فَأَما إِذا أُرِيد بالثاني مَا أُرِيد بِالْأولِ فَعَطْفُ أَحدِهمَا على الآخر خطأ ، لَا تَقول: جَاءَنِي زيد ، وَأَبُو عبد الله ، إِذا كَانَ زيد هُوَ : أَبُو عبد الله ، وَلَكِنْ مثل قَوْله :

---

(١) العين ٣/ ٣٩٢(هـ ج ن)

(٢) مقاييس اللغة ٥/ ٣٦١ (ن هـ ج)

أَمَرْتُكَ الخيرَ فافعلْ ما أُمِرتَ به فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وذَا نَشَبِ(١)

وذلك أَن المَال إِذا لم يُقيد فَإِنَّمَا يُعْنى بِهِ الصَّامِت"(٢) ، كَذَا قَالَ . والنَّشَبُ مَا يَنْشَب وَيثبت من العقارات ... قَالَ أَبُو هِلَال – رَحمَه الله – وَالَّذِي قَالَه هَاهُنَا فِي الْعَطف يدل على أَن جَمِيع مَا جَاءَ فِي الْقُرْآن ، وَعَن الْعَرَب من لفظين جاريين مجْرى مَا ذكرنَا من الْعقل واللب، والمعرفة وَالْعلم ، وَالْكَسْب وَالْجَرْح ، وَالْعَمَل وَالْفِعْل ، مَعْطُوفًا أَحدُهمَا على الآخر، فَإِنَّمَا جَازَ هَذَا فيهمَا ؛ لما بَينهمَا من الْفرق فِي الْمَعْنى ، وَلَوْلَا ذَلِك لم يَجُزْ عطفُ زيد على أبي عبد الله ، إِذْ كَانَ هو هو. قَالَ: أَبُو هِلَال– رَحمَه الله –: وَمَعْلُوم أَن من حق الْمَعْطُوف أَن يتَنَاوَل غير الْمَعْطُوف عَلَيْهِ ؛ ليَصِح عطف مَا عُطِف بِهِ عليه إِلَّا إِذا عُلِمَ أَن الثَّانِيَ ذُكر تفخيما، وَأُفْرِد عَمَّا قبله تَعْظِيمًا"(٣)

وقد اختلف العلماء في تحديد دلالة كل منهما اختلافًا كبيرًا ، فقيل : "الشِّرْعَةُ: السُّنَّةُ، وَالْمِنْهَاجُ: السَّبِيلُ " (٤) ، وقال الأخفش : "الشِّرْعَةُ" الدينِ.... و"المِنْهاجُ": الطَرِيقُ " (٥) ، وقال أبو العباس محمد بن يزيد: " : شِرعةً مَعْنَاهَا ابْتِدَاء الطَّرِيق ، والمنهاج: الطَّرِيق المستمرّ، قال: وهذه الألفاظ إِذا تكررت في مثل هذا فللزيادة في الفائدة " (٦) ، قال الفراء : " عَلى شَرِيعَةٍ : عَلَى دين

(١) البيت سبق تخريجه ، ص ٢٥

(٢) الصَّامِت : السَّاكِت وَمَا لَا نطق لَهُ ، وَمن المَال الذَّهَب وَالْفِضَّة ، وَيَقُولُونَ : مَا لَهُ صَامت وَلَا نَاطِق ، لَا يملِك شَيْئا ". المعجم الوسيط ١/ ٥٢٢، (ص م ت)، و(النشب) المَال وَالْعَقار " ، المعجم الوسيط ٢/ ٩٢١ (ن ش ب)

(٣) الفروق اللغوية ص ٢٢ ، ٢٣

(٤) تفسير مجاهد ص ٣١٠

(٥) معانى القرآن ١/ ٢٨٣

(٦) معاني القرآن وإعرابه ١٨٥/٢، تهذيب اللغة ١/ ٢٧٠ (ع ش ر)

وملة ومنْهاج ، كل ذَلِكَ يقال " (١) ، وقيل : " على مِثالٍ ومذْهب " (٢)، وقيل: الشرعَة: ابتداء الطريق، والمنهاج: معظمه" (٣)، وقيل : " معنى قوله شرعة ومنهاجاً أي سبيلاً وسُنةً " (٤)

، فـ " الشِّرْعَةُ عِبَارَةٌ عَنْ مُطْلَقِ الشَّرِيعَةِ، وَالطَّرِيقَةُ عِبَارَةٌ عَنْ مَكَارِمِ الشَّرِيعَةِ، وَهِيَ الْمُرَادُ بِالْمِنْهَاجِ، فَالشَّرِيعَةُ أَوَّلٌ، وَالطَّرِيقَةُ آخِرٌ " (٥)

وقيل:" الشرعة هي الطريق في الماء. والمنهج هو الطريق في اليابسة، ومقومات حياة الإنسان هي من الماء ومن الغذاء الذي يخرج من الأرض ، فكذلك جعل الحق – سبحانه وتعالى– في الْقِيَمِ هذين الاثنين، الشرعةَ والمنهاجَ " (٦)

وقيل : "يحتملُ لفظُ الآية أن يريد بالشرعة الأحكام، وبالمنهاج المعتقد، أي وهو واحد في جميعكم، وفي هذا الاحتمال بُعْد (٧) ، وقيل : الشرعة: ما ما ورد به القرآن ، والمنهاج: ما وردت به السنة ، ويؤيده قوله تعالى: ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴾ إذ العطف ظاهر في المغايرة إيثارا للتأسيس على التأكيد" (٨)

---

(١) معاني القرآن ٣/ ٤٦

(٢) تهذيب اللغة ١/ ٢٧١ (ع ش ر)، لسان العرب ٨/ ١٧٥، ١٧٦(ش ر ع)

(٣) تفسير الإمام الشافعي٢/ ٧٥٧

(٤) النكت والعيون ٢/ ٤٥

(٥) مفاتيح الغيب ٣٧٣/١٢

(٦) تفسير الشعراوي ٣١٨٢/٥

(٧) المحرر الوجيز ٢/ ٢٠١

(٨) الفروق اللغوية ص ٩٨، ٩٩، مؤسسة النشر الإسلامي

وأرى – والله أعلم – أن هذه الفروق ممكنة ، ومقبولة من ناحية اللغة ، والتأويل ، لكنْ أَوْلَاها بالقبول : أن المقصود بالشرعة الشرائعُ ، والمقصودَ بالمنهاج الطريقُ والوسائل والأسلوب ؛ لأن سياق الآيات الكريمة يتحدث عن شرائع الله – عز وجل – لعباده ، وأنه سبحانه وتعالى أنزل لكل أمة من الأمم ما يناسبها من الشرائع ، فأنزل في التوراة ما يلائم اليهود ، وشرع للنصارى ما يناسبهم ، وشرع للمسلمين شرائع تتوافق معهم ، ثم بيَّن سبحانه منهج استنباط هذه الشرائع وطريقةَ تطبيقِها ، ومن ثَمَّ فالمقام يستدعي هاتين الدلالتين ؛ لأن أحدهما لا يغني عن الآخر ، فالشريعة لا تؤدي معنى المنهج ، فقد نتفق في الشريعة لكن نختلف في المنهج والتطبيق ، فهذا يَتْبَعُ منهجَ فلانُ وطريقتَه ، وذاك يَتْبَعُ منهجَ آخَر وطريقةَ أخرى.

وأيضاً : فإن اليهود والنصارى قد حرفوا شرائعهم باتباعهم مناهج غير صحيحة للالتفاف حول أحكام الله ، وعدم تطبيقها ، فاتبعوا أساليب وطرقًا محرمة ، لعدم الحكم بما أنزل الله " فمعنى الكلام: لكل قوم منكم جعلنا طريقًا إلى الحق يؤمُّه ، وسبيلا واضحًا يعمل به" (١)

ويعضد ذلك ما جاء في التحرير والتنوير: " فَمِنْهَاجُ الْمُسْلِمِينَ لَا يُخَالِفُ الِاتِّصَالَ بِالْإِسْلَامِ، فَهُوَ كَمِنْهَاجِ الْمُهْتَدِينَ إِلَى الْمَاءِ، وَمِنْهَاجُ غَيْرِهِمْ مُنْحَرِفٌ عَنْ دِينِهِمْ ، كَمَا كَانَتِ الْيَهُودُ قَدْ جَعَلَتْ عَوَائِدَ مُخَالِفَةً لِشَرِيعَتِهِمْ، فَذَلِكَ كَالْمِنْهَاجِ الْمُوَصِّلِ إِلَى غَيْرِ الْمَوْرُودِ" (٢)

(١) جامع البيان ١٠/ ٣٨٤ ، مؤسسة الرسالة

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ٦/ ٢٢٣

١١- (ظلمًا – هضمًا)

قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ [سورة طه الآية : ١١٢]

حرَّم الحق – سبحانه وتعالى– الظلم على نفسه ، وعلى عباده ، وجعله بينهم محرمًا ، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه أن الله – سبحانه وتعالى – قال في الحديث القدسي: " يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا " (١) ، وعندما نفى سبحانه الظلم عن نفسه في القرآن الكريم قرن بين لفظين دلالاتُهما متشابهة ، وهما لفظا (الظلم والهضم)

فـ : " الظُّلْمُ: أخذُكَ حقَّ غَيْرك " (٢)، وقيل : " أصل الظُّلْم وضعُك الشيءَ فِي غير مَوْضِعه، ثمَّ كثر ذَلِك حَتَّى سُمّي كل عَسْف ظُلماً " (٣)، قال ابن فارس : " ظَلَمَ: الظَّاءُ وَاللَّامُ وَالْمِيمُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا خِلَافُ الضِّيَاءِ وَالنُّورِ، وَالْآخَرُ وَضْعُ الشَّيْءِ غَيْرَ مَوْضِعِهِ تَعَدِّيًا" (٤)

---

(١) الحديث في : صحيح مسلم ١٦/٨، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ ، حديث رقم (٢٥٧٧)

(٢) العين ٨/ ١٦٣ (ظ ل م)

(٣) جمهرة اللغة ٢/ ٩٣٤ ، تهذيب اللغة ١٤/ ٢٧٤ ، الصحاح ١٩٧٧/٥(ظ ل م)

(٤) مقاييس اللغة ٣/ ٤٦٨(ظ ل م)

أما الهضْمُ في اللغة فمعناه : النُّقْصَان [١] ، قال الزجاج : " الهضْمُ: النَّقْصُ، يقال فلان يهضمني حَقي أي ينْقُصُنِي" [٢]، وقال ابن دريد : " والهَضْم أَصله من قَوْلهم: هَضَمَ الدواءُ الطعامَ، إِذا نَهِكَه، ثمَّ صَار كل ظُلم هَضْماً" [٣]وقيل: " أَصْل الهَضْم الظُّلْم٠٠٠وَمِنْه الهَضِيم وَهُوَ المُتَظَلّمُ الحقّ المُنْتَقِصُهُ" [٤]

وقد ذهب العلماء إلى أن بين (الظلم والهضم) تشابهًا دلاليًا كبيرًا ؛ إذ اللفظان يُستعملان في الدلالة على (الظلم) ، فـ " الظلمُ والهَضْمُ متقاربان" [٥]. وقد فَرَّق بينهما بعض العلماء فقيل : " الظُّلْمُ أَنْ يُظْلَمَ حَقَّهُ ، وَالْهَضْمُ أَنْ يُهْضَمَ بَعْضَ حَقِّهِ" [٦]، قال العسكري: " الْفرق بَين الظُّلم والهضم : أَن الهضم نُقْصَان بعض الْحق ، وَلَا يُقَال لمن أَخذ جَمِيع حَقه قد هُضِم ، والظُّلم يكون فِي الْبَعْض وَالكُل ، وَفِي الْقُرْآن الكريم قال تعالى : ﴿ **فَلَا تَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا** ﴾ أَي لَا يمْنَع حَقَّه وَلَا بعضَ حَقه " [٧] ، وقد ذكر الماوردي الفرق بين الظلم والهضم فقال: " الظلم المنع من الحق كله ،

---

(١) الفرق بين الضاد والظاء في كتاب الله عز وجل ص ١٢٥، المخصص ١/ ٢٤٥ ، كتاب الأفعال ٣/ ٣٤٤

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٧٧

(٣) جمهرة اللغة ٢/ ٩١٢ (ض م هـ)

(٤) المخصص ١/ ٢٤٥

(٥) الدر المصون٨/ ١٠٩، اللباب في علوم الكتاب١٣/ ٣٩٦

(٦) تفسير الثوري ص ١٩٧

(٧) الفروق اللغوية ص ٢٣١، ٢٣٢

والهضم المنع من بعضه ، والهضم ظلم وإن افترقا من وجه " [١] ، قَالَ الْمُتَوَكِّلُ اللَّيْثِيُّ:

إِنَّ الْأَذِلَّةَ وَاللِّئَامَ لَمَعْشَرٌ مولاهم المُتَهضِّم الْمَظْلُومُ [٢]

ويؤيد هذا الفرق أن " أصل الهضم فِي الْعَرَبِيَّة النُّقْصَان " [٣]

وقد اختلف العلماء في تحديد الدلالة الخاصة للفظي (الظلم) و(الهضم) في الآية الكريمة ، فذهب بعضهم إلى أن المراد بالظلم : أَنْ يُزَادَ عَلَيْهِ سَيِّئَاتُهُ ، أو يُحْمَلَ عَلَيْهِ مِنْ ذَنْبِ غَيْرِهِ. والمراد بالهضم : أن يُنْقَصَ مِنْ حَسَنَاتِهِ. [٤]

أَو يضيع ثوابا لعمل من أَعماله مهما قلَّ أَو خفى بل يُوفَّى أَجره كاملا[٥] أو " لا يخاف ظلماً بأن لا يُجْزى بعمله ، ولا هضماً بالانتقاص من حقه" [٦] وقيل " لا يؤخذ بذنب لم يعمله، ولا تَبْطل حَسنة عَمِلها" [٧]

وقد وضح الرازي هذا فقال : " الظُّلْمُ هُوَ أَنْ يُعَاقَبَ لَا عَلَى جَرِيمَةٍ أو يُمْنَعَ مِنَ الثَّوَابِ عَلَى الطَّاعَةِ، وَالْهَضْمُ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ ثَوَابِهِ، وَالْهَضِيمَةُ

---

(١) النكت والعيون ٣/ ٤٢٨

(٢) البيت من (الكامل) في: النكت والعيون ٣/ ٤٢٨، البحر المحيط ٧/ ٣٧٣

(٣) الفروق اللغوية ص ٢٣٢، الفرق بين الضاد والظاء في كتاب الله عز وجل ص ١٢٥، المخصص ١/ ٢٤٥ ، كتاب الأفعال ٣/ ٣٤٤

(٤) تفسير يحيى بن سلام ١/ ٢٨٢

(٥) التفسير الوسيط ٦/١٠٧٠

(٦) النكت والعيون ٣/ ٤٢٨

(٧) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٣/ ٢٢٣

النَّقِيصَةُ ...الظُّلْمُ أَنْ يَنْقُصَ مِنَ الثَّوَابِ ، وَالْهَضْمُ أَنْ لَا يُوَفَّى حَقَّهُ مِنَ الْإِعْظَامِ لِأَنَّ الثَّوَابَ مَعَ كَوْنِهِ مِنَ اللَّذَّاتِ لَا يَكُونُ ثَوَابًا إِلَّا إِذَا قَارَنَهُ التَّعْظِيمُ ، وَقَدْ يَدْخُلُ النَّقْصُ فِي بَعْضِ الثَّوَابِ وَيَدْخُلُ فِيمَا يُقَارِنُهُ مِنَ التَّعْظِيمِ ، فَنَفَى اللَّه تعالى عن المؤمنين كلا الأمرين"(١)

في حين ذهب ابن عاشور إلى أنه : " يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الظُّلْمُ بِمَعْنَى النَّقْصِ الشَّدِيدِ كَمَا فِي قَوْلِهِ ﴿ وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ﴾ [سورة الكهف من الآية : ٣٣]، أَيْ لَا يَخَافُ إِحْبَاطَ عَمَلِهِ، وَعَلَيْهِ يَكُونُ الْهَضْمُ بِمَعْنَى النَّقْصِ الْخَفِيفِ ، وَعَطْفُهُ عَلَى الظُّلْمِ –عَلَى هَذَا التَّفْسِير – احتراس " (٢)

من خلال ما سبق يتبين أن الهضم نوع من الظلم يكون بنقصان الحق.

أما عن الحكمة الدلالية من الاقتران بين اللفظين المتشابهين دلاليًا فيرجع إلى أن من صفات الحق – سبحانه وتعالى– العدل ، وقضية العدل من القضايا المؤثرة في الحياة ؛ لأن الإنسان عندما يعلم بأنه سيحصل على حقه كاملًا يعمل ويجتهد في عمله، لعلمه بأن حقه لن يضيعَ ، ومن ثم أراد الحق – سبحانه وتعالى – أن يدفع توهم أي شخص بأنه قد يُظلم أو لا يحصل على حقه كاملا ، فأخبر سبحانه عن ذلك بلفظين متشابهين ، لبيان كمال عدل الله وفضله على عباده ، واستحالة الظلم في حقه تعالى ، وأنه سبحانه لا يَبْخَسُ الناس حقهم ولو مِثقال ذرة ، ومن ثم يطمئن الناس إلى أنهم سَيُجْزون الجزاءَ الأوفى " فَلَا يَخَافُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَظْلِمَهُ، فَيَحْمِلُ عَلَيْهِ

(١) مفاتيح الغيب ٢٢/ ١٠٣

(٢) التحرير والتنوير ١٦/ ٣١٣

سَـيِّئَاتِ غَيْـرِهِ فَيُعَاقِبُـهُ عَلَيْهَـا... وَلَا يَخَـافُ أَنْ يَهْضِـمَهُ حَسَـنَاتِهِ فَيَنْقُصُـهُ ثَوَابَهَا.(١)

يقول الشيخ الشعراوي : " ما فائدة عطف هَضْماً على ظُلْماً فنَفْي الظلم نَفْي للهضم؟ نقول: لأنه مرة يُبطل الثواب نهائياً، ومرة يُقلِّل الجزاء على الثواب" (٢) ، ولأنه سبحانه وتعالى لما ذكر العمل مع الإيمان جمع بين الظلم والهضم ، ليناسب الإيمان والعمل أيضًا فإن الله – سبحانه وتعالى – لما بين في الآية السابقة أن الإنسان الذي يحمل الظلم لأخيه المسلم يحمل الخيبة ، نفى عنه سبحانه الظلم والهضم كُليةً ، قال تعالى : ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [سورة طه الآية : ١١١]

وأما علة تقديم الظلم على الهضم فهي : أن الظلم عام والهضم خاص، ومن ثم قَدَّم العامَّ على الخاص.

١٢- (ٱلْعَدَاوَةَ - ٱلْبَغْضَآءَ)

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ﴾ [سورة المائدة من الآية : ١٤] ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ

(١) جامع البيان ١٦/ ١٧٥

(٢) تفسير الشعراوي ١٥/ ٩٤٠٠

وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ﴾ [سورة المائدة من الآية: ٦٤] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [سورة المائدة الآية : ٩١] ، وقوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [سورة الممتحنة الآية : ٤]

وقد ورد لفظ (البغضاء) منفردًا دون العداوة في قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٨]

من الألفاظ التي كثر بينها الاقتران في القرآن الكريم لفظا (العداوة – والبغضاء)، فقد اقترنا في القرآن الكريم في أربعة مواطن ، ولم ترد البغضاء إلا مرة واحدة منفردة في القرآن الكريم دون العداوة ، مما يستوجب البحث عن دلالة العداوة والبغضاء ، والغرضِ الدلاليِ من الاقتران والجمع بينهما

قيل: " (الْعَدُوُّ) ضِدُّ الْوَلِيِّ ، يُقَالُ: عَدُوٌّ بَيِّنُ الْعَدَاوَةِ " [١] ، و"العَداوة : المباعدة والخصومة، والعدو – ضدُّ الصِّديق– أصلُه من هذا ، كأن كلًّا في جانب كعُدوة الوادي ، أو هي من العُدْوان ... وكلُّ عَداوةٍ ... فهي بمعنىً ضدَّ المودة.[٢]

و" البُغْضُ: ضِدُّ الحُبِّ " [٣]، وقيل: " البُغْضُ: نَقِيضُ الحُبِّ، والبِغْضَة والبَغْضَاءُ: شدَّة البُغْضِ " [٤] ، قال ابن فارس : " بَغَضَ الْبَاءُ وَالْغَيْنُ وَالضَّادُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الْحُبِّ" [٥] و" البُغْض: نِفار النفس عن الشيء الذي ترغب عنه، وهو ضد الحبّ، فإنّ الحب انجذاب النفس إلى الشيء الذي ترغب فيه. يقال: بَغُضَ الشيءَ بُغْضاً وبَغَضْتُه بَغْضَاء " [٦]، وفي تاج العروس : " البُغْضُ بالضَّمّ: ضِدُّ الحُبّ...قَالَ شيْخُنَا [٧]، ضِدُّ الحُبِّ يَلْزَمُه العَدَاوَةُ فِي الأَكْثَر، لَا أَنَّهما بمَعْنىً، لِظَاهِرِ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ والبَغْضَاءَ" [٨]

فالعداوة والبغضاء بينهما تقارب دلالي كبير ، فكل منهما يدل على الكراهية والحقد ، وقد أشار ابن عاشور إلى ذلك فقال " وَالْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ اسْمَانِ لِمَعْنَيَيْنِ مِنْ جِنْسِ الْكَرَاهِيَةِ الشَّدِيدَةِ، فَهُمَا ضِدَّانِ لِلْمَحَبَّةِ. وَظَاهِرُ

---

(١) الصحاح ٦/ ٢٤١٩ ، مختار الصحاح ص ٢٠٣(ع د ا)

(٢) المعجم الاشتقاقي ٣/ ١٤١٧(ع د و)

(٣) جمهرة اللغة ١/ ٣٥٤(ب ض غ)

(٤) تهذيب اللغة ٨/ ٥٧ (غ ض ب)

(٥) مقاييس اللغة ١/ ٢٧٣ ، ٢٧٤ (ب غ ض)

(٦) المفردات في غريب القرآن ص ١٣٦ (ب غ ض)

(٧) يقصد بـ " شَيخنَا الإِمَام اللغويّ أبا عبد الله مُحَمَّدًا بنَ الطّيّب بنَ مُحَمَّد الفاسيّ "

(٨) تاج العروس ٢٤٧/١٨(ب غ ض)

عَطْفِ أَحَدِ الِاسْمَيْنِ عَلَى الْآخَرِ فِي مَوَاضِعَ مِنَ الْقُرْآنِ ، فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [سورة المائدة من الآية : ١٤] وَفِي الْآيَتَيْنِ بَعْدَهَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ ، وَفِي آيَةِ سُورَةِ الْمُمْتَحَنَةِ ، أَنَّهُمَا لَيْسَا مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُتَرَادِفَةِ ؛ لِأَنَّ الْتِزَامَ الْعَطْفِ بِهَذَا التَّرْتِيب يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ لِمُجَرَّدِ التَّأْكِيدِ، فَلَيْسَ عَطْفُ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ مِنْ قَبِيلِ عَطْفِ الْمُرَادِفِ لمجرّد التّأكيد، كَقَوْلِ عَدِيٍّ: وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمَيْنًا " [1]

لكن مع التشابه الدلالي يبقى بينهما فرق ، وقد اختلف العلماء في تحديد هذا الفرق ، فذهب البعض إلى أن العداوة تكون بالأبدان ، أي أنها ظاهرة في العلن ، وتكون بالجوارح ، أما البغضاء فتكون بالقلوب أي أنها لا تتجاوز النفوس، بالإضافة إلى أن العداوة لا تكون إلا بعد البغضاء ، أي أن الكراهية تكون بُغضا ، ثم تتحول إلى عداوة وقد لا تتحول ، ومن ثم تكون العداوة أخص من البغضاء ، فكل عداوة بغضاء ، وليس كل بغضاءٍ عداوة ، وفي ذلك يقول ابن عطية : " والْعَداوَةَ أخص من الْبَغْضاءَ ؛ لأن كل عدو فهو يَبْغَضُ وقد يبغض من ليس بعدو، وكأن العداوة شيء مشتهر يكون عنه عمل وحرب، والبغضاء قد لا تجاوز النفوس، وقد ألقى الله الأمرين على بني إسرائيل " (٢) فـ" العداوة بالفعال والبغضاء بالقلوب " (٣)

---

(١) التحرير والتنوير ٦/ ١٤٧، والشطر الأول : فقدَّمتِ الأديمَ لراهِشَيه ، البيت من (الوافر)، وهو قول عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ في ذيل ديوانه ص ١٨٣، وجمهرة اللغة ٢/ ٩٩٣ (م ن ي) ، لسان العرب ١٣/ ٤٢٥ (م ي ن)

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٢١٦ ، وينظر : الدر المصون ٤/ ٣٤٦ ، الكليات ص ٦٤٤

(٣) باهر البرهان في معانى مشكلات القرآن ٣/ ١٤٩٥

في حين ذهب ابن عرفة إلى ضد كلام ابن عطية ، حيث مال إلى أن الْعَدَاوَةُ أَعَمُّ مِنَ الْبَغْضَاءِ ، فيبدأ الأمر بالعداء وقد يصل إلى البغضاء وقد يقف عند حد العداوة ، فقال : " العداوة هي الانقطاع ، وتكون بين المتحابّين وبين المتباغضين، فقد تنقطع الوصلة بين المتحابين بالسفر ونحوه ، وقد تنقطع وينشأ عنها التباغض وقد لَا ينشأ، والبغضاء هي الكراهية القلبية سواء كانت مع المواصلة أو مع الانقطاع ، فقد تكره الشخص وأنت تواصله في الظاهر، فإن قلت: إذا كانت البغضاء من الأمر القلبي، فكيف وصفها بالظهور؟ فقال: **(وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ)**، فالجواب: بما قال ابن التلمساني في الأمور القلبية: أنها قد تُعرف بأمارات تَظْهر دليلا عليها كحمرة الخجل وصفرته " (١)

وقد علق ابن عاشور على ذلك فقال : " فَإِنْ كَانَتِ الْعَدَاوَةُ أَعَمَّ مِنَ الْبَغْضَاءِ زَادَتْ فَائِدَةُ الْعَطْفِ ؛ لِأَنَّهُ يَصِيرُ فِي مَعْنَى الِاحْتِرَاسِ، وَإِنْ كَانَتِ الْعَدَاوَةُ أَخَصَّ مِنَ الْبَغْضَاءِ لَمْ يَكُنِ الْعَطْفُ إِلَّا لِلتَّأْكِيدِ، لِأَنَّ التَّأْكِيدَ يَحْصُلُ بِذِكْرِ لَفْظٍ يَدُلُّ عَلَى بَعْضٍ مُطْلَقٍ من معنى المؤكّد، فَيَتَقَرَّرُ الْمَعْنَى وَلَوْ بِوَجْهٍ أَعَمَّ أَوْ أَخَصَّ، وَذَلِكَ يَحْصُلُ بِهِ مَعْنَى التَّأْكِيدِ.

وَعِنْدِي: أَنَّ كِلَا الْوَجْهَيْنِ – الْعَداوَةُ أخصُّ من الْبَغْضاءِ، والْعَدَاوَةُ أَعَمُّ مِنَ الْبَغْضَاءِ– غَيْرُ ظَاهِرٍ، وَالَّذِي أَرَى أَنَّ بَيْنَ مَعْنَيَيِ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ التَّضَادَّ وَالتَّبَايُنَ ، فَالْعَدَاوَةُ كَرَاهِيَةٌ تَصْدُرُ عَنْ صَاحِبِهَا مُعَامَلَةٌ بِجَفَاءٍ، أَوْ قَطِيعَةٌ، أَوْ إِضْرَارٌ، لِأَنَّ الْعَدَاوَةَ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْعَدْوِ وَهُوَ التَّجَاوُزُ وَالتَّبَاعُدُ، فَإِنَّ مُشْتَقَّاتِ مَادَّةِ (ع د و) كُلَّهَا تَحُومُ حَوْلَ التَّفَرُّقِ وَعَدَمِ الْوِئَامِ. وَأَمَّا الْبَغْضَاءُ

(١) تفسير ابن عرفة ٤/ ٢١٤

فَهِيَ شِدَّةُ الْبُغْضِ، وَلَيْسَ فِي مَادَّةِ (ب غ ض) إِلَّا مَعْنَى جِنْسِ الْكَرَاهِيَةِ ، فَلَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ اشْتِقَاقِ لَفْظِهَا مِنْ مَادَّتِهَا. نَعَمْ ، يُمْكِنُ أَنْ يُرْجَعَ فِيهِ إِلَى طَرِيقَةِ الْقَلْبِ، وَهُوَ مِنْ عَلَامَاتِ الِاشْتِقَاقِ، فَإِنَّ مَقْلُوبَ بَغِضَ يَكُونُ غَضِبَ لَا غَيْرُ، فَالْبَغْضَاءُ شِدَّةُ الْكَرَاهِيَةِ غَيْرَ مَصْحُوبَةٍ بِعَدْوٍ، فَهِيَ مُضْمَرَةٌ فِي النَّفْسِ. فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَصِحَّ اجْتِمَاعُ مَعْنَيَيِ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ فِي مَوْصُوفٍ وَاحِدٍ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ فَيَتَعَيَّنُ أَنْ يكون إلقاؤهما بَينهمَا عَلَى مَعْنَى التَّوْزِيعِ، أَيْ أَغْرَيْنَا الْعَدَاوَةَ بَيْنَ بَعْضٍ مِنْهُمْ وَالْبَغْضَاءَ بَيْنَ بَعْضٍ آخَرَ. فَوَقَعَ فِي هَذَا النَّظْمِ إِيجَازٌ بَدِيعٌ، لِأَنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى الِاعْتِمَادِ عَلَى عِلْمِ الْمُخَاطَبِينَ بِعَدَمِ اسْتِقَامَةِ اجْتِمَاعِ الْمَعْنَيَيْنِ فِي مَوْصُوفٍ وَاحِدٍ" [1]

وأرى – والله أعلم – أن سياق آيات العداوة والبغضاء يرجح أن العداوة أشد من البغضاء، فالبغضاء تكون في النفس والقلب وهي شعور بالكره وعدم الارتياح تجاه شخص ما ، قد تظل حبيسة النفس وقد تظهر في صورة كلام ليس أكثر ٠

أما العداوة فتكون ظاهرة وواضحة ومعروفة لدى الطرفين بل لكثير من الناس ،

ويدل على ذلك الآيات الأربع التي اقترنت فيها العداوة بالبغضاء ؛ حيث إن العداوة بين النصارى واليهود ظاهرة وواضحة والحروب خير شاهد على ذلك فلم تقتصر كراهيتهم على البغضاء ، وأيضاً عداوة سيدنا إبراهيم – عليه السلام – ومن معه للكفار واضحة ، بل بدت وظهرت كما أخبر القرآن الكريم ، وكذلك الشيطان يبذل كل قوته لإيقاع العداوة بين المسلمين ٠

(1) التحرير والتنوير ٦/ ١٤٧ ، ١٤٨

ويؤيد هذا الأمر سياق الآية التي انفردت فيها البغضاء ، حيث إن الكلام عن تحذير الحق سبحانه وتعالى من البطانة الفاسدة التي تضمر الكراهية وتفسد الإنسان ، ولا شك أن الإنسان لن يتخذ أعداءَه بطانة ؛ لأن عداوتهم الظاهرة تمنعه من اتخاذهم بطانة بخلاف البغضاء التي في النفوس حيث تكون غير ظاهرة ، ولا تتضح إلا من فلتات ألسنتهم ، ومن ثم قد يخدع الإنسان ويأخذ منهم بطانة ، ومن هنا اقتصر القرآن الكريم على البغضاء ، كما ألمح الحق سبحانه إلى عداوتهم التي يكتمونها بقوله : **(وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ)** أي والذي في صدورهم من العداوة أكثر مما أظهروا بأفواههم. [1] ، وأيضا فالحق سبحانه وتعالى وصف الشيطان بالعدو ؛ لأن عداوته للإنسان ظاهرة وواضحة للعلن ، مع أنه يبغض الإنسان ويكرهه ، وأيضا الرسول ﷺ حينما تحدث عن أمراض القلوب والنفوس اقتصر على النهي عن البغض ، ولم يذكر العداوة ، مما يدل على أن البغضاء تكون في النفوس وهي أقل من العداوة ، فقد روى البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : " لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ " [2]

وقدمت العداوة على البغضاء ؛ لخصوصيتها حيث إنها ظاهرة وواضحة ، ولأنها أقوى ، كما أن الاشتقاق اللغوي للعداوة والبغضاء يدل على أن العداوة تكون ظاهرة وواضحة بخلاف البغض فإنه من أمراض القلوب والنفوس.

---

(1) بحر العلوم ١/ ٢٤١

(2) الحديث في : صحيح البخاري ٨/ ١٩ ، بَابُ مَا يُنْهَى عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّدَابُرِ ، حديث رقم (٦٠٦٥)

١٣- (ٱسْتَغْفِرُوا - تُوبُوٓا)

قال تعالى : ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ [سورة هود الآية : ٣] ، وقال سبحانه: ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴾ [سورة هود الآية : ٥٢] ، وقال عَزَّ مِنْ قائل : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [سورة هود الآية : ٦١] ، وقال سبحانه : ﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [سورة هود الآية : ٩٠]

من الألفاظ التي تبرز قضية الاقتران الدلالي : اقترانُ لفظتي (التوبة والاستغفار) ، حيث قرن الحق سبحانه وتعالى بينهما في أكثر من آية ، مع أن الاستغفار يُستخدم للدلالة على معنى التوبة ، والتوبةَ تحتوي على الاستغفار .

أما عن معنى (غفر) في اللغة فتعني (السَّتْر والتغطية والعفو) قال ابن فارس : غَفَرَ" الْغَيْنُ وَالْفَاءُ وَالرَّاءُ عُظْمُ بَابِهِ السَّتْرُ ... فَالْغَفْرُ: السَّتْرُ "[١]،"وأَصل الغَفْرِ التَّغْطِيَةُ وَالسَّتْرُ ...غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ أَي سَتَرَهَا"[٢]،

([١]) مقاييس اللغة ٤/ ٣٨٥ (غ ف ر)

([٢]) لسان العرب ٥/ ٢٥ (غ ف ر)

وقيل : " الغَفْرُ والمَغْفِرَةُ: التَّغْطِيَة على الذُّنُوب والعَفْوُ عَنْهَا، وَقد غَفَرَ اللهُ ذَنْبَهُ يَغْفِرُه غَفْراً" (١)

أما عن معنى (التوبة) في اللغة فتعني (تاب ، ورجع ، وأناب) ، قال الأزهري : و" أصل تَابَ عَاد إِلَى الله وَرجع وأنابَ ، وتَابَ الله عَلَيْهِ أَي عَاد عَلَيْهِ بالمغفرة " (٢) قال ابن فارس : " تَوَبَ : التَّاءُ وَالْوَاوُ وَالْبَاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى الرُّجُوعِ. يُقَالُ تَابَ مِنْ ذَنْبِهِ، أَيْ رَجَعَ عَنْهُ ، يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً وَمَتَابًا، فَهُوَ تَائِبٌ " (٣)

وقد حاول المفسرون بيان الدلالة المرادة من الجمع بين التوبة والاستغفار ، وسرَّ تقديم الاستغفار على التوبة في الآيات السابقة : فذهب فريق منهم إلى أن الاستغفار يُستخدم للدلالة على معنى التوبة في حالة الانفراد ، فحينما يُطلق الاستغفار يُقصد به التوبة أيضًا ؛ لأن " الاستغفار من التوبة " (٤) ، أو " هو التوبة" (٥) أما في حالة الجمع فيشترِكان في المعنى العام ، لكن يبقى لكل منهما دلالة خاصة ، وفي ذلك يقول ابن القيم: " وَأَمَّا الِاسْتِغْفَارُ فَهُوَ نَوْعَانِ: مُفْرَدٌ، وَمَقْرُونٌ بِالتَّوْبَةِ ، فَالْمُفْرَدُ: كَقَوْلِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ [نوح:١٠، ١١]،وَكَقَوْلِ صَالِحٍ لِقَوْمِهِ : ﴿ لَوْلَا

---

(١) تاج العروس ١٣ / ٢٤٧ (غ ف ر)

(٢) تهذيب اللغة ١٤/ ٢٣٦ (ت ب و)

(٣) مقاييس اللغة ١/ ٣٥٧ ، لسان العرب ١/ ٢٣٣(ت و ب)

(٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٥/ ١٥٧

(٥) لطائف الإشارات ٢/ ١٢١

تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [سورة النمل من الآية : ٤٦] ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة البقرة من الآية : ١٩٩] وَقَوْلِهِ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [سورة الأنفال الآية : ٣٣] ، وَالْمَقْرُون كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ [سورة هود الآية : ٣] ... فَالِاسْتِغْفَارُ الْمُفْرَدُ كَالتَّوْبَةِ ، بَلْ هُوَ التَّوْبَةُ بِعَيْنِهَا، مَعَ تَضَمُّنِهِ طَلَبَ الْمَغْفِرَةِ مِنَ اللَّهِ ، وَهُوَ مَحْوُ الذَّنْبِ، وَإِزَالَةُ أَثَرِهِ ، وَوِقَايَةُ شَرِّهِ ، لَا كَمَا ظَنَّهُ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّهَا السَّتْرُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَسْتُرُ عَلَى مَنْ يَغْفِرُ لَهُ وَمَنْ لَا يَغْفِرُ لَهُ ، وَلَكِنَّ السَّتْرَ لَازِمُ مُسَمَّاهَا أَوْ جُزْؤُهُ، فَدَلَالَتُهَا عَلَيْهِ إِمَّا بِالتَّضَمُّنِ وَإِمَّا بِاللُّزُومِ ، وَحَقِيقَتُهَا وِقَايَةُ شَرِّ الذَّنْبِ...فَالِاسْتِغْفَارُ يَتَضَمَّنُ التَّوْبَةَ ، وَالتَّوْبَةُ تَتَضَمَّنُ الِاسْتِغْفَارَ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا يَدْخُلُ فِي مُسَمَّى الْآخَرِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ ، وَأَمَّا عِنْدَ اقْتِرَانِ إِحْدَى اللَّفْظَتَيْنِ بِالْأُخْرَى، فَالِاسْتِغْفَارُ: طَلَبُ وِقَايَةِ شَرِّ مَا مَضَى، وَالتَّوْبَةُ: الرُّجُوعُ وَطَلَبُ وِقَايَةِ شَرِّ مَا يَخَافُهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِهِ.

فَهَاهُنَا ذَنْبَانِ: ذَنْبٌ قَدْ مَضَى، فَالِاسْتِغْفَارُ مِنْهُ : طَلَبُ وِقَايَةِ شَرِّهِ ، وَذَنْبٌ يُخَافُ وُقُوعُهُ ، فَالتَّوْبَةُ: الْعَزْمُ عَلَى أَنْ لَا يَفْعَلَهُ ، وَالرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ يَتَنَاوَلُ النَّوْعَيْنِ ، رُجُوعٌ إِلَيْهِ لِيَقِيَهُ شَرَّ مَا مَضَى، وَرُجُوعٌ إِلَيْهِ لِيَقِيَهُ شَرَّ مَا يُسْتَقْبَلُ مِنْ شَرِّ نَفْسِهِ وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِهِ...فَهَاهُنَا أَمْرَانِ لَا بُدَّ مِنْهُمَا: مُفَارَقَةُ شَيْءٍ، وَالرُّجُوعُ إِلَى غَيْرِهِ ، فَخُصَّتِ التَّوْبَةُ بِالرُّجُوعِ ، وَالِاسْتِغْفَارُ بِالْمُفَارَقَةِ ،

وَعِنْدَ إِفْرَادِ أَحَدِهِمَا يَتَنَاوَلُ الْأَمْرَيْنِ، وَلِهَذَا جَاءَ – وَاللَّهُ أَعْلَمُ – الْأَمْرُ بِهِمَا مُرَتَّبًا بِقَوْلِهِ:﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ﴾[سورة هود من الآية : ٣] فَإِنَّهُ الرُّجُوعُ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْبَاطِلِ، وَأَيْضًا : فَالِاسْتِغْفَارُ مِنْ بَابِ إِزَالَةِ الضَّرَرِ، وَالتَّوْبَةُ طَلَبُ جَلْبِ الْمَنْفَعَةِ ، فَالْمَغْفِرَةُ أَنْ يَقِيَهُ شَرَّ الذَّنْبِ، وَالتَّوْبَةُ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ بَعْدَ هَذِهِ الْوِقَايَةِ مَا يُحِبُّهُ ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا يَسْتَلْزِمُ الْآخَرَ عِنْدَ إِفْرَادِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ"(١)

وقيل:عند الجمع يكون معنى "الاسْتِغْفَار: طلب الْمَغْفِرَة بِالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَة أَو بغيرهما من الطَّاعَة ، وَالتَّوْبَة: النَّدَم على الْخَطِيئَة مَعَ الْعَزْم على ترك المعاودة"(٢)

ومع أن الوضع اللغوي للاستغفار قد لا يشتمل على معنى التوبة لكن من حيث الاستعمال يشملها، فكون : " مَعْنَى الِاسْتِغْفَارِ غَيْرَ مَعْنَى التَّوْبَةِ هُوَ بِحَسَبِ وَضْعِ اللَّفْظِ ، لَكِنَّهُ غَلَبَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ : أَنَّ لَفْظَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مَعْنَاهُ التَّوْبَةُ ، فَمَنْ كَانَ ذَلِكَ مُعْتَقَدَهُ فَهُوَ يُرِيدُ التَّوْبَةَ لَا مَحَالَةَ.. وَذَكَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ التَّوْبَةَ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِالِاسْتِغْفَارِ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ﴾ [سورة هود من الآية: ٣] وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ لَا يُشْتَرَطُ"(٣)، وَقيل : " عِنْدَ الْإِطْلَاقِ : يَدْخُل كُلٌّ مِنْهُمَا فِي مُسَمَّى الْآخَرِ ، وَعِنْدَ اقْتِرَانِهِمَا يَكُونُ الِاسْتِغْفَارُ طَلَبَ وِقَايَةِ شَرِّ مَا مَضَى ، وَالتَّوْبَةُ الرُّجُوعَ وَطَلَبُ وِقَايَةِ شَرِّ

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ١/٣١٤، ٣١٥ ، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ١/ ١٥١

(٢) الفروق اللغوية ص ٢٣٥

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٤/ ١٦١٨

مَا يَخَافُهُ فِي الْمُسْتَقْبَل مِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِهِ ، فَفِي التَّوْبَةِ أَمْرَانِ لاَ بُدَّ مِنْهُمَا : مُفَارَقَةُ شَيْءٍ ، وَالرُّجُوعُ إِلَى غَيْرِهِ ، فَخُصَّتِ التَّوْبَةُ بِالرُّجُوعِ وَالاِسْتِغْفَارُ بِالْمُفَارَقَةِ ، وَعِنْدَ إِفْرَادِ أَحَدِهِمَا يَتَنَاوَل كُلٌّ مِنْهُمَا الآخَرَ " [1]

بينما حدد الرازي أوجه الاشتراك والفرقَ بين الاستغفار والتوبة فقال : " الاِسْتِغْفَارُ وَالتَّوْبَةُ يَشْتَرِكَانِ فِي أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا رُجُوعٌ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، كَذَلِكَ يَشْتَرِكَانِ فِي طَلَبِ إِزَالَةِ مَا لاَ يَنْبَغِي ، إِلاَّ أَنَّ الاِسْتِغْفَارَ طَلَبٌ مِنَ اللَّهِ لإِزَالَتِهِ . وَالتَّوْبَةُ سَعْيٌ مِنَ الإِْنْسَانِ فِي إِزَالَتِهِ" [2] ، وقيل : " عِنْدَ الْمَعْصِيَةِ يَكُونُ الاِسْتِغْفَارُ الْمَقْرُونُ بِالتَّوْبَةِ عِبَارَةً عَنْ طَلَبِ الْمَغْفِرَةِ بِاللِّسَانِ ، وَالتَّوْبَةُ عِبَارَةً عَنِ الإِْقْلاَعِ عَنِ الذَّنْبِ بِالْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ " [3] ، وقيل يحتمل : " أن المعنى : استغفروه من الصغائر وتوبوا إليه من الكبائر" [4] ، وأيضاً فإن :" التَّوْبَةَ مَعْنَاهَا الرُّجُوعُ إِلَى الْعَمَلِ بِطَاعَةِ اللَّهِ ، وَالِاسْتِغْفَارُ: اسْتِغْفَارٌ مِنَ الشِّرْكِ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ مُقِيمِينَ، وَالْعَمَلُ لِلَّهِ لَا يَكُونُ عَمَلًا لَهُ إِلَّا بَعْدَ تَرْكِ الشِّرْكَ بِهِ، فَأَمَّا الشِّرْكُ فَإِنَّ عَمَلَهُ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلشَّيْطَانِ، فَلِذَلِكَ أَمَرَهُمْ – تَعَالَى ذِكْرُهُ – بِالتَّوْبَةِ إِلَيْهِ بَعْدَ الِاسْتِغْفَارِ مِنَ الشِّرْكِ ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الشِّرْكِ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُطِيعُونَ اللَّهَ بِكَثِيرٍ مِنْ أَفْعَالِهِمْ، وَهُمْ عَلَى شِرْكِهِمْ مُقِيمُونَ " [5] ، " وإنما قدم الاستغفار على التوبة ؛ لأن الإنسان يستقبح الشر ويعرض عنه مستغفرا، ثم يستفتح الخير ويقبل عليه مستوفيا". [6] ، وقيل : " قَدَّم ذِكرَ الاستغفار ، لأن المغفرة

([1]) السابق ٤/ ١٦٠٩

([2]) مفاتيح الغيب ١٧/ ٣١٥

([3]) شرح ثلاثيات مسند أحمد ٢ / ٩٠٢ المكتب الإسلامي .

([4]) النكت والعيون ٢/ ٤٥٦

([5]) جامع البيان ١٢/ ٢١٢، ٢١٣

([6]) دَرْجُ الدُّرر في تَفسِير الآيِ والسُّوَر ٢/ ٣٤

هي الغرض المطلوب والتوبة هي السبب إليها ، فالمغفرة أولٌ في الطلب وآخِرٌ في السبب " [1] ، وقد ذكر الرازي فَائِدَةِ هَذَا التَّرْتِيبِ فقال :إِنَّ الْمُرَادَ: " اسْتَغْفِرُوا مِنْ سَالِفِ الذُّنُوبِ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ فِي الْمُسْتَأْنَفِ ، أو اسْتَغْفِرُوا مِنَ الشِّرْكِ وَالْمَعَاصِي، ثُمَّ تُوبُوا مِنَ الْأَعْمَالِ الْبَاطِلَةِ ، وأيضاً : فإن الِاسْتِغْفَارُ طَلَبٌ مِنَ اللَّهِ لِإِزَالَةِ مَا لَا يَنْبَغِي وَالتَّوْبَةُ سَعْيٌ مِنَ الْإِنْسَانِ فِي إِزَالَةِ مَا لَا يَنْبَغِي، فَقَدَّمَ الِاسْتِغْفَارَ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ الْمَرْءَ يَجِبُ أَنْ لَا يَطْلُبَ الشَّيْءَ إِلَّا مِنْ مَوْلَاهُ فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى تَحْصِيلِهِ، ثُمَّ بَعْدَ الِاسْتِغْفَارِ ذَكَرَ التَّوْبَةَ لِأَنَّهَا عَمَلٌ يَأْتِي بِهِ الْإِنْسَانُ وَيَتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى دَفْعِ الْمَكْرُوهِ ، وَالِاسْتِعَانَةُ بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى مُقَدَّمَةٌ عَلَى الِاسْتِعَانَةِ بِسَعْيِ النَّفْسِ " [2]

١٤- (الفحشاء – المُنْكر)

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [سورة النحل الآية : ٩٠] ، وقال سبحانه : ﴿ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ ﴾ **[سورة النور من الآية : ٢١]** ، وقال عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ ﴾ [سورة العنكبوت من الآية : ٤٥]

من الألفاظ التي تكرر ذكرها في القرآن الكريم : لفظا الفاحشة والمنكر، وقد ورد كل منهما منفردًا كثيرًا ، كما وردا مقترنيْن في الآيات السابقة ٠

([1]) النكت والعيون ٢/ ٤٥٦، وينظر : تفسير القرآن للسمعاني ٢/ ٤١٢

([2]) مفاتيح الغيب ١٧/ ٣١٥

والفحشاء والمنكر بينهما تشابه دلالي كبير ، فيشتركان في المعنى العام ، وهو الشيء القبيح غير المقبول من القول والفعل ، فـ {الفحشاء} " كل مُسْتضقْبَح من قول أو فعل" [١] قال الخليل : " الفُحْشُ: مَعرُوف، والفَحْشاءُ: اسمٌ للفاحِشة. وأفحَشَ في القَوْل والعَمَل ، وكلُّ أمرٍ لم يُوافقِ الحَقَّ فهو فاحِشةٌ " [٢] . ويقول ابن فارس : " فَحَشَ: الْفَاءُ وَالْحَاءُ وَالشِّينُ كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى قُبْحٍ فِي شَيْءٍ وَشَنَاعَةٍ ، مِنْ ذَلِكَ الْفُحْشُ وَالْفَحْشَاءُ وَالْفَاحِشَةُ. يَقُولُونَ: كُلُّ شَيْءٍ جَاوَزَ قَدْرَهُ فَهُوَ فَاحِشٌ ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِيمَا يُتَكَرَّهُ ، وَأَفْحَشَ الرَّجُلُ: قَالَ الْفُحْشَ ، وَفَحَشَ، وَهُوَ فَحَّاشٌ" [٣]

والمنكر : يقول ابن فارس : نَكَرَ: " النُّونُ وَالْكَافُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الْمَعْرِفَةِ الَّتِي يَسْكُنُ إِلَيْهَا الْقَلْبُ. وَنَكِرَ الشَّيْءَ وَأَنْكَرَهُ : لَمْ يَقْبَلْهُ قَلْبُهُ وَلَمْ يَعْتَرِفْ بِهِ لِسَانُهُ ، قَالَ :

وَأَنْكَرَتْنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرَتْ مِنَ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلَعَا[٤]

وَالْبَابُ كُلُّهُ رَاجِعٌ إِلَى هَذَا ، فَالنُّكْرُ: الدَّهْيُ ، وَالنَّكْرَاءُ: الْأَمْرُ الصَّعْبُ الشَّدِيدُ. وَنَكُرَ الْأَمْرُ نَكَارَةً ، وَالْإِنْكَارُ: خِلَافُ الِاعْتِرَافِ " [٥] " وكلُّ مَا قَبَّحَهُ الشَّرْعُ وحَرَّمَهُ وَكَرِهَهُ، فَهُوَ مُنْكَرٌ " [٦]

---

(١) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب ، لأبي حيان ص ٢٥١

(٢) العين ٣/ ٩٦(ح ش ف)

(٣) مقاييس اللغة ٤/ ٤٧٨ (ف ح ش)

(٤) البيت من (البسيط) للأعشى في ديوانه ص ١٥١ ، تهذيب اللغة ١٠/١٠٩ (ك ر ن) ، لسان العرب ٥/ ٢٣٣ (ن ك ر)

(٥) مقاييس اللغة ٥/ ٤٧٦ (ن ك ر)

(٦) لسان العرب ٥/ ٢٣٣ ، تاج العروس ١٤/ ٢٩٠ (ن ك ر)

وقد ذهب القاسمي إلى ملحظ دلالي خاص بالاقتران ، وهو أن اللفظ عندما يكون منفردا تكون له دلالة عامة ، فإذا اقترن بما يشابهه كانت له دلالة خاصة ، أي أن اقتران اللفظين يجعل دلالة كل منهما مختلفة عن الآخر ، فقال : " فتارة يخص – سبحانه وتعالى– اسم المنكر بالنهي، وتارة يقرنه بالفحشاء، وتارة يقرن معهما البغي ، وكذلك المعروف ، تارة يخصه بالأمر، وتارة يقرن به غيره كقوله تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [سورة النساء من الآية : ١١٤] ، وذلك أن الأسماء قد يكون عمومها وخصوصها بحسب الإفراد والتركيب ، كلفظ (الفقير والمسكين) ، إذا عُرِف هذا فاسم المنكر يعمّ كل ما كرهه الله ونهى عنه... وإذا قرن المنكر بالفحشاء، فالفحشاء مبناها على المحبة ، والمنكر هو الذي تنكره القلوب ، فقد يُظَنُّ أن ما في الفاحشة من المحبة يخرجها عن الدخول فيه ، فإن الفاحشة – وإن كانت مما تنكره القلوب– فإنها تشتهيها النفوس٠٠٠ولكل من النفوس لذة بحصول مطلوبها ، فالفواحش والبغي مقرونان بالمنكر ، وأما الإشراك والقول على الله بلا علم ، فإنه منكر محض، ليس في النفوس ميل إليهما ، بل إنما يكونان عن عناد وظلم ، فهما منكر محض بالفطرة " (١).

ونبه الرازي على الدلالة الخاصة بقوله : " وَأَقُولُ : ظَاهِرُ هَذِهِ الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ، وَهِيَ الْعَدْلُ وَالْإِحْسَانُ وَإِيتَاءُ ذِي الْقُرْبَى ، وَنَهَى عَنْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ وَهِيَ: الْفَحْشَاءُ، وَالْمُنْكَرُ، وَالْبَغْيُ ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْعَدْلُ وَالْإِحْسَانُ وَإِيتَاءُ ذِي الْقُرْبَى ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ مُتَغَايِرَةً ، وَوَجَبَ أَنْ

(١) محاسن التأويل ٩/ ٣٥٨، ٣٥٩

تَكُونَ الْفَحْشَاءُ وَالْمُنْكَرُ وَالْبَغْيُ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ مُتَغَايِرَةً، لِأَنَّ الْعَطْفَ يُوجِبُ الْمُغَايَرَةَ " (١)

وقد اجتهد اللغويون ، والمفسرون في استنباط الفرق ، والغرض الدلالي من الاقتران بينهما ، فقيل : المنكر : الأمر القبيح الذي تستنكره النفوس الطبيعية أو الشريعة الغراء ، فـ " المُنكَر: كلُّ فعلٍ تَحْكُم العقولُ الصحيحةُ بقُبْحه، أَو تتوَقَّفُ فِي استِقْباحِه العقولُ فتحكُم الشريعةُ بقُبْحِه " (٢)

أما الفحشاء فهو أعظم القبح وأكبره من القول والفعل ، ومن ثم سمى الله سبحانه وتعالى الزنا فاحشة ، واشتهر ذلك حتى أصبح لفظ الفاحشة يطلق ويراد به الزنا في أحيان كثيرة ، أي أنه أصبح صريحا في الدلالة على الزنا فـ : " رُبمَا جعلُوا الْفَحْشَاء الْفُجُور ... وَرُبمَا قَالُوا: جَاءَ فلَان بالفاحشة فِي معنى الْفَحْشَاء " (٣) ويقول ابن فارس : " الْفَاءُ وَالْحَاءُ وَالشِّينُ كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى قُبْحٍ فِي شَيْءٍ وَشَنَاعَةٍ ... يَقُولُونَ: كُلُّ شَيْءٍ جَاوَزَ قَدْرَهُ فَهُوَ فَاحِشٌ ؛ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِيمَا يُتَكَرَّهُ ، وَأَفْحَشَ الرَّجُلُ: قَالَ الْفُحْش ، وَفَحَشَ، وَهُوَ فَحَّاشٌ " (٤) ، وقال الشوكاني : " الْفَحْشاء هِيَ الْخَصْلَةُ الْمُتَزَايِدَةُ فِي الْقُبْحِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، وَقِيلَ: هِيَ الزِّنَا، وَقِيلَ: الْبُخْلُ ، وَالْمُنْكَرِ : مَا أَنْكَرَهُ الشَّرْعُ

(١) مفاتيح الغيب ٢٠/ ٢٥٩

(٢) بصائر ذوي التمييز ٥/ ١٢١ ، تاج العروس ١٤/ ٢٩٠

(٣) جمهرة اللغة ١/ ٥٣٧ (ح ش ف)

(٤) مقاييس اللغة ٤/ ٤٧٨ (ف ح ش)

بِالنَّهْيِ عَنْهُ، وَهُوَ يَعُمُّ جَمِيعَ الْمَعَاصِي عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا، وَقِيلَ: هُوَ الشِّرْكُ " (١)

وأكد ابن الأثير ذلك فقال : " الفُحْش والفَاحِشَة والفَوَاحِش ... كُلُّ مَا يَشْتَدُّ قُبْحُهُ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي. وَكَثِيرًا مَا تَرد الفَاحِشَة بِمَعْنَى الزِّنَا. وَكُلُّ خَصْلة قَبِيحَةٍ فَهِيَ فَاحِشَة، مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَال ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ " قَالَ لِعَائِشَةَ: لَا تقَولِي ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبّ الفُحْش وَلَا التَّفَاحُش ، أَرَادَ بالفُحْش التَّعَدّيَ فِي القَول وَالْجَوَابِ، لَا الفُحْشَ الَّذِي هُوَ مِنْ قَذَع الْكَلَامِ ورَدِيئه. والتَّفَاحُش: تَفَاعُلٌ مِنْهُ، وَقَدْ يَكُونُ الفُحْش بِمَعْنَى الزِّيَادَةِ والكَثْرة " (٢)

وقيل " الفحشاء الاستهانة بالشريعة ، والمنكر الإصرار على الذنب كيفما كان... وقيل : الفحشاء إضافة الأشياء إلى غيره تعالى مِلْكاً وإيجاداً"(٣)

بينما ذهب الشيخ الشعراوي إلى التفريق من وجه آخر وهو : أن " المنكر ليس محرماً بالشرع فقط ، بل هو ما ينكره الطبع السليم ، وأيضاً : فصاحب الطبع غيرِ السليم يحكم أنه منكر إذا كانت المعاصي تعود عليه بالضرر، أما الفاحشة : فكل شيء يَخْدُشُ حُكْماً من أحكام الله تعالى...ثم قال: "ومن أقوال العلماء في الفاحشة: أنها الذنب العظيم الذي يخجل صاحبه منه ويستره عن الناس، فلا يستطيع أنْ يُجاهر به ، كأنه هو نفسَه

---

(١) فتح القدير ٣/ ٢٢٥

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣/ ٤١٥

(٣) روح المعاني ٧/ ٤٢٣

حينما يقع فيه يعلم أنه لا يصحّ ، ولا ينبغي لأحد أن يطلع عليه ، (والمنكر) هو الذنب يتجرّأ عليه صاحبه، ويُجاهر به، ويستنكره الناس.

إذن: لدينا هنا مرتبتان من الذنب: الأولى: أن صاحبه يتحرَّج أن يعرفه المجتمع فيستره في نفسه ، وهذا هو الفحشاء. والثانية : ما تَعَالَمَ به صاحبه وأنكره المجتمع، وهذا هو المنكر " [1]

وقد حاول الرازي بيان الحكمة من الجمع بينهما فقال : " وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا، وَهِيَ الْفَحْشَاءُ وَالْمُنْكَرُ وَالْبَغْيُ فَنَقُولُ: إِنَّهُ تَعَالَى أَوْدَعَ فِي النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ قُوَى أَرْبَعَةً ، وَهِيَ الشَّهْوَانِيَّةُ الْبَهِيمِيَّةُ وَالْغَضَبِيَّةُ السَّبُعِيَّةُ وَالْوَهْمِيَّةُ الشَّيْطَانِيَّةُ وَالْعَقْلِيَّةُ الْمَلَكِيَّةُ ، وَهَذِهِ الْقُوَّةُ الرَّابِعَةُ أَعْنِي الْعَقْلِيَّةَ الْمَلَكِيَّةَ لَا يَحْتَاجُ الْإِنْسَانُ إِلَى تَأْدِيبِهَا وَتَهْذِيبِهَا، لِأَنَّهَا مِنْ جَوَاهِرِ الْمَلَائِكَةِ، وَمِنْ نَتَائِجِ الْأَرْوَاحِ الْقُدْسِيَّةِ الْعُلْوِيَّةِ، إِنَّمَا الْمُحْتَاجُ إِلَى التَّأْدِيبِ وَالتَّهْذِيبِ تِلْكَ الْقُوَى الثَّلَاثَةُ الأولى. أَمَّا الْقُوَّةُ الشَّهْوَانِيَّةُ، فَهِيَ إِنَّمَا تُرَغِّبُ فِي تَحْصِيلِ اللَّذَّاتِ الشَّهْوَانِيَّةِ، وَهَذَا النوع مَخْصُوصٌ بِاسْمِ الْفُحْشِ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ تَعَالَى سَمَّى الزِّنَا فَاحِشَةً فَقَالَ: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [سورة النساء من الآية : ٢٢] ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى:(وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ) الْمُرَادُ مِنْهُ الْمَنْعُ مِنْ تَحْصِيلِ اللَّذَّاتِ الشَّهْوَانِيَّةِ الْخَارِجَةِ عَنْ إِذْنِ الشَّرِيعَةِ ، وَأَمَّا الْقُوَّةُ الْغَضَبِيَّةُ السَّبُعِيَّةُ فَهِيَ: أَبَدًا تَسْعَى فِي إِيصَالِ الشَّرِّ وَالْبَلَاءِ وَالْإِيذَاءِ إِلَى سَائِرِ النَّاسِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ النَّاسَ يُنْكِرُونَ تِلْكَ الْحَالَةَ ، فَالْمُنْكَرُ عِبَارَةٌ عَنِ الْإِفْرَاطِ الْحَاصِلِ فِي آثَارِ الْقُوَّةِ الْغَضَبِيَّةِ ، وَأَمَّا الْقُوَّةُ الْوَهْمِيَّةُ الشَّيْطَانِيَّةُ فَهِيَ أَبَدًا تَسْعَى فِي الِاسْتِعْلَاءِ عَلَى النَّاسِ وَالتَّرَفُّعِ وَإِظْهَارِ الرِّيَاسَةِ وَالتَّقَدُّمِ، وَذَلِكَ هو المراد مِنَ

([1]) تفسير الشعراوي١٣ / ٨١٧٠، ٨١٧١

الْبَغْيِ، فَإِنَّهُ لَا مَعْنَى لِلْبَغْيِ إِلَّا التَّطَاوُلُ عَلَى النَّاسِ وَالتَّرَفُّعُ عَلَيْهِمْ، فَظَهَرَ بِمَا ذَكَرْنَا أَنَّ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ الثَّلَاثَةَ مُنْطَبِقَةٌ عَلَى أَحْوَالِ هَذِهِ الْقُوَى الثَّلَاثَةِ ، وَمِنَ الْعَجَائِبِ فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ الْعُقَلَاءَ قَالُوا: أَخَسُّ هَذِهِ الْقُوَى الثَّلَاثَةِ هِيَ الشَّهْوَانِيَّةُ ، وَأَوْسَطُهَا الْغَضَبِيَّةُ ، وَأَعْلَاهَا الْوَهْمِيَّةُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى رَاعَى هَذَا التَّرْتِيبَ فَبَدَأَ بِالْفَحْشَاءِ الَّتِي هِيَ نَتِيجَةُ الْقُوَّةِ الشَّهْوَانِيَّةِ ، ثُمَّ بِالْمُنْكَرِ الَّذِي هُوَ نَتِيجَةُ الْقُوَّةِ الْغَضَبِيَّةِ، ثُمَّ بِالْبَغْيِ الَّذِي هُوَ نَتِيجَةُ الْقُوَّةِ الْوَهْمِيَّةِ ، فَهَذَا مَا وَصَلَ إِلَيْهِ عَقْلِي وَخَاطِرِي فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ " (١)

وكل هذه الجوانب الدلالية مرادة ، وقد جمع الحق سبحانه وتعالى بين النهي عن الفاحشة والمنكر ، ليجمع بين كل الفواحش صغيرها وكبيرها ممَّا أجمع عليه الكل أنه فُحْش ، وما أنكره الشرع وأصحاب الفطرة النقية السليمة ؛ لأن دلالة الآية لبيان مجامع الخير والشر، فجمع سبحانه وتعالى بين مجامع الخير ومجامع الشر ، وقد أشار ابن عاشور إلى ذلك فقال : " وَنَهَى اللَّهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ وَهِيَ أُصُولُ الْمَفَاسِدِ ، فَأَمَّا الْفَحْشَاءُ: فَاسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ عَمَلٍ أَوْ قَوْلٍ تَسْتَفْظِعُهُ النُّفُوسُ لِفَسَادِهِ مِنَ الْآثَامِ الَّتِي تُفْسِدُ نَفْسَ الْمَرْءِ: مِنِ اعْتِقَادٍ بَاطِلٍ أَوْ عَمَلٍ مُفْسِدٍ لِلْخَلْقِ، وَالَّتِي تَضُرُّ بِأَفْرَادِ النَّاسِ بِحَيْثُ تُلْقِي فِيهِمُ الْفَسَادَ مِنْ قَتْلٍ أَوْ سَرِقَةٍ أَوْ قَذْفٍ أَوْ غَصْبِ مَالٍ، أَوْ تَضُرُّ بِحَالِ الْمُجْتَمَعِ وَتُدْخِلُ عَلَيْهِ الِاضْطِرَابَ مِنْ حِرابة أَو زنا أَوْ تَقَامُرٍ أَوْ شُرْبِ خَمْرٍ. فَدَخَلَ فِي الْفَحْشَاءِ كُلُّ مَا يُوجِبُ اخْتِلَالَ الْمُنَاسِبِ الضَّرُورِيِّ، وَقَدْ سَمَّاهَا اللَّهُ الْفَوَاحِشَ ... وَأَمَّا الْمُنْكَرُ فَهُوَ مَا تَسْتَنْكِرُهُ النُّفُوسُ الْمُعْتَدِلَةُ وَتَكْرَهُهُ الشَّرِيعَةُ مِنْ فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ... وَالِاسْتِنْكَارُ مَرَاتِبٌ، مِنْهَا مَرْتَبَةُ الْحَرَامِ، وَمِنْهَا مَرْتَبَةُ الْمَكْرُوهِ فَإِنَّهُ مَنْهِيٌّ عَنْهُ. وَشَمِلَ الْمُنْكَرُ كُلَّ مَا يُفْضِي إِلَى الْإِخْلَالِ

(١) مفاتيح الغيب ٢٠/ ٢٦١ ، ٢٦٢

بِالْمُنَاسِبِ الْحَاجِيِّ، وَكَذَلِكَ مَا يُعَطِّلُ الْمُنَاسِبَ التَّحْسِينِيَّ بِدُونِ مَا يُفْضِي مِنْهُ إِلَى ضُرٍّ " (١)

١٥- (أَكْمَلْت - أَتْمَمْت)

قال تعالى : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [سورة المائدة من الآية : ٣]

من أوجه الإعجاز الدلالي في القرآن الكريم استعمال اللفظ في المكان الملائم له بحيث يستحيل وضع لفظ آخر مكانه يؤدي نفس دلالته ، حتى ولو كان اللفظان متشابهين إلى درجة يصعب على البعض ملاحظة الفروق الدقيقة بينهما عند اقترانهما في آية واحدة ، ومن هذه الألفاظ لفظا (الإكمال والإتمام) حيث كاد العلماء أن يتفقوا على أنهما بمعنى واحد ، ومن هؤلاء ابن فارس حيث عَرَّفَ الكمالَ بالتمام فقال : " كَمَلَ: الْكَافُ وَالْمِيمُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى تَمَامِ الشَّيْءِ. يُقَالُ: كَمَلَ الشَّيْءُ وَكَمُلَ فَهُوَ كَامِلٌ، أَيْ تَامٌّ " (٢) ، كما عرف التمام بالكمال فقال: " تَمَّ : التَّاءُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُنْقَاسٌ، وَهُوَ دَلِيلُ الْكَمَالِ. يُقَالُ تَمَّ الشَّيْءُ، إِذَا كَمَلَ، وَأَتْمَمْتُهُ أَنَا " (٣)، وقيل بترادفهما في تاج العروس : " الكَمَال: التَّمامُ، وهما مُتَرادِفان" (٤)، وفي

---

(١) التحرير والتنوير ١٤/ ٢٥٧

(٢) مقاييس اللغة ٥/ ١٣٩ ، لسان العرب ١١/ ٥٩٨ ، المعجم الاشتقاقي ٤/ ١٩٢٦ (ك م ل)

(٣) مقاييس اللغة ١/ ٣٣٩ (ت م م)

(٤) تاج العروس ٣٠ / ٣٥٢ (ك م ل)

المعجم الاشتقاقي : " المعنى المحوري للتركيب يعبّر عن تمام الشيء...وكل ما جاء في القرآن من التركيب فهو من الكمال والتمام. " [١]

لكن أشار الحق – سبحانه وتعالى – إلى أن الكمال والتمام وإن كان بينهما اتفاق دلالي عام لكن يبقى لكل منهما دلالته الخاصة تظهر عند اقترانهما ، حيث استعمل القرآن الكريم اللفظتين في آية واحدة مما يدل على وجود بعض الاختلاف الدلالي ، وقد اجتهد العلماء في الوقوف على أوجه الاختلاف الدلالي معتمدين على استعمالات اللفظتين في القرآن الكريم ، ومن هؤلاء العلماء ابن القيم فقال : " واللفظتان– وإن تقاربتا وتواخيتا– فبينهما فرق لطيف يظهر عند التأمل ، فإن الكمال أخص بالصفات والمعاني، ويطلق على الأعيان والذوات، ولكن باعتبار صفاتها وخواصها كما قال النبي صلّى الله عليه وسلّم : " كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ: إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ " [٢] ، وقال عمر بن عبد العزيز " إِنَّ لِلْإِيمَانِ فَرَائِضَ، وَشَرَائِعَ، وَحُدُودًا، وَسُنَنًا، فَمَنِ اسْتَكْمَلَهَا اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ " [٣] ، " وأما الإتمام فيكون في الإيمان والمعاني ، ونِعَمُ اللهِ أعيانٌ وأوصافٌ ومعانٍ ، وأما دينه فهو شرعه المتضمن لأمره ونهيه ، فكانت نسبة الكمال

---

(١) المعجم الاشتقاقي ٤/ ١٩٢٦ (ك م ل)

(٢) الحديث في صحيح البخاري ٤/ ١٥٨، كتاب التفسير، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ ﴾ ، حديث رقم (٣٤١١)

(٣) الحديث في صحيح البخاري ١/ ١١ ، كِتَابُ الإِيمَانِ ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ"

إلى الدين والتمامِ إلى النعمة أحسن ، كما كانت إضافة الدين إليهم والنعمة إليه أحسن" [١]

في حين ذهب أبو هلال العسكري إلى أن : " الْكَمَال اسْمٌ لِاجْتِمَاعِ أَبْعَاضِ الْمَوْصُوفِ بِهِ وَالتَّمَامُ اسْمٌ لِلْجُزْءِ الَّذِي يَتِمُّ بِهِ الْمَوْصُوفُ ، وَلِهَذَا يُقَالُ: الْقَافِيَةُ تَمَامُ الْبَيْتِ وَلَا يُقَالُ: كماله وَيَقُولُونَ: الْبَيْتُ بِكَمَالِهِ أَيْ بِاجْتِمَاعِهِ" [٢] ، وهو ما أكده السيوطي بقوله : " الْإِتْمَامُ لِإِزَالَةِ نُقْصَانِ الْأَصْلِ ، وَالْإِكْمَالُ لِإِزَالَةِ نُقْصَانِ الْعَوَارِضِ بَعْدَ تَمَامِ الْأَصْلِ ، وَلِهَذَا كَانَ قَوْلُهُ: {**تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ**} أَحْسَنَ مِنْ " تَامَّةٍ " فَإِنَّ التَّمَامَ مِنَ الْعَدَدِ قَدْ عُلِمَ وَإِنَّمَا نَفَى احْتِمَالَ نَقْصٍ فِي صِفَاتِهَا ، وَقِيلَ: (تَمَّ) يُشْعِرُ بِحُصُولِ نَقْصٍ قَبْلَهُ و(كمل) لَا يُشْعِرُ بِذَلِكَ " [٣]

بينما اكتفى الخليل والأزهري بأن دلالة : كَمَلَ الشيءُ يَكْمُلُ كَمَالاً، وأكملتُ الشيءَ أَي أَجْمَلْتُهُ وأَتْمَمْتُهُ ، والكمالُ: التَّمَامُ الَّذِي يُجَزَّأُ مِنْهُ أَجْزاؤهُ ، يُقَال: لَكَ نِصْفُهُ، وبَعْضُه، وكمالهُ. [٤]

وقيل : التّمامُ: الإِتْيانُ بِمَا نَقَص من الناقِص، والكَمالُ: الزِّيادةُ على التَّمامِ، فَلَا يَفْهَمُ السامعُ – عَرَبِيًّا أَو غَيرَه – مِنْ رجُلٍ تامّ الخَلْقِ إِلاّ أَنّه لَا نَقْصَ فِي أَعْضائه، وَيَفْهَمُ من كاملٍ وَخَصَّه بِمَعْنَىً زائدٍ على التَّمامِ كالحُسْنِ

---

(١) تفسير القرآن الكريم (ابن القيم) ص ٢٣٧

(٢) الفروق اللغوية ص ١٤ ، ١٥، مؤسسة النشر الإسلامي

(٣) الإتقان ٢ / ٣٦٧ ، البحث الدلالي عند العلامة السيوطي ص ٩٧

(٤) العين ٥/ ٣٧٨، تهذيب اللغة ١٠/ ١٤٨،(ك ل م) لسان العرب ١١/ ٥٩٨ (ك م ل)

والفَضْلِ الذاتيّ أَو العَرَضي، فالكَمال تَمامٌ وزِيادَة، فَهُوَ أَخَصُّ ، وَقد يُطْلَق كُلٌّ على الآخَرِ تَجَوُّزًا، وَعَلِيهِ قولُه تَعالَى: { **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى**} ، وَقيل: التّمام يَسْتَدْعِي سَبْقَ نَقْصٍ بِخِلاف الكَمال. وَقيل : الكَمالُ الانْتِهاء إِلَى غايَةٍ لَيْسَ وَراءها مَزِيدٌ من كُلِّ وَجْه "[1] ، " قال تعالى: {**وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ** } تنبيها أَن ذلك غاية ما يتعلَّق به صلاحُ الولد " [2]

من خلال استقراء لفظي (كمل– وتمَّ) ودلالتِهما في القرآن الكريم أرى – والله أعلم – أن الكمال أعلى من التمام ، فالتمام قد يكون فِعْلَ الواجب ، لكن الكمال فعل الواجب وزيادة ، وبعبارة أخرى : الكمال الوصول إلى الغاية القصوى التي ليس بعدها شيء ، وأيضا : الكمال لا يسبقه نقص.

وقد جمع الحق بينهما في هذا الموطن ؛ لأن سياق الكلام عن اكتمال الدين ، ولاشك أن الدين الإسلامي يشمل جميع أمور الحياة ، ويعم جميع أحوال الإنسان فـ : " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ فَرَائِضِي عَلَيْكُمْ وَحُدُودِي ، وَأَمْرِي إِيَّاكُمْ وَنَهْيِي ، وَحَلَالِي وَحَرَامِي ، وَتَنْزِيلِي مِنْ ذَلِكَ مَا أَنْزَلْتُ مِنْهُ فِي كِتَابِي ، وَتِبْيَانِي مَا بَيَّنْتُ لَكُمْ مِنْهُ بِوَحْيِي عَلَى لِسَانِ رَسُولِي ، وَالْأَدِلَّةُ الَّتِي نَصَبْتُهَا لَكُمْ عَلَى جَمِيعِ مَا بِكُمُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ ، فَأَتْمَمْتُ لَكُمْ جَمِيعَ ذَلِكَ ، فَلَا زِيَادَةَ فِيهِ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ " [3] ، فقرن القرآن بين الكمال

([1]) تاج العروس ٣١/ ٣٣١، ٣٣٢ (تَ م م)

([2]) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤ / ٣٨٨

([3]) جامع البيان ٨/ ٨٠

والتمام ليشمل ما يكتمل وما يتم. فـ " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي بِسَبَبِ ذَلِكَ الْإِكْمَالِ لِأَنَّهُ لَا نِعْمَةَ أَتَمُّ مِنْ نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ" (١)

١٦- (لَعِبُ – لَهْوٌ)

قدم الله سبحانه وتعالى اللعب على اللهو في أربعة مواضع ، فقال تعالى : ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ ﴾ [سورة الأنعام من الآية : ٣٢] ، وقال سبحانه : ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ ﴾ [سورة الأنعام من الآية : ٧٠] ، وقال عز وجل : ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ [سورة محمد من الآية : ٣٦] ، وقال سبحانه : ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ [سورة الحديد من الآية : ٢٠] ، وقدم اللهو على اللعب في آيتين ، قال تعالى : ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ﴾ [سورة العنكبوت من الآية : ٦٤] ، وقال عز من قائل : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ ﴾ [سورة الأعراف من الآية : ٥١]

من أبرز ألفاظ الاقتران الدلالي لفظتا (اللهو واللعب) ، حيث قرن الحق – سبحانه وتعالى – بينهما في أكثر من موضع ، وقدَّم سبحانه اللعب على اللهو كما قدَّم اللهو على اللعب ، واشتهر اقتران اللهو باللعب مع أن دلالتهما متقاربة ، فما العَلاقة الدلالية بين اللهو واللعب ؟ ، وما الدلالة

(١) مفاتيح الغيب ١١/ ٢٨٩

المرادة من التقديم والتأخير بين اللهو واللعب ؟ هذا ما سأحاول بيانه– بأمر الله – فيما يلي:

يتفق اللهو مع اللعب في أنَّ كلًا منهما من الأعمال التي تحقق للإنسان الاستمتاع والترفيه ، حتى قال ابْنِ عَبَّاسٍ إن اللهو : اللعب [١] ، وقال ابن الأثير : " اللَّهْوُ: اللَّعِب. يُقَالُ: لَهَوْتُ بِالشَّيْءِ أَلْهُو لَهْواً، وتَلَهَّيْتُ بِهِ، إِذَا لَعِبْتَ بِهِ وتَشاغَلْتَ، وغَفَلْتَ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ. وأَلْهَاه عَنْ كَذَا، أَيْ شَغَله"[٢] ، وبسبب هذا التشابه الدلالي الكبير استُعمل كل منهما مكان الآخر عند الانفراد ، لكن عند اقترانهما يكون لكل منهما دلالة خاصة به ، وقد اختلف العلماء في تحديد الدلالة الخاصة بكل منهما

فقيل : اللهو هو ما يشغل الإنسان عما هو واجب عليه ومطلوب منه، قال الراغب : " اللَّهْوُ: ما يشغل الإنسان عمّا يَعْنِيه ويُهِمُّه٠٠٠يقال: أَلْهاهُ كذا. أي: شغله عمّا هو أهمّ إليه " [٣] ،

فـ : " اللهو : كل باطل ألهى عن الخير وعما يَعني" [٤]، بينما اللعب قد لا يشغل الإنسان عما هو واجب عليه ، وقد ذهب الرازي إلى أن اللعب الانشغال بالباطل والإقدام عليه بينما اللهو : الإعراض عن الحق ، وأيضًا: اللعب ما يشغل الإنسان عن الواجب عليه فيجعله يقصر في أداء ما هو واجب عليه ومطلوب منه بالتأخير أو الاتيان به ناقصا أو غير ذلك ، بينما اللهو يشغل الإنسان عن الواجب عليه كليةً ، بمعنى : يُنْسِيه ما هو واجب

([١]) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٥/ ١٤٩١

([٢]) النهاية في غريب الحديث ٤/ ٢٨٢

([٣]) المفردات في غريب القرآن ص ٧٤٨ (ل ه ى)

([٤]) الكشاف ٣/ ٤٩٠

عليه فلا يقوم به ، جاء في مفاتيح الغيب : " مَا الْفَرْقُ بَيْنَ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ، حَتَّى يَصِحَّ عَطْفُ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ؟ **فَنَقُولُ الْفَرْقُ مِنْ وَجْهَيْنِ ، أَحَدُهُمَا:** أَنَّ كُلَّ شُغُلٍ يُفْرَضُ ، فَإِنَّ الْمُكَلَّفَ إِذَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ لَزِمَهُ الْإِعْرَاضُ عَنْ غَيْرِهِ وَمَنْ لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، فَالَّذِي يُقْبِلُ عَلَى الباطل للذة يسيرة زائلة فِيهِ يَلْزَمُهُ الْإِعْرَاضُ عَنِ الْحَقِّ ، فَالْإِقْبَالُ عَلَى الْبَاطِلِ لَعِبٌ وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْحَقِّ لَهْوٌ، فَالدُّنْيَا لَعِبٌ أَيْ إِقْبَالٌ عَلَى الْبَاطِلِ ، وَلَهْوٌ أَيْ إِعْرَاضٌ عَنِ الْحَقِّ.

الثَّانِي : هُوَ أَنَّ الْمُشْتَغِلَ بِشَيْءٍ يُرَجِّحُ ذَلِكَ الشَّيْءَ عَلَى غَيْرِهِ لَا مَحَالَةَ حَتَّى يَشْتَغِلَ بِهِ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ التَّرْجِيحُ عَلَى وَجْهِ التَّقْدِيمِ بِأَنْ يَقُولَ أُقَدِّمُ هَذَا وَذَلِكَ الْآخَرُ آتِي بِهِ بَعْدَهُ أَوْ يَكُونُ عَلَى وَجْهِ الِاسْتِغْرَاقِ فِيهِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْ غَيْرِهِ بِالْكُلِّيَّةِ ، فَالْأَوَّلُ لَعِبٌ وَالثَّانِي لَهْوٌ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ هُوَ أَنَّ الشِّطْرَنْجَ وَالْحَمَامَ وَغَيْرَهُمَا مِمَّا يَقْرُبُ مِنْهُمَا لَا تُسَمَّى آلَاتِ الْمَلَاهِي فِي الْعُرْفِ ، وَالْعُودُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَوْتَارِ تُسَمَّى آلَاتِ الْمَلَاهِي ؛ لِأَنَّهَا تُلْهِي الْإِنْسَانَ عَنْ غَيْرِهَا لِمَا فِيهَا مِنَ اللَّذَّةِ الْحَالِيَّةِ، فَالدُّنْيَا لِلْبَعْضِ لَعِبٌ يَشْتَغِلُ بِهِ وَيَقُولُ بَعْدَ هَذَا الشُّغْلِ أَشْتَغِلُ بِالْعِبَادَةِ وَالْآخِرَةِ ، وَلِلْبَعْضِ لَهْوٌ يَشْتَغِلُ بِهِ وَيَنْسَى الْآخِرَةَ بِالْكُلِّيَّةِ " [1]

بينما فرق ابن عاشور بينهما من حيث الهدفُ والغاية وطبيعة كل منهما ، فقال : " وَاللَّهْوُ: مَا يَلْهُو بِهِ النَّاسُ ، أَيْ يَشْتَغِلُونَ بِهِ عَنِ الْأُمُورِ الْمُكَدِّرَةِ أَوْ يَعْمُرُونَ بِهِ أَوْقَاتَهُمُ الْخَلِيَّةُ عَنِ الْأَعْمَالِ. وَاللَّعِبُ: مَا يُقْصَدُ بِهِ الْهَزْلُ وَالِانْبِسَاطُ " [2]

([1]) مفاتيح الغيب ٧٥/٢٥

([2]) التحرير والتنوير ٣١/٢١

وقال في موطن آخر : " وَاللَّعِبُ: عَمَلٌ أَوْ قَوْلٌ فِي خِفَّةٍ وَسُرْعَةٍ وَطَيْشٍ ، لَيْسَتْ لَهُ غَايَةٌ مُفِيدَةٌ بَلْ غَايَتُهُ إِرَاحَةُ الْبَالِ وَتَقْصِيرُ الْوَقْتِ وَاسْتِجْلَابُ الْعُقُولِ فِي حَالَةِ ضَعْفِهَا كَعَقْلِ الصَّغِيرِ وَعَقْلِ الْمُتْعَبِ ، وَأَكْثَرُهُ أَعْمَالُ الصِّبْيَانِ ، قَالُوا وَلِذَلِكَ فَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ اللُّعَابِ ، وَهُوَ رِيقُ الصَّبِيِّ السَّائِلُ.

وَضِدَّ اللَّعِبِ الْجِدُّ ، وَاللَّهْوُ: مَا يَشْتَغِلُ بِهِ الْإِنْسَانُ مِمَّا تَرْتَاحُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَلَا يَتْعَبُ فِي الِاشْتِغَالِ بِهِ عَقْلُهُ ، فَلَا يُطْلَقُ إِلَّا عَلَى مَا فِيهِ اسْتِمْتَاعٌ وَلَذَّةٌ وَمُلَاءَمَةٌ لِلشَّهْوَةِ.

وَبَيْنَ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ الْعُمُومُ وَالْخُصُوصُ الْوَجْهِيُّ. فَهُمَا يَجْتَمِعَانِ فِي الْعَمَلِ الَّذِي فِيهِ مُلَاءَمَةٌ ، وَيُقَارِنُهُ شَيْءٌ مِنَ الْخِفَّةِ وَالطَّيْشِ كَالطَّرَبِ وَاللَّهْوِ بِالنِّسَاءِ، وَيَنْفَرِدُ اللَّعِبُ فِي لَعِبِ الصِّبْيَانِ. وَيَنْفَرِدُ اللَّهْوُ فِي نَحْوِ الْمَيْسِرِ وَالصَّيْدِ " [1]

وقيل : " اللهو هو: الاستمتاع بلذّات الدنيا ، واللعب: الْعَبَثُ ، سميت بها ؛ لأنها فانية، وقيل: اللهو الإعراض عن الحق، و اللعب في الإقبال على الباطل" [2]

وذهب مجاهد إلى أن بينهما عموما وخصوصا ، فاللعب خاص واللهو عام ، فقال : " كُلُّ لَعِبٍ لَهْوٌ" [3] ، وهو ضد ما ذهب إليه أبو هلال العسكري حيث قال :" إنه لَا لَهو إِلَّا لعب ، وَقد يكون لعب لَيْسَ بلهو ؛ لِأَن اللّعب يكون للتأديب كاللعب بالشطرنج وَغَيره ، وَلَا يُقَال لذَلِك لَهو ، وَإِنَّمَا

([1]) التحرير والتنوير ١٩٣/٧

([2]) اللباب في علوم الكتاب ٣٧٥/١٥

([3]) تفسير ابن أبي حاتم ١٣/ ١٨

اللهو لعب لَا يُعْقِب نفعا ، وَسمي لهوا ؛ لِأَنَّهُ يشغل عَمَّا يَعْنِي ، من قَوْلهم ألهاني الشَّيْء أَي شغلني ، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى : ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ [سورة التكاثر الآية : ١] " [١]

من خلال ما سبق أستطيع أن أقول : بإن بين اللهو واللعب تشابهًا دلاليًا كبيرًا، وتداخلًا في المعنى العام ، لكن يبقى لكل لفظ منها دلالته الخاصة ، ومن أهم هذه الدلالات : أن اللهو في الغالب يشتمل على المحرم ، بينما اللعب في الغالب لا يشتمل على المُحَرَّم ، يدل على ذلك وصف اللهو بالباطل ، وقد جعل الإمام البخاري ذلك عنوانًا لبابٍ عنده ، فقال : " باب كُلُّ لَهْوٍ بَاطِلٌ إِذَا شَغَلَهُ عَنْ طَاعَةِ اللهِ " [٢]

أيضاً : اللعب قد لا يمنع من القيام بالواجبات ، أي غايته التقصير في بعض الأمور، فـ " يُقَال لكُلِّ مَنْ عَمِل عَمَلاً لاَ يُجْدِي عَلَيْهِ نَفْعاً: إنَّما أنْت لاعِب" [٣]

بينما اللهو يصد عن ذكر الله ، ويمنع من القيام بالواجبات ، وبناء على ذلك يكون اللهو أقوى من اللعب في الصد عن ذكر الله وفعل الواجبات ، ويؤكد ذلك دلالة مادة (ل ه و) في القرآن الكريم حيث تستخدم في معرض الصد عن ذكر الله . قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة المنافقون من الآية : ٩] ، " يعني: لا تشغلكم أموالكم وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، يعني: عن طاعة الله

---

(١) الفروق اللغوية ص ٢٥٤

(٢) صحيح البخاري ٨/ ٦٦

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ٤/ ٢٥٣

تعالى " [1] ، قال تعالى: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [سورة النور من الآية : ٣٧] أي: لا يَشْغَلهم عن صلاتهم في هذه المساجد شيء " [2]، قال تعالى : ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الحجر الآية : ٣] أي : " ذَرْهُمْ يَا مُحَمَّدُ، يَعْنِي: الَّذِينَ كَفَرُوا يَأْكُلُوا فِي الدُّنْيَا وَيَتَمَتَّعُوا مِنْ لَذَّاتِها وَيُلْهِهِمُ يَشْغَلُهُمْ الْأَمَلُ عَنِ الْأَخْذِ بِحَظِّهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ " [3] ، ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [سورة لقمان من الآية : ٦] " وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِلْإِضْلَالِ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ " [4] ، " أي: ما يُلَهَّى به عما يقرب إلى الله كالأحاديث التي لا أصل لها، والخرافات التي لا حقيقة لها، والمَضاحِك، وفضولِ الكلام " [5]، وقال تعالى : ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ [سورة التكاثر الآية : ١] " يقول: شغلتكم المباهاة والمفاخرة بكثرة المال والعدد عن طاعة ربّكم وما ينجيكم من سخطه عليكم "[6]، قال تعالى: ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [سورة الأنبياء الآية : ١٧] ، ويؤكد ذلك ما ذكره الشعراوي أن اللعب قبل التكليف

([1]) بحر العلوم ٣/ ٤٥٣

([2]) الهداية إلى بلوغ النهاية ٨/ ٥١١٥

([3]) معالم التنزيل في تفسير القرآن ٣/ ٥٠

([4]) فتح القدير ٤ / ٢٧٠

([5]) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٤/ ٣٦١

([6]) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ١٠/ ٢٧٦

لا يسمى لهوا ؛ لأنه لم يصد عن ذكر الله بينما يسمى لهوا بعد التكليف ، لأنه صَدٌ عمَّا كُلِّف به فقال : " اللهو واللعب عبث، لكن يختلفان من ناحية أخرى، فاللعب حركة لا فائدة منها، لكنه لا يصرفك عن واجب يعطي فائدة ، كالولد حين يلعب، فاللعب لا يصرفه عن شيء ، إذن: فاللعب لمن لم يبلغ، أمّا البالغ المكلف فاللعب في حقِّه يسمى لَهْواً، لأنه كُلِّف فترك ما كُلِّف به إلى ما لم يكلّف به ، ولَهَا عن الواجب، ومنه: لَهْوُ الحديث" [1]

١٧- (نَصِيبٌ – كِفْلٌ)

من الآيات القرآنية التي يبرز فيها الاقتران بين الألفاظ المتشابهة الدلالة قوله تعالى: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [سورة النساء الآية : ٨٥]

حيث جمعت الآية الكريمة بين لفظين متشابهين دلاليًا هما لفظا (النصيب والكِفْل) ؛ لأن لفظ الكفل متشابه في الدلالة مع لفظ النصيب إن لم تكن دلالاتهما واحدة في الاستعمال ، والكلام هنا ليس في الفروق الدلالية بقدر ما هو إثبات أن اللفظين المتشابهين في الدلالة لا يقومان مقام بعضهما البعض إذ لو كانت دلالة لفظ (النصيب) هي نفسَ دلالة لفظ (الكفل) لما غاير الحق سبحانه وتعالى بينهما ، ولما استعمل النصيبَ في جانب الحسنة ، والكفلَ في جانب السيئة ، لكن لما غاير سبحانه وتعالى بينهما دل ذلك على أن لكل لفظ معنىً خاصا به غيرَ المعنى العام ، هذا المعنى الخاص هو الذي يستدعيه السياق ، ويتضح ذلك فيما يلي:

([1]) تفسير الشعراوي١٨/١١٢٥٩ ، ١١٢٦٠

ذهب أهل اللغة إلى أن الكفل : النصيب ، قال الخليل : " الكِفْلُ: النصيب " [١] ، وعلى ذلك فسره بعض العلماء ، فقالوا : أيْ نصيبٌ من وِزْرها مساوٍ لها في المقدار من غير أن يَنْقُص منه شيء [٢]، وقال ابن دريد : " الكِفْل: النَّصِيب والحظّ " [٣] ، وبهذا فسره القرطبي فقال : " والكِفْلُ: الحظُّ والنَّصِيبُ" [٤] وقيل: " الْكِفْلُ– بِكَسْرِ الْكَافِ وَسُكُونِ الْفَاءِ– الْحَظُّ"[٥]، فـ " الكفل في اللغة النصيب المُسَاوِي ، ومنها المِثْل" [٦]

أما النَّصِيبُ فالحَظُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ [٧] خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا " [٨]

وأرى – والله أعلم – أن المعنى العام للكفل هو (النصيب) ، لكن له دلالة خاصة به ، بالإضافة إلى المعنى العام هي (المثل) فمن معاني الكفل

---

(١) العين ٥/ ٣٧٣ ، (ك ل ف) ، وينظر : معاني القرآن للفراء ١/ ٢٨٠ ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ٨٥ ، تهذيب اللغة ١٠ / ١٤٠ (ك ل ف) ، اللغات في القرآن ص ٥٦، الصحاح ٥/ ١٨١٠
(ك ف ل) ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ٥٨٥٩/٩ ، مختار الصحاح ص٢٧١(ك ف ل) ، التبيان في تفسير غريب القرآن ص ١٤١

(٢) الجامع لأحكام القرآن٢٦٦/١٧، تفسير غريب القرآن ص٢٨، محاسن التأويل٢٤٠/٣

(٣) جمهرة اللغة ٢/ ٩٦٩(ف ك ل)

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٦٦/١٧

(٥) التحرير والتنوير ٥/ ١٤٤

(٦) لمسات بيانية لسور القرآن الكريم ص ١٥٥

(٧) المحكم ٨/ ٣٤٤ (ص ن ب)، المفردات في غريب القرآن ص ٨٠٨ ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ١٠/ ٦٦١٧ ، لسان العرب ١/ ٧٦١ ، تاج العروس ٤/ ٢٧٦، المعجم الوسيط ٢/ ٩٢٥، المعجم الاشتقاقي ٤/ ٢٢٠٦(ن ص ب)

(٨) التحرير والتنوير ٥/ ١٤٤

المِثْل، هذه الدلالة الخاصة هي المرادة هنا وليس الدلالةُ بالمعنَى العام ، والدليل على أن من معاني الكفل المِثْل : ما جاء في تهذيب اللغة :" يُقَال: مَا لفُلَان كِفْلٌ: أَي مَاله مِثْلٌ ، قَالَ عَمْرو بن الْحَارِث:

يَعْلو بِهَا ظَهْرَ الْبَعِيرِ، وَلَمْ يوجَدْ لَهَا، فِي قَوْمِهَا، كِفْل [1]

كأَنّه بِمَعْنى مِثل" [2] فـ " الْكِفْلُ الْمِثْلُ" [3]

والدليل على أن الدلالة الخاصة – التي هي المِثل – هي المرادة ، استخدام النصيب مع الكفل، فلما استخدم القرآن الكريم النصيب مع الحسنة ، وعدل عن النصيب إلى الكفل مع السيئة دل على أن الكفل له دلالة خاصة غير دلالة النصيب ، ويؤيد ذلك استخدام القرآن الكريم والسنة النبوية للكفل بمعنى (المثل) ، فقد قال تعالى: " ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ** ﴾ [سورة الحديد من الآية : ٢٨] " الْكِفْلَانِ: ضِعْفَانِ مِنَ الْأَجْرِ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ " [4] ، " أي مثلين من الأجر على إيمانكم بعيسى ومحمد ﷺ " [5] ، وَغَايَرَ فِي النَّصِيبِ فَذَكَرَهُ بِلَفْظِ

([1]) البيت من (الكامل) ، في : تهذيب اللغة ١٠/ ١٤١(ك ل ف) ، لسان العرب ١١/ ٥٩٠ ، تاج العروس٣٠/٣٣٢ (ك ف ل)

([2]) تهذيب اللغة ١٠ / ١٤٠ ،١٤١ ، (ك ل ف)

(٣) البحر المحيط ٣/ ٧٣٢ ، وينظر : التحرير والتنوير ١٤٤/٥

([4]) جامع البيان ١/ ١٣، ٢٢/ ٤٣٨، الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٢٦٦، التوضيح لشرح الجامع الصحيح٢٨/ ٣٤١

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٢٦٦، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٥٠٧، تفسير غريب غريب القرآن ص ٢٨

الْكِفْلِ فِي الشَّفَاعَةِ السَّيِّئَةِ، لِأَنَّهُ أَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الشَّرِّ وَإِنْ كَانَ قَدِ اسْتُعْمِلَ فِي الْخَيْرِ لِقَوْلِه ﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ ﴾[1]

ويُلاحَظ أن الحق – سبحانه وتعالى – عندما استخدم الكفل في جانب الخير ضاعفه ؛ لأن المقصود به مثل أو ضعف الأجر ، فالحديث كان عن النصارى الذين آمنوا بعيسى – عليه السلام – وآمنوا بمحمد ﷺ أن الله يؤتيهم مثلين أو ضعفين : " قَالَ :أَجْرَيْنِ لِإِيمَانِهِمْ بِعِيسَى، وَتَصْدِيقِهِمْ بِالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَإِيمَانِهِمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَصْدِيقِهِمْ بِهِ" [2]

وعَنْ عَطَاءٍ، قَالَ: أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ امْرَأَةٌ ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ عَلَيَّ نَذْرًا، أَنْ أَتَصَدَّقَ بِعِشْرِينَ دِرْهَمًا، وَلِي زَوْجٌ فَقِيرٌ، أَفَتَجْزِئُ عَنِّي أَنْ أَعْطِيَهَا إِيَّاهُ؟ قَالَ: " نَعَمْ ، وَلَكِ كِفْلَانِ مِنَ الْأَجْرِ" [3]

وأيضا قواعد الإسلام ومبادؤه تدل على أن الكفل بمعنى المثل ، لأن الحق تعالى يجازي على الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، بينما يجازي على السيئة بمثلها فقط ، ومن ثم جاء النصيب مع الحسنة ؛ لأن النصيب يحتمل القليل والكثير، فقد يجازيه الحق بأكثر من عشرة أمثال ، أما في جانب السيئة فلا يجازِى إلا بالمثل ، ومن ثم عبر عن ذلك بالمثل وليس بالنصيب ، قال الراغب : " فإن قيل: فَلِم فَرَّقَ بينهما فقال في الحسنة: (نَصِيبٌ)، وفي السيئة (كِفلٌ)؟ قيل: يجوز أنه لما كان النصيب يقال فيما يقل ويكثر، والكفل لا يقال إلا في المثل جاء في السيئة بلفظ الكفل تنبيهًا

([1]) البحر المحيط ٣/ ٧٣٢

([2]) جامع البيان ٢٢/ ٤٢٩

([3]) الحديث في : الأموال لابن زنجويه ص ٧٧٧ ، كتاب الصدقات ، بَابٌ: تَفْضِيلُ الصَّدَقَةِ عَلَى الْقَرَابَةِ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الصَّدَقَاتِ ، حديث رقم (١٣٤٦)

على معنى المماثلة، وإشارةً إلى ما قال: ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ [سورة الأنعام من الآية : ١٦٠] [١]

وقد أشار الشهاب الخفاجي إلى : " وجه اختيار النصيب في الحسنة ، والكفل في السيئة، ونكتةُ ذلك أنّ النصيب يشمل الزيادة ؛ لأنّ جزاء الحسنات يُضاعَف، وأما الكفل فأصله الْمَركبُ الصَّعْب ؛ فاستعير للمِثْل المساوي ، فلذا اختير إشارةً إلى لطفه بعباده ؛ إذ لم يضاعف السيئات كالحسنات" [٢]

١٨- (نَصَب - لُغُوب)

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ [سورة فاطر الآية : ٣٥]

الدنيا دار عمل وتعبٍ وعناء ومشقة ؛ لأن الحياة دار ابتلاء فما من شيء في الحياة إلا ويتبعه تعب بخلاف الآخرة فهي دار راحة واطمئنان ، وما من إنسان يعمل عملًا في الدنيا إلا ويلحقه تعب وعناء وإجهاد . هذا في حق البشر أما الخالق سبحانه وتعالى فله الكمال والجلال ، ولذلك اقتصر القرآن الكريم على نفي التعب في حقه عز وجل وفي حق البشر في الآخرة فقط ، واستعمل القرآن الكريم في نفي ذلك لفظ (اللغوب) في موضعين فقط

---

(١) تفسير الراغب الأصفهاني ص ١٣٦١

(٢) حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي٣/ ١٦١، ينظر : روح المعاني ٤/ ١٥٧، ١٥٨، محاسن التأويل ٣/ ٢٤٢

في القرآن الكريم ، مرةً منفرداً في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [سورة ق الآية : ٣٨] ، ومرة مقترنًا مع النَّصَب عندما حكى عن حال المؤمنين في الآخرة وأنهم لا يمسهم عناء ولا تعب في قوله تعالى : ﴿ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ فقرن بين (النَّصَب واللُّغوب) مع أنهما من الألفاظ القرآنية المتشابهة الدلالة ، حيث اتفق اللغويون والمفسرون على أن دلالة النصب واللغوب متقاربة جدًا لدرجة أن أحدهما يغني عن الآخر في بعض الأحيان ، لكن اقترانهما يعطي بعدًا دلاليًا زائدًا عن المعنى الأصلي العام، وقد اجتهدوا في الوقوف على تلك الدلالات المرادة ، وفيما يلي بيان ذلك :

أولاً : دلالة النصب واللغوب في اللغة : التعب والعناء والإعياء ، قال الخليل : " النَّصَبُ : الإعياء والتَّعَبُ " [١] ، ويقول ابن فارس : " النَّصَبُ: الْعَنَاءُ، وَمَعْنَاهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَزَالُ مُنْتَصِبًا حَتَّى يُعْيِيَ " [٢] ، واللغب : التَّعَب والإعياء " [٣] ، أو شِدَّة الإعياء " [٤]

ثانياً : ذهب البعض إلى أن العلاقة بين النصب واللغوب علاقةُ سببٍ ونتيجةٍ ، فاللغوب كَلَالَ وفتور وهو نتيجة النَّصَب إلَّا أنه ضُمَّ إليه

---

(١) العين للخليل ٧/ ١٣٥ (ص ن ب)

(٢) المقاييس ٥/ ٤٣٤ (ن ص ب)

(٣) جمهرة اللغة ١/ ٣٧٠ (ب غ ل) ، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب ص ٢٧٤

(٤) العين ٤/ ٤٢١ (غ ل ب)

بالعطف ، وتكريرُ الفعل للمبالغة في بيان انتفاءِ كل منهما. [١] ، وفي ذلك يقول الزمخشري : " فإن قلتَ : ما الفرق بين النصب واللغوب؟ قلتُ : النصب التعب والمشقة التي تصيب المنتصِب للأمر المزاوِلَ له ، وأما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب، فالنصب: نفس المشقة والكُلْفة ، واللغوب: نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفتور " [٢]

وقيل: " النصب : التعب ، واللغوب : الإعياء" [٣]، قال الطبري : " وَقَوْلُهُ: {لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ} لَا يُصِيبُنَا فِيهَا تَعَبٌ وَلَا وَجَعٌ {وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ} يَعْنِي بِاللُّغُوبِ: الْعَنَاءَ وَالْإِعْيَاءَ" [٤]

وقال الزجاج : " واللغُوب الإعياء من التعَب ، وقد قرأ أبو عبد الرحمن السُّلَّمِي لَغُوب – بفتح اللام – والضمُّ أكثر، ومعنى لَغُوب شيء يُلْغَبُ مِنه، أي لا نتكلف شيئاً نَعْيَا مِنْهُ ". [٥]

" وفرق بعضهم بين النصَب واللغوب ، فقال: النصب: التعب الجسماني، واللغوب: التعب النفساني" [٦] " اللازم عن تعب البدن " [٧] ، وبينه الألوسي بقوله : " لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ هو نصب الأبدان وتعبها من أعمال الطاعة ، للتقرب إليه سبحانه وَلا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ هو لغوب القلوب

---

(١) ينظر : روح المعاني ١١/ ٣٧٢ ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم ١١/ ٣٥١

(٢) الكشاف ٣/ ٦١٤

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ٣٥١

(٤) جامع البيان ١٩/ ٣٨١ ، النكت والعيون ٤/ ٤٧٥ ، ٤٧٦

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٧١

(٦) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ٨/ ٣٢٩

(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٤٤٠

واضطرابها من تخيل القطيعة والرد وهجر الحبيب ، وقيل: لا يمسنا فيها نصب السعي في تحصيل أي أمر أردناه ، ولا يمسنا فيها لغوب تَخَيُّلُ ذَهابِ أيّ مطلوب حَصَّلْناه" (١) ، وذهب ابن عاشور إلى أن الدلالة المرادة من " النَّصَبِ : التَّعَبُ مِنْ نَحْوِ شِدَّةِ حَرٍّ وَشِدَّةِ بَرْدٍ ، وَاللُّغُوبُ: الْإِعْيَاءُ مِنْ جَرَّاءِ عَمَلٍ أَوْ جَرْيٍ" (٢)

أما عن السر الدلالي من الاقتران بين (النصب والتعب) مع الاشتراك الدلالي بينهما فقد وضحه الرازي بقوله : " اللُّغُوبُ الْإِعْيَاءُ ، وَالنَّصَبُ هُوَ السَّبَبُ لِلْإِعْيَاءِ ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ إِذَا بَيَّنَ أَنَّهُ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ عُلِمَ أَنَّهُ لا يمسهم فيها لغوب وَلَا يَنْفِي الْمُتَكَلِّمُ الْحَكِيمُ السَّبَبَ، ثُمَّ يَنْفِي مُسَبِّبَهُ بِحَرْفِ الْعَطْفِ فَلَا يَقُولُ الْقَائِلُ لَا أَكَلْتُ وَلَا شَبِعْتُ أَوْ لَا قُمْتُ وَلَا مَشَيْتُ وَالْعَكْسُ كَثِيرٌ فَإِنَّهُ يُقَالُ لَا شَبِعْتُ وَلَا أَكَلْتُ لِمَا أَنَّ نَفْيَ الشِّبَعِ لَا يَلْزَمُهُ انْتِفَاءُ الْأَكْلِ وَسِيَاقُ مَا تَقَرَّرَ أَنْ يُقَالَ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا إِعْيَاءٌ وَلَا مَشَقَّةٌ ، فنقول ما قال اللَّهُ فِي غَايَةِ الْجَلَالَةِ وَكَلَامُ اللَّهِ أَجَلُّ وَبَيَانُهُ أَجْمَلُ، وَوَجْهُهُ هُوَ : أَنَّهُ تَعَالَى بَيَّنَ مُخَالَفَةَ الْجَنَّةِ لِدَارِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الدُّنْيَا أَمَاكِنُهَا عَلَى قِسْمَيْنِ: أَحَدُهُمَا: مَوْضِعٌ نَمَسُّ فِيهِ الْمَشَاقَّ وَالْمَتَاعِبَ كَالْبَرَارِيِّ وَالصَّحَارِي وَالطُّرُقَاتِ وَالْأَرَاضِي وَالْآخَرُ: مَوْضِعٌ يَظْهَرُ فِيهِ الْإِعْيَاءُ كَالْبُيُوتِ وَالْمَنَازِلِ الَّتِي فِي الْأَسْفَارِ مِنَ الْخَانَاتِ ، فَإِنَّ مَنْ يَكُونُ فِي مُبَاشَرَةِ شُغْلٍ لَا يَظْهَرُ عَلَيْهِ الْإِعْيَاءُ إِلَّا بعد ما يَسْتَرِيحُ فَقَالَ تَعَالَى : (لَا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ) أَيْ لَيْسَتِ الْجَنَّةُ كَالْمَوَاضِعِ الَّتِي فِي الدُّنْيَا مَظَانَّ الْمَتَاعِبِ بَلْ هِيَ أَفْضَلُ مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي هِيَ مَوَاضِعُ مَرْجِعِ الْعَيِّ، فَقَالَ: (وَلا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ) أَيْ، لَا نَخْرُجُ مِنْهَا إِلَى مَوَاضِعَ

---

(١) روح المعاني ١١/ ٣٨٠

(٢) التحرير والتنوير ٢٢/ ٣١٧

نَتْعَبُ وَنَرْجِعُ إِلَيْهَا فَيَمَسُّنَا فِيهَا الْإِعْيَاءُ وَقُرِئَ (لَغُوبٌ) بِفَتْحِ اللَّامِ ، وَالتَّرْتِيبُ عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ ظَاهِرٌ كَأَنَّهُ قَالَ لَا نَتْعَبُ وَلَا يَمَسُّنَا مَا يَصْلُحُ لِذَلِكَ، وَهَذَا ، لِأَنَّ الْقَوِيَّ السَّوِيَّ إِذَا قَالَ مَا تَعِبْتُ الْيَوْمَ لَا يُفْهَمُ مِنْ كَلَامِهِ أَنَّهُ مَا عَمِلَ شَيْئًا لِجَوَازِ أَنَّهُ عَمِلَ عَمَلًا لَمْ يَكُنْ بالنسبة إليه مُتْعِبًا لوقته، فَإِذَا قَالَ مَا مَسَّنِي مَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مُتْعِبًا يُفْهَمُ أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ شَيْئًا ؛ لِأَنَّ نَفْسَ الْعَمَلِ قَدْ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مُتْعِبًا لِضَعِيفٍ أَوْ مُتْعِبًا بِسَبَبِ كَثْرَتِهِ، وَاللُّغُوبُ هُوَ مَا يَغْلِبُ مِنْهُ ، وَقِيلَ النَّصَبُ التَّعَبُ الْمُمْرِضُ، وَعَلَى هَذَا فَحُسْنُ التَّرْتِيبِ ظَاهِرٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ لَا يَمَسُّنَا مَرَضٌ وَلَا دُونَ ذَلِكَ وهو الذي يعيا منه مباشرة " (١)

وأرى – والله أعلم – أن (النصب واللغوب) يكادان يتطابقان دلاليا ، ولذلك يستخدم أحدهما مكان الآخر، لكن اقتران أحدهما بالآخر أفاد دلالة زائدة عن انفراد أحدهما ، وقد ذكره السيوطي في : " عَطْفُ أَحَدِ الْمُتَرَادِفَيْنِ عَلَى الْآخَرِ وَالْقَصْدُ مِنْهُ التَّأْكِيدُ أَيْضًا وَجُعِلَ مِنْهُ٠٠٠ {لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ} فَإِنَّ "نَصَبٌ" كَلَغَبٍ وَزْنًا وَمَعْنًى٠٠٠ وَأَنْكَرَ الْمُبَرِّدُ وُجُودَ هَذَا النَّوْعِ فِي الْقُرْآنِ ، وَأَوَّلَ مَا سَبَقَ عَلَى اخْتِلَافِ الْمَعْنَيَيْنِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ المُلَخَّصُ فِي هَذَا : أَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ مَجْمُوعَ الْمُتَرَادِفَيْنِ يُحَصِّلُ مَعْنًى لَا يُوجَدُ عِنْدَ انْفِرَادِهِمَا فَإِنَّ التَّرْكِيبَ يُحْدِثُ مَعْنًى زَائِدًا وَإِذَا كَانَتْ كَثْرَةُ الْحُرُوفِ تُفِيدُ زِيَادَةَ الْمَعْنَى فَكَذَلِكَ كَثْرَةُ الْأَلْفَاظِ" " (٢)

وقد قرن الحق – سبحانه وتعالى – بين (النصب واللغوب) ، لمناسبة سياق الآية ، إذ الكلام عن دار المُقَامة الخالية من كل تعب وعناء جسدي

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٦ / ٢٤١ ، ٢٤١ ، وينظر الدر المصون ٩/ ٢٣٣، ٢٣٤

(٢) الإتقان في علوم القرآن٣/ ٢٣٩، ٢٤٠ ، معترك الأقران في إعجاز القرآن ١/ ٢٧٠، ٢٧١

أو نفسي ؛ لأنهم عند ربهم ، ومن ثم نجد الحق سبحانه استعمل لفظ (اللغوب) مع ذاته المقدسة ، لنفي حصول أي درجة من درجات التعب في خلق السموات والأرض ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [سورة ق الآية : ٣٨]

١٩- (نعمة – فضل)

قال تعالى : ﴿ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ١٧١] ، وقال تعالى : ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ١٧٤]، عطاء الله – سبحانه وتعالى – لعباده ليس له حدود أو مقادير ؛ لأن العطاء مرتبط بالعاطي لا بالْمُعطَى له ، ومن ثم جاء التعبير عن عطاء الله تعالى بمفردتين متشابهتين ، وهما (النعمة والفضل) فالنعمة والفضل يدلان على العطاء ، وأحدهما يستخدم مكان الآخر في التعبير عن العطاء ، فما الدلالة المرادة من هذا الاقتران؟

النعمة قال ابن فارس: " النُّونُ وَالْعَيْنُ وَالْمِيمُ فُرُوعُهُ كَثِيرَةٌ، وَعِنْدَنَا أَنَّهَا عَلَى كَثْرَتِهَا رَاجِعَةٌ إِلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ يَدُلُّ عَلَى تَرَفُّهٍ وَطِيبِ عَيْشٍ وَصَلَاحٍ ، مِنْهُ النِّعْمَةُ: مَا يُنْعِمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عَبْدِهِ بِهِ مِنْ مَالٍ وَعَيْشٍ، يُقَالُ: لِلَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ نِعْمَةٌ. وَالنِّعْمَةُ: الْمِنَّةُ ، وَالنَّعْمَةُ: التَّنَعُّمُ وَطِيبُ الْعَيْشِ" (١)

(١) مقاييس اللغة ٥/ ٤٤٦ (ن ع م)

وقال أيضاً : "فَضَلَ: الْفَاءُ وَالضَّادُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى زِيَادَةٍ فِي شَيْءٍ. مِنْ ذَلِكَ الْفَضْلُ: الزِّيَادَةُ وَالْخَيْرُ "[1]

وذهب القرطبي إلى أن الفضل جاء : " لزيادة البيان ، والفضل داخل في النعمة ، وفيه دليل على اتساعها ، وأنها ليست كنعم الدنيا، وقيل : جاء الفضل بعد النعمة على وجه التأكيد" [2]، فـ " ذِكْرُ الْفَضْلِ تَأْكِيدًا للنعمة " [3]، في حين ذهب أبو حيان إلى أن : " الظَّاهِرَ تَبَايُنُ النِّعْمَةِ وَالْفَضْلِ لِلْعَطْفِ، وَيُنَاسِبُ شَرْحُهُمَا أَنْ يَنْزِلَ عَلَى قَوْلِهِ: لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَزِيَادَةٌ فَالْحُسْنَى هِيَ النِّعْمَةُ، وَالزِّيَادَةُ هِيَ الْفَضْلُ ؛ لِقَرِينَةِ قَوْلِهِ: أَحْسَنُوا ، وَقَوْلِهِ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ " [4] ، وهو ما نص عليه الراغب فقال: " إن قيل: ما الفرق بين النعمة والفضل هاهنا؟ قيل: الإشارة بهما إلى المذكورين في قوله: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ ﴾ [سورة يونس من الآية : ٢٦] ، فالنعمة هي الحسنى ، والفضل هاهنا الزيادة" [5] ، وهو ما أكده ابن عادل فقد جاء في اللباب : " فإن قيلَ: ما الفرقُ بين النعمةِ والفَضْلِ، فإنَّ العطفَ يقتضي المغايرةَ؟ فالجواب: أن النعمةَ هي الثواب، والفَضْل: هو التفضُّل الزائد " [6]

([1]) مقاييس اللغة ٤/ ٥٠٨ (ف ض ل)

([2]) الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٢٧٥

([3]) تفسير القرآن للسمعاني ص٣٧٩ ، اللباب في علوم الكتاب ٦/ ٥٣

([4]) البحر المحيط ٣/ ٤٣٤

([5]) تفسير الراغب الأصفهاني ص ٩٨٧

([6]) اللباب في علوم الكتاب ٦/ ٥٣

وقيل: " النِّعْمَةُ هِيَ الْجَزَاءُ وَالْفَضْلُ زَائِدٌ عَلَيْهِ قَدْرَ الْجَزَاءِ" [١] ، وقريب من ذلك قول الرازي: " النِّعْمَةُ هِيَ الثَّوَابُ وَالْفَضْلُ هُوَ التَّفَضُّلُ الزَّائِدُ " [٢]، وذكر السمعاني قوله : " أَرَادَ بِالنعْمَةِ: قدر الْكِفَايَة، وبالفضل: مَا زَاد على الْكِفَايَة، وَمَعْنَاهُ: لَا يضيق عَلَيْهِم، بل يُوسع فِي الْعَطاء"[٣]، وهو ما ذكره أبو حيان : فقال " النِّعْمَةُ قَدْرُ الْكِفَايَةِ ، وَالْفَضْلُ الْمُضَاعَفُ عَلَيْهَا مَعَ مُضَاعَفَةِ السُّرُورِ بِهَا وَاللَّذَّةِ ، وَقِيلَ: الْفَضْلُ دَاخِلٌ فِي النِّعْمَةِ دَلَالَةٌ عَلَى اتِّسَاعِهَا، وَأَنَّهَا لَيْسَتْ كَنِعَمِ الدُّنْيَا " [٤]

وفي التحرير والتنوير : " النِّعْمَةُ: هِيَ مَا يَكُونُ بِهِ صَلَاحٌ، وَالْفَضْلُ: الزِّيَادَةُ فِي النِّعْمَةِ " [٥]

وإنما جمع الحق – سبحانه وتعالى – بين المفردتين المتشابهتين دلاليًا في هذا الموطن ؛ لأنه سبحانه وتعالى يتحدث عن فرح الشهداء بما أعده الله لهم ، ولا شك أن قمة الفرح أن يجدوا ما لا يتوقعونه ، أي يسبغ الله عليهم من فضله فحينئذ يكون الاستبشار، كما قدم سبحانه وتعالى النعمة على الفضل ؛ لأن النعمة تشتمل على قدر من الجزاء أي أن النعمة مشتملة على ثواب ما قدموه من الاستشهاد في سبيل الله تعالى ، أما الفضل فهو الزيادة ، ومن ثم يكون الفضل بعد النعمة ؛ لأن " النعمة أن يعطيك الله على قدر

---

(١) البحر المحيط ٣/ ٤٣٤، تفسير ابن عرفة ١/ ٤٤٣

(٢) مفاتيح الغيب ٩/ ٤٣١

(٣) تفسير القرآن ص ٣٧٩

(٤) البحر المحيط ٣/ ٤٣٤

(٥) التحرير والتنوير ٤/ ١٦٧

عملك، والفضل من الله هو أن يَزِيدَك عطاء" [1]، وأكد سبحانه وتعالى أن ذلك فضل منه بعد آيتين فقال تعالى: ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة آل عمران الآية : ١٧٤] ، فـ " النعمة هاهنا الْعَافِيَةُ، وَالْفَضْلُ التِّجَارَةُ ، وَقِيلَ: النِّعْمَةُ مَنَافِعُ الدُّنْيَا، وَالْفَضْلُ ثَوَابُ الْآخِرَةِ " [2] أي ،" فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ، يُرِيدُ: فِي السَّلَامَةِ وَالظُّهُورِ، وَفِي اتِّبَاعِ الْعَدُوِّ، وَحِمَايَةِ الْحَوْزَةِ، وَبِفَضْلٍ فِي الْأَجْرِ الَّذِي حَازُوهُ ، وَالْفَخْرِ الَّذِي تَخَلَّلُوهُ " [3] ، وقال ابن عاشور : " النِّعْمَةُ هِيَ مَا أَخَذُوهُ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَالْفَضْلُ فَضْلُ الْجِهَادِ" [4]

ولا شك أن إحدى المفردتين لا تعطي كامل الدلالة ، وقد أشار الألوسي إلى ذلك فقال : "وجمع – الفضل والنعمة– مع أنهما كثيرا ما يعبر بهما عن معنى واحد إما للتأكيد وإما للإيذان بأن ما خصهم به سبحانه ليس نعمة على قدر الكفاية من غير مضاعفة سرور ولذة ، بل زائد عليها مضاعف فيها ذلك ، ونظيره قوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [سورة يونس من الآية : ٢٦] " [5]

---

(1) روح المعاني ٣/ ١٨٨٠

(2) مفاتيح الغيب ٩/ ٤٣٤

(3) البحر المحيط ٣/ ٤٣٨

(4) التحرير والتنوير ٤/ ١٧١

(5) روح المعاني ٢/ ٣٣٦

ويؤيد هذا أن الحقَ – سبحانه وتعالى – عندما تحدث عن فضله على عباده بوجود الرسول ﷺ بينهم قدَّم الفضل على النعمة فقال تعالى : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾[سورة الحجرات الآيتان: ٧، ٨] أيضا اللغة تؤيد ذلك ؛ لأن الفضل هو الزيادة : " الفضل أصله من الزيادة ، وفَضْلَةُ الشيءِ بَقِيَّتُه؛ لأنها زادت على الكفاية، وقيل: الفضائل؛ لأنها زيادة في محاسن الإنسان ، والمُفَضَّلُ : الثوبُ الذي تَلْبَسُه المرأة في بيتها؛ لأنه زيادة على جملة ثيابها"[١] ، فـ" كل عَطِيَّة لَا تلْزم من يُعْطي يُقَال لَهَا فضل" [٢] ، و" النِّعْمَة: هِيَ فِي أصل وَضعهَا الْحَالة الَّتِي يستلذها الْإِنْسَان٠٠٠ وَقيل: النِّعْمَة هِيَ الشَّيْء الْمُنعم بِهِ " [٣]

(١) الوجوه والنظائر، لأبي هلال العسكري ص ٣٨٥

(٢) الكليات ص٦٧٥

(٣) السابق ص٩١٢

٢٠- (الهُدَى – دِين الحق)

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [سورة التوبة الآية : ٣٣] ، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴾ [سورة الفتح الآية : ٢٨] ، وقوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [سورة الصف الآية : ٩]

الإسلام جاء لهداية الناس وإخراجهم من الضلال إلى الكفر، ومن ثم اقترنت الهداية بالدين في أكثر من موضع في كتاب الله تعالى ، حتى إن البعض قد جعلهما بمعنى واحد ، والجمعُ بينهما لغرض التأكيد ، قال الماوردي : " معناهما واحد ، وإنما جُمِع بينهما تأكيداً لتغاير اللفظين " [١] ، لكن مع ذلك تبقى لكل من المفردتين دلالتها الخاصة التي تميزها عن غيرها " أحدها: أن الهُدَى البيانُ ، ودينُ الحق الإسلامُ ، قاله الضحاك، والثاني: أن الهُدَى الدليل ، ودين الحق المدلول عليه ، والثالث: معناه بالهدى إلى دين الحق " [٢]

([١]) النكت والعيون ٢/ ٣٥٥

([٢]) السابق ٢/ ٣٥٥

وقيل المراد : " بِالْهُدَى، يَعْنِي: بِبَيَانِ فَرَائِضِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ ، وَجَمِيعِ اللَّازِمِ لَهُمْ، وَبِدِينِ الْحَقِّ وَهُوَ الْإِسْلَامُ " (١) ، وقيل المراد : " بِالْهُدى يعم القرآن وجميع الشرع ، وقوله وَدِينِ الْحَقِّ إشارة إلى الإسلام والملة بجمعها وهي الحنيفية " (٢) ، وقيل المراد بِالْهُدى : أنه التوحيد. وقيل : القرآن. وقيل: تبيان الفرائض. فأما دين الحق، فهو الإسلام (٣)

لكن يظهر لي – والله أعلم – أن بين الهدى ودين الحق ترابطًا دلاليًا كبيرًا ظهر في تكرار اقترانهما حيث تكررا معا ثلاث مرات ، مما يدل على أن هناك غرضًا دلاليًا من هذا الاقتران ، وهو أن الدين الحق لابد وأن يشتمل على الهدى، لأن كلمة " (دين) أُخذَتْ واستعملت أيضاً في الباطل ، ألم يأمر الحق سبحانه وتعالى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَن يقول لكفار ومشركي مكة : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [سورة الكافرون الآية : ٦] ، فهل كان لهم دين؟ نعم كان لهم ما يدينون به مما ابتكروه واخترعوه من المعتقدات ، لكن دِين الحق هو الذي جاء من السماء وأُيِّد بالمعجزات " (٤)

كما أن سياق الآيات تتحدث عن ظهور دين الله تعالى على جميع الديانات ، ظهورَ حُجةٍ ودليل وبرهان لكونه الحق ، وليس غلبة وقهرا ، ومن ثم قرن الحق سبحانه وتعالى بينهما . يقول الرازي : " وَاعْلَمْ أَنَّ كَمَالَ حَالِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِمَجْمُوعِ أُمُورٍ: أَوَّلُهَا: كَثْرَةُ الدَّلَائِلِ

---

(١) جامع البيان ١١/ ٤٢٢

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣/ ٢٦

(٣) زاد المسير في علم التفسير ٢/ ٢٥٣

(٤) تفسير الشعراوي ٨/ ٥٠٥٤ ، بتصرف يسير

وَالْمُعْجِزَاتِ ، وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى ، وَثَانِيهَا: كَوْنُ دِينِهِ مُشْتَمِلًا عَلَى أُمُورٍ يَظْهَرُ لِكُلِّ أَحَدٍ كَوْنُهَا مَوْصُوفَةً بِالصَّوَابِ وَالصَّلَاحِ وَمُطَابَقَةِ الْحِكْمَةِ وَمُوَافَقَةِ الْمَنْفَعَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: وَدِينِ الْحَقِّ " (١)

(١) مفاتيح الغيب ١٦/ ٣٢

الفصل الثاني : الألفاظ المقترنة بغير العطف

١- (حَلَلا ً - طَيِّبًا)

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾ [سورة البقرة الآية : ١٦٨]، وقال سبحانه : ﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴾ [سورة المائدة الآية : ٨٨] ، وقال عز اسمه : ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [سورة الأنفال الآية : ٦٩] ، وقال عز من قائل : ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ [سورة النحل الآية : ١١٤]

من النعم التي أنعم بها الحق – سبحانه وتعالى – على عباده أن خلق لهم مقومات الحياة ، والتي من أهمها الطعام ، وبيَّن أن المأكول الذي ارتضاه لعباده لابد أن يشتمل على وصفين : **الوصف الأول** : أن يكون حلالًا ، **والوصف الثاني** : أن يكون طيبًا ، وقد اختلف علماء اللغة في هذين الوصفين ٠هل هما بمعنى واحد ؟ ومن ثمَّ يكون الوصف الثاني تأكيدًا للوصف الأول ، أم أن بينهما فرقًا ؟ ومن ثم أفاد الوصف الثاني معنى جديدا عن الوصف الأول٠

وقبل ذكر هذا الاختلاف لابد من الإشارة إلى أن اللفظين متفقان في المعنى الإجمالي ، أي أنهما يدوران حول معنى محوري دلالي واحد . جاء في الفروق اللغوية : " الفرق بين الحلال والطيب : قال بعض أصحابنا:

الحلال والطيب وإن كانا متقاربَين، بل متساويَين في اللغة، إلا أن المستفاد من الأخبار أن بينهما فرقًا في عرف الأئمة – عليهم السلام –وكأن الفرق هو أن الطيب: ما هو طيب في ظاهر الشرع سواء كان طيبا في الواقع أم لا ، والحلال: ما هو حلال وطيب في الواقع لم تعرضه النجاسة والخباثة قطعا، ولم تتناوله أيدي المتغلبة أصلا " [١]

واللغة تؤيد تقاربهما الدلالي ، بل قال البعض بترادفهما .جاء في المصباح : " طَابَ الشَّيْءُ يَطِيبُ طِيبًا إِذَا كَانَ لَذِيذًا أَوْ حَلَالًا فَهُوَ طَيِّبٌ"[٢]، وفي كتاب الأفعال : " طِيب: و"طابَ" الشيءُ طِيبا حَسُن وحَلاَ، وأيضا : حَلَّ " [٣] ،

وقال الفيومي : " حَلَّ الشَّيْءُ يَحِلُّ بِالْكَسْرِ حِلًّا : خِلَافُ حَرُمَ ، فَهُوَ حَلَالٌ وَحِلٌّ " [٤] ، والحلال من : حَلّ الشّيء يحِلّ حِلاًّ ، وأحَلَّه الله واستحْلَلْتُه: اتخذتُه حَلَالا " [٥] " وَالْحِلُّ بِالْكَسْرِ : الْحَلَالُ ، وَهُوَ ضِدُّ الْحَرَامِ"[٦] ، " وكل شَيْء أَبَاحَهُ الله فَهُوَ حَلَال " [٧] ، و" الْحَلَال : هُوَ الْمُبَاح

---

(١) الفروق اللغوية ص ١٩٥، ١٩٦، مؤسسة النشر الإسلامي

(٢) المصباح المنير ٢/ ٣٨٢(ط ي ب)

(٣) كتاب الأفعال لابن القطاع ٢/ ٣٠٩

(٤) المصباح المنير للفيومي ١/ ١٤٧ (حل ل ل)

(٥) المخصص ٦٠/٤

(٦) مختار الصحاح ص ٧٩، ينظر: لسان العرب ١١/ ١٦٦، ١٦٧، تاج العروس ٢٨/ ٣٢٧ (ح ل ل)

(٧) تهذيب اللغة ٣/ ٢٨٤ (ح ل ل)

الَّذِي عُلم إِبَاحَته بِالشَّرْعِ " [١] ، و" الطَيِّب: خلاف الخبيث. " [٢] ، و" طابَ الشَّيء طِيباً وطاباً: لَذَّ أو زَكَا ٠٠٠والطَّيِّبُ: الحَلالُ ، وفي التَّنْزِيلِ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ﴾ [سورة المؤمنون من الآية : ٥١] ، أي: كُلُوا من الحَلالِ، وكُلُّ مَأكُولِ حَلالٍ مُسْتَطابٌ، فهو داخِلٌ في هذا٠٠٠والطَّيِّبُ من كُلِّ شَيءٍ: أَفْضَلُه " [٣]

وقيل : " (الطَّيِّبُ) خِلَافُ الْخُبْثِ فِي الْمَعْنَيَيْنِ ، يُقَالُ شَيْءٌ طَيِّبٌ أَيْ طَاهِرٌ نَظِيفٌ أَوْ مُسْتَلَذٌّ طَعْمًا وَرِيحًا وَخَبِيثٌ أَيْ نَجَسٌ أَوْ كَرِيهُ الطَّعْمِ وَالرَّائِحَةِ " [٤] ، والحقيقة : أن الطيب يستخدم للدلالة على الحلال ، كما أن الحلال يستخدم للدلالة على الطيب عند الانفراد، لكن عند الاقتران يكون لكل منهما دلالة خاصة به تختلف عن دلالة الآخر، فقيل : " الحلال: مَا أَفْتَاك الْمُفْتِي أَنه حَلَال ، وَالطّيب: مَا أَفْتَاك قَلْبك أَن لَيْسَ فِيهِ جُنَاح، وَقيل: الطّيب مَا يستلذ من الْمُبَاح " [٥] ، يقول الطبري : فأمرهم الله بالأكل منها " " يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا أَحْلَلْتُ لَكُمْ مِنَ الْأَطْعِمَةِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَطَيَّبْتُهُ لَكُمْ مِمَّا تُحَرِّمُونَهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مِنَ الْبَحَائِرِ، وَالسَّوَائِبِ، وَالْوَصَائِلِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ أُحَرِّمْهُ عَلَيْكُمْ، دُونَ مَا حَرَّمْتُهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمَطَاعِمِ، وَالْمَآكِلِ فَنَجَّسْتُهُ مِنْ مَيْتَةٍ، وَدَمٍ، وَلَحْمِ خِنْزِيرٍ وَمَا أُهِلَّ بِهِ

---

(١) الفروق اللغوية للعسكري ص ٢٢٥

(٢) الصحاح ١/ ١٧٣ (ط ي ب)

(٣) المحكم والمحيط الأعظم ٢٢٤/٩ : ٢٢٦ (ط ب ي)، والمخصص ٤/ ٤٦(ط ي ب ب)

(٤) المغرب في ترتيب المعرب ص ٢٩٦

(٥) الكليات ص ٤٠٠

لِغَيْرِي" [1] ، في حين ذهب الزجاج إلى أن قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ "على ضربين: أحدهما الإباحة لأكل جميع الأشياءِ إلا ما قد حَظَرَ اللهُ عزَّ وجلَّ من الميتة وما ذَكر معهَا، فيكون (طَيِّبًا) نعتاً للْحَلَال، ويكون طيباً نعتاً لما يستطاب، والأجود أن يكون طَيِّبًا من حيث يطيب لكم، أي لا تأكلوا وتنفقوا مما يحرم عليكم كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ " [2]

وأرى – والله أعلم – أن الدلالة الخاصة للطَّيِّب : أنه وصف لذات المأكول ، أي هذا المأكول في نفسه خال من الأشياء الضارة الخبيثة المستقذَرة التي تضر الإنسان في جسده ، بينما الحلال : حكم شرعي للمأكول ، أي يشترط في المأكول أن يكون مما أحل الله لعباده الأكلَ منه ، فقد يكون الشيء طيبًا لكن حرمه الله – سبحانه وتعالى – اختبارا لعباده كاصطياد الحيتان على بني إسرائيل ، أو حرم لغرض آخر ، كالأكل من الغنيمة قبل التقسيم ، أو الأكل من مال الغير، ويؤيد تلك الدلالة الخاصة : أن الآية السابقة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [سورة المائدة الآية : ٨٧] نهت عن تحريم الطيبات والاعتداء ، ثم أعقبها سبحانه بالأمر من الحلال الطيب، فكل حلال طيب ، لأن الله – سبحانه وتعالى – لا يحل إلا الطيب في ذاته، والخاليَ من تعلق الحقوق به ، وليس كل طيب في ذاته حلالاً ، بل لابد أن يكون خالصًا من تعلق حق الآخر به ، مثل الأموال المكتسبة عن طريق

([1]) جامع البيان ٣/٣٦ ، ٣٧

([2]) معاني القرآن وإعرابه ١/ ٢٤١

الربا، أو المملوكة للغير ، أي : " أن الله أباح أكل الطيبات التي تشتهيها الأنفس، وألا يُحَرِّمُها أحدٌ على نفسه، ثم نهاهم عن الاعتداء، ، وهو تعدي الحدود التي قد حُرِّمت" (١)

ويؤكد تلك الدلالة : أن الحق – سبحانه وتعالى– اقتصر على ذكر الطيبات مع الرسل في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ [سورة المؤمنون الآية : ٥١] ؛ لأن الحلال مستفاد من أمر الله للرسل فلا يُحْتاج إلى اقتران الطيب بالحلال، قال الزجاج :" أي كلوا من الحلال، وكل مأكول حَلَالٍ مُسْتَطَابٍ فهو داخل في هذا ، وإنَّمَا خُوطب بهذا رسولُ الله ﷺ فقيل يَا أَيُّها الرسُلُ ، وتَضَمَنَ هَذَا الخطابُ أن الرسُل جَمِيعاً كذا أُمِرُوا" (٢) ، وأيضاً : فإن بعض العرب كانت قد حرمت بعض الطيبات كالأنعام الحلال ، قال تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [سورة المائدة الآية : ١٠٣] فـ " أَخْبَرَهُمْ تَعَالَى ذِكْرُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ قِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا مِنَ الْكَذِبِ الَّذِي يَأْمُرُهُمْ بِهِ الشَّيْطَانُ، وَأَنَّهُ قَدْ أَحَلَّهُ لَهُمْ وَطَيَّبَهُ ، وَلَمْ يُحَرِّمْ أَكْلَهُ عَلَيْهِمْ ، وَلَكِنَّهُمْ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ حَقِيقَتَهُ طَاعَةً مِنْهُمْ لِلشَّيْطَانِ، وَاتِّبَاعًا مِنْهُمْ خُطُوَاتِهِ، وَاقْتِفَاءً مِنْهُمْ آثَارَ أَسْلَافِهِمُ الضُّلَّالِ وَآبَائِهِمُ الْجُهَّالِ، الَّذِينَ كَانُوا بِاللَّهِ وَبِمَا

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن ٣/ ١٨٤٦

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٥

أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِهِ جُهَّالًا، وَعَنِ الْحَقِّ وَمِنْهَاجِهِ ضُلَّالًا؛ وَإِسْرَافًا مِنْهُمْ " [1] ، ومن ثم تكون الدلالة المرادة من الآية : ﴿ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ أي : " حلالا لا شبهة في حِلّه، أو لا تَعَافُه النفوس...يا أيها الناس كلوا مما في الأرض، من حيوانها ونباتها وثمارها، حلالًا لا حرمة فيه، طيبًا لا تعافه النفوس، فلا تمنعوا أنفسكم من هذه المطاعم التي حَرَّمتموها ، وهي لكم حلال، كما لا تمنعون أنفسكم من غيرها، بشرط أن تَكْسِبوها بطريق مشروع، وألا تكون محرمة لخبثها أو لعارض، كَذِكْر اسم الأوثان عليها " [2] ، ويدعم هذه الدلالات الخاصة : ارتباط الطيب والحلال بالأكل حيث تكرر اقترانهما معًا بالأكل أربع مرات في كتاب الله تعالى ، مما يدل على أنه أمر مقصود دلاليًا .

٢- (سَنَةٌ – عَامٌ)

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾ [سورة العنكبوت الآية : ١٤]

قرن القرآن الكريم بين مُدتين زمنيتين في آية واحدة بلفظين مختلفين مع أن مقياس المدة الزمنية واحد ؛ حيث عبر الحق – سبحانه وتعالى – بالسنة والعام ، فهل هما بمعنى واحد أي أنهما مترادفان؟ أم أن لكل منهما دلالة خاصة غير الدلالة العامة؟

---

(١) جامع البيان ٣/ ٤٠ ، ٤١

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ١/ ٢٥٥، ٢٥٦

أولًا : لا شك أن لفظ (السَّنة) يستخدم للدلالة على (العامِ) ، وهو (الْحَوْلُ) صيفاً وشتاءً . كما أن (العام) يستخدم للدلالة على (السنة) .

قال ابن فارس : "سَنَهَ: السِّينُ وَالنُّونُ وَالْهَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى زَمَانٍ ، فَالسَّنَةُ مَعْرُوفَةٌ " [١] " والعَامُ: السَّنَةُ " [٢] ، وذكر الزَّبيدي في تاج العروس : " قَالَ شيخُنا: وعَلى اتِّحادِهما – العامِ والسنة – جَرَى المُصَنِّف، فَفَسَّر كُلَّ واحدٍ مِنْهُما بالآخَرِ " [٣] ، وهو قول الهروي : حيث جاء في إسفار الفصيح : " والعَامُ والحَوْلُ والسَّنَةُ: بمعنى وَاحِدٍ، ويأتي كُلُّ واحِدٍ منها على شَتْوَةٍ وصَيْفَةٍ " [٤]

ثانياً : مع اتفاق كثير من أهل اللغة على اتفاقهما في الدلالة عند الانفراد ، لكنهم ذهبوا إلى أن لكل منهما دلالة خاصة عند اقترانهما ، فالاقتران يفيد أن الدلالة الخاصة هي المرادة في هذا الموطن ، وقد اختلفوا في تحديد الدلالة الخاصة لكل منهما ، فذهب بعضهم إلى القول : بأن (السَنة) تُستعمل غالباً في موضع الجَدْب والشِّدَّة ، و(العام) يستعمل غالباً في الرخاء بعد الشدة٠

جاء في المفردات : مَا نَصُّه: " العَامُ كالسَّنَةِ ، لَكِن كَثيرًا مَا تُسْتَعْمَلُ السَّنَةُ فِي الحَولِ الَّذِي يكونُ فِيهِ الشِّدَّةُ أو الجَدْبُ، ولِهذا يُعَبَّرُ عَن الجَدْب بِالسَّنَةِ، والعامِ بمَا فِيهِ الرَّخاءُ والخِصْبُ، قالَ اللهُ تَعالَى: ﴿ **عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ**

---

(١) مقاييس اللغة ٣/ ١٠٣ (س ن ه)

(٢) الصحاح ١٩٩٣/٥،مختار الصحاح ص ٢٢٢،القاموس المحيط ص١١٤١(ع و م)

(٣) تاج العروس ٣٣/ ١٥٦(ع و م)

(٤) إسفار الفصيح ١٧٧/١، ٢/ ٨٨٠

ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴾ [سورة يوسف من الآية : ٤٩] ، وقولُه تَعَالَى: ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾ [سورة العنكبوت من الآية : ١٤] ، فَفِي كَوْنِ المُسْتَثْنَى مِنْهُ بالسَّنَةِ والمُسْتَثْنَى بالعَامِ لَطِيفةٌ ... وقيل : سَمَّي السَّنة عَاماً لِعَوْمِ الشمس في جميع بروجها، ويدلّ على معنى الْعَوْمِ قوله:﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾ [سورة الأنبياء من الآية : ٣٣] " [١] ، وقد أشار البقاعي إلى هذا فقال : " وعبر بلفظ {سنة} ذمّاً لأيام الكفر، وقال: {إِلَّا خَمۡسِينَ } فحقق أن ذلك الزمان تسعمائة وخمسون من غير زيادة ولا نقص مع الاختصار والعذوبة، وقال: {عَامًا } إشارة إلى أن زمان حياته عليه الصلاة والسلام بعد إغراقهم كان رَغْداً واسعاً حسناً بإيمان المؤمنين وخصب الأرض"[٢]

جاء في البرهان: " قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامًا ﴾ فَذَكَرَ فِي مُدَّةِ اللَّبْثِ السَّنَةَ ، وَفِي الِانْفِصَالِ الْعَامَ ، لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهُ كَانَ فِي شَدَائِدَ فِي مُدَّتِهِ كُلِّهَا إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا قَدْ جَاءَهُ الْفَرَجُ وَالْغَوْثُ ، فَإِنَّ السَّنَةَ تُسْتَعْمَلُ غَالِبًا فِي مَوْضِعِ الْجَدْبِ ، وَلِهَذَا سَمُّوا شِدَّةَ الْقَحْطِ سَنَةً ...وَالسَّنَةُ أَطْوَلُ مِنَ الْعَامِ" [٣]

([١]) المفردات ص ٥٩٨ (ع و م)

([٢]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٤/٤٠٤

([٣]) البرهان في علوم القرآن ٣/ ٣٨٦

في حين ذهب البعض الآخر إلى وجود فرق مختلف وهو أن : " السَّنَةُ من أيّ يَوْم عَدَدْتَه إِلَى مِثْلِه ، والعَامُ لَا يَكُونُ إِلَّا شِتاءً وصَيْفًا، ولَيْسَ السَّنَةُ والعَامُ مُشْتَقَّيْنِ من شَيءٍ، فَإِذا عَدَدْتَ من اليَوْم إِلَى مِثْلِه فَهُوَ سَنَةٌ يدخُلُ فِيهِ نِصْفُ الشِّتاءِ ونِصْفُ الصَّيْفِ، والعَامُ لَا يَكونُ إلاّ صَيْفًا وشِتَاءً، ... فالعامُ أَخَصُّ من السَّنَةِ ، فعَلَى هَذَا تقُول: كُلُّ عامٍ سَنَةٌ، وَلَيْسَ كُلُّ سَنَةٍ عَامًا" (١) ، ويدل على ذلك قول الخليل : " العامُ: حَوْلٌ يَأْتِي عَلَى شَتْوةٍ وصَيْفَةٍ ، وَيجمع : أعواماً " (٢) " فالعَامُ أَخَصُّ مُطْلَقًا من السَّنَةِ " (٣) ، وذهب السُّهَيْلِيُّ إلى التفريق من جهة أخرى فقال فِي الرَّوْضِ: " وَالسّنَةُ وَالْعَامُ وَإِنْ اتّسَعَتْ الْعَرَبُ فِيهِمَا، وَاسْتَعْمَلَتْ كُلّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَكَانَ الْآخَرِ اتّسَاعًا، وَلَكِنْ بَيْنَهُمَا ... فَرْقًا... الْعَام أَقَل أَيّامًا مِنْ السّنَةِ " (٤)

وقال صاحب البرهان بعد ذكره لكلام السهيلي " إِنَّهُ كَلَامٌ وَرَدَ فِي مَوْضِعِ التَّكْثِيرِ وَالتَّتْمِيمِ بِمُدَّةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَالسَّنَةُ أَطْوَلُ مِنَ الْعَامِ " (٥)

بينما ذكر العسكري دلالة مختلفة فقال: " في الفرق بَين الْعَام وَالسّنة " أَن الْعَام أَيَّام وَالسّنة جمع شهور ، أَلا ترى أَنه لما كَانَ يُقَال أَيَّام الزَّنْج قيل

---

(١) التكملة والذيل على درة الغواص للجواليقي ص ٨٤٧ ، تصحيح التصحيف وتحرير التحريف ص ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، تاج العروس ٣٣/ ١٥٦ (ع و م)

(٢) العين ٢/ ٢٦٨ ، تهذيب اللغة ٣/ ١٦٠ (ع م و) ، لسان العرب١٢/ ٤٣١(ع و م)

(٣) تاج العروس ٣٣/ ١٥٦(ع و م)

(٤) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٨٦ : ٨٨، دار إحياء التراث العربي ، تاج العروس ٣٣/ ١٥٦ (ع و م)

(٥) البرهان في علوم القرآن ٣/ ٣٨٦

عَامُ الزَّنْج ، وَلما لم يقل شهور الزنج لم يقل سنة الزنج ، وَيجوز أَن يُقَال الْعَام يُفِيد كَونه وقتا لشَيْء وَالسّنة لا تفيد ذَلِك ، وَلِهَذَا يُقَال عَام الْفِيل وَلَا يُقَال سنة الفيل ، وَيُقَال فِي التَّارِيخ سنةَ مائَةٍ ، وَسنةَ خمسين وَلَا يُقَال عَامَ مائَةٍ وعامَ خمسين ؛ إِذْ لَيْسَ وقتا لشَيْء مِمَّا ذُكِرَ من هَذَا الْعدَد ، وَمَعَ هَذَا : فَإِن الْعَام هُوَ السّنة وَالسّنة هِيَ الْعَام وَإِن اقْتضى كل وَاحِد مِنْهُمَا مَا لَا يَقْتَضِيهِ الآخر مِمَّا ذَكرْنَاهُ " (١)

كما ذهب السمين الحلبي إلى أن من أسباب التغاير مراعاةَ الخفة ، فقال : " وقد رُوُعِيَتْ هنا نكتةٌ لطيفةٌ: أَنْ غايرَ بين تمييزَيْ العددَيْن فقال في الأول: سَنَة ، وفي الثاني: عاماً ؛ لئلا يَثْقُلَ اللفظُ ، ثم إنه خَصَّ لفظَ العامِ بالخمسين إيذاناً بأَنَّ نبيَّ اللَّهِ صلَّى الله عليه وسلَّم لَمَّا استراح منهم بقيَ في زمنٍ حسنٍ، والعربُ تُعَبِّرُ عن الخِصْبِ بالعام ، وعن الجَدْبِ بالسَّنَة " (٢)

وهو ما قال به صاحب التسهيل فقال : " فإن قيل: لم قال ألف سنة، ثم قال إلا خمسين عاما ؟ فاختلف اللفظ مع اتفاق المعنى؟ فالجواب أن ذلك كراهةٌ لتَكرار لفظِ السنة ، فإن التكرار مكروه إلا إذا قصد به تفخيم أو تهويل"(٣)

والمتتبع لسياق لفظي (السنة والعام) في القرآن الكريم ، يجد بينهما تغايرًا دلاليًا ، فالحق – سبحانه وتعالى – ما عدل عن قول : (فلبث فيهم تسعمائة وخمسين عاما) إلى قوله : ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ

(١) الفروق اللغوية ص ٢٧١

(٢) الدر المصون ٩/ ١٣

(٣) ابن جزي الغرناطي ٢/ ١٢٣

عَامًا ﴾ إلا لغرض دلالي ، وهو الإشارة إلى طول عناء نبي الله نوح في دعوة قومه ، فـ : " إن قلتَ: ما فائدةُ العدولِ إلى ما قاله ، عن تسعمائة وخمسين ، مع أنه عادةُ الحساب؟

قلتُ: فائدتُه تسليةُ النبي ﷺ ، إذِ القصة مسوقةٌ لتسليته بما ابتُلِيَ به نوح عليه الصلاة والسلام، من مكابدة أمته في أطول المُدَد، فكان ذلك أقصى العقود، التي لا عقد أكثرَ منه – في مراتب العدد – أفخرُ وأفضى إلى المقصود، وهو استطالة التَّسامعِ مدّةَ صبره٠٠٠ وجاء المميَّز الأول بلفظ " السنةِ " والثاني بلفظ " العَام " لكراهة التكرار" (١) ، كما أن " الإخبار عن هذه المدة بهذه الصيغة يمهد عذر نوح عليه السلام في دعائه على قومه بدعوة أهلكتهم عن آخرهم ، إذ لو قيل: فلبث فيهم تسعمائة وخمسين عاما، لم يكن فيه من التهويل ما في الأول ؛ لأن لفظ الألف في الأول ، أول ما يطرق السمع فيشتغل بها عن سماع بقية الكلام ، وإذا جاء الاستثناء لم يبق له بعدما تقدمه وقع يزيل ما حصل عنده من ذكر الألف" (٢) ، وقد أكد الألُوسي هذا المعنى فقال : " ولعل ما عليه النظم الكريم في بيان مدة لبثه عليه السلام للدلالة على كمال العدد وكونه متعينا نصا دون تَجَوُّز فإن تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الألف من تخييل طول المدة ؛ لأنها أول ما تقرع السمع ، فإن المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وتثبيته على ما كان عليه من مكابدة ما يناله من الكَفَرة ، وإظهارُ ركاكة رأي الذين يحسبون أنهم يُتركون

(١) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ص ٤٣٦

(٢) الموسوعة القرآنية ٢/ ٢٦٣

بلا ابتلاء، واختلافُ المُمَيَّزين ، لما في التكرير في مثل هذا الكلام من البشاعة " [1]

أما عن السر في تقديم السَّنة على العام : فقد أشار الألوسي إلى ذلك ، فقال : " والنكتة في اختيار (السنة) أولاً أنها تطلق على الشدة والجدب ، بخلاف العام ، فناسب اختيار (السنة) لزمان الدعوة الذي قاسى عليه السلام فيه ما قاسي من قومه " [2]

أيضا :سياق الكلام عن مدة لبث سيدنا نوح فيهم بالدعوة إلى مجيء الطوفان ، فناسب ذلك بيان كمية المعاناة كَمًّا وكيفا ، فاستخدم سبحانه وتعالى لفظ (الألف) للدلالة على الكم الكبير من حيث العدد ، كما استخدم سبحانه وتعالى لفظ (السنة) للدلالة على كيفية المعاناة في تلك المدة.

٣- (ضيِّقًا – حَرَجًا)

قال تعالى : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [سورة الأنعام الآية : ١٢٥].

المعاني النفسية معقدة ، بمعنى أنها متشابكة ومتداخلة يصعب – إن لم يكن يستحيل – الإفصاح عنها بصورة دقيقة ، وهذه المعاني تختلج نفس الإنسان وصدره ، وقد ارتبط التعبير عمما في الصدر والنفس في القرآن

([1]) روح المعاني ١٠ / ٣٤٨

([2]) السابق ١٠ / ٣٤٨

الكريم بلفظين مُهِمَّيْن ، وهما لفظا (الحَرَج والضِّيق) ، حيث استعمل القرآن الكريم لفظ (الضيق) مع النفس والصدر، قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [سورة التوبة الآية : ١١٩] ، وقوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ ﴾ [سورة هود من الآية : ١٢] ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ [سورة الحجر الآية : ٩٧] ، وقوله تعالى : ﴿ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴾ [سورة الشعراء الآية : ١٣] ، فالضَّيْق مرتبط بالقلب والصدر [١] ، وهو ما يدل عَلَى خِلَافِ السَّعَةِ [٢]

كما استعمل سبحانه وتعالى لفظ (الحرج) مع النفس والصدر ، فقال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ [سورة النساء الآية : ٦٥] ، وقال تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [سورة الأعراف الآية : ٢] ، ثم قرن سبحانه وتعالى بين (الضِّيق والحرج) في التعبير عن ما في الصدر، فقال تعالى:

---

(١) ينظر : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ٦ / ٤٠٢٢(ض ي ق)

(٢) ينظر : مقاييس اللغة ٣/ ٣٨٣ (ض ي ق)

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [سورة الأنعام الآية : ١٢٥]

وهذا الاقتران بين لفظي (الضِّيق والحَرَج) له دلالة خاصة غيرُ الدلالة التي يفيدها انفراد أحدهما عن الآخر ، وهو ما سأحاول بيانه في السطور الآتية :

من ناحية اللغة يتضح أنها تؤيد استعمال القرآن الكريم للفظ (الضيق) مكان لفظ (الحرج) ، والعكس ، فكل منهما يفيد ما يفيده اللفظ الآخر ، فمعناهما متقارب بل مترادف ، كما قال بعضهم ، جاء في العين : " قد حَرِجَ صَدْرُه : أيْ ضاق ولا ينشَرِحُ لخَير" [١] ، " وَرجل حَرَج وحَرِج: ضَيِّقُ الصَّدْر" [٢] ، وفي المقاييس : " حَرِجَ : الْحَاءُ وَالرَّاءُ وَالْجِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ مُعْظَمُ الْبَابِ ، وَإِلَيْهِ مَرْجِعِ فُرُوعِهِ، وَذَلِكَ تَجَمُّعُ الشَّيْءِ وَضِيقُهُ... وَالْحَرَجُ الضِّيقُ" [٣] ، وصرح الزركشي والسيوطي بكونهما مترادفين ، وأنهما من قبيل:" التَّوْكِيد الصِّنَاعِيّ : وَهُوَ قِسْمَانِ: لَفْظِيٌّ ، وَمَعْنَوِيٌّ ، فَاللَّفْظِيّ: تقرير معنى الأول بلفظه أو مرادفه ، فمن المرادف...{ضَيِّقًا حَرَجًا }" [٤] ، وهو قول القرطبي حيث قال: " ومعناه الضَّيِّق، كرر المعنى ، وحسن ذلك

---

(١) العين ٣/ ٧٦ (ح ج ر)

(٢) تهذيب اللغة ٤/ ٨٤ (ح ج ر)

(٣) مقاييس اللغة ٢/ ٥٠ (ح ر ج)

(٤) البرهان في علوم القرآن٢/ ٣٨٥ ، معترك الأقران في إعجاز القرآن ١/ ٢٥٥

لاختلاف اللفظ ... وكل ضَيّق حَرِج " [١]فالحرج الضَّيّق [٢] أو " هُوَ تَأْكِيدُ الضِّيقِ لِأَنَّهُ بِمَعْنَاهُ " [٣]

في حين ذهب الطبري إلى أن الحرج : " أَشَدُّ الضِّيقِ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَنْفُذُ مِنْ شِدَّةِ ضِيقِهِ [٤] ، أو " أَضْيَقُ الضِّيقِ " كما قال الزجاج . [٥]

والراجح : أن الحرج أشد الضيق : " وكل حَرَج في القرآن فهو بمعنى الضيق الشديد أو المنع ، قال تعالى : ﴿ **وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا** ﴾ [سورة الأنعام من الآية : ١٢٥] ، وهو شدة الضيق" [٦]، وقد أكد العسكري ذلك بقوله:" الْحَرج ضيق لَا منفذ فِيهِ مَأْخُوذ من الحَرْجَة وَهِي الشّجر الملتفِ حَتَّى لَا يُمكن الدُّخُول فِيهِ وَلَا الْخُرُوج منه ، وَلِهَذَا جَاءَ بِمَعْنى الشَّك فِي قَوْله تَعَالَى : ﴿ **ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ** ﴾ [سورة النساء من الآية : ٦٥] أَي شكًّا ؛ لِأَن الشاك فِي الْأَمر لَا ينفذ فِيهِ ، ومثله ﴿ **فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ** ﴾ [سورة

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٨١، ٨٢

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٢/ ٤٤٧

(٣) تفسير المنار ٨/ ٣٧

(٤) جامع البيان ٩/ ٥٤٤

(٥) معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٢٩٠ ، وينظر : النهاية ١/ ٣٦١ ، اللسان ٢/ ٢٣٣ (ح ر ج) ، تفسير المنار ٨/ ٣٧

(٦) المعجم الاشتقاقي ١/ ٤٠٦ (ح ر ج)

الأعراف من الآية : ٢] " [١] ، وذهب السمين الحلبي إلى أن الحرج هو التزايد في الضيق فهو أخصُّ من الضيق ،" فكلُّ حَرَج ضيق من غير عكسٍ...وقد ظهر لك ممَّا تَقَدَّم أنَّ قوله" ضيقاً حَرَجاً " ليس فيه تكرار ، وقال مكي: " ومعنى حَرِج يعني – بالكسر – كمعنى ضيق ، كُرِّر لاخْتِلَاف لَفظه للتَّأْكِيد " قلت: إنما يكون للتأكيد حيث لم يظهر بينها فارق فتقول: كُرِّر لاختلاف اللفظ كقوله تعالى : ﴿ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٌ ﴾ [سورة البقرة من الآية : ١٥٧]٠٠٠وأما هنا فقد تقدَّم الفرق بينهما بالعموم والخصوص أو غيرِ ذلك" [٢] ، " وَإِتْبَاعُ الضَّيِّقِ بِالْحَرَجِ: لِتَأْكِيدِ مَعْنَى الضِّيقِ، لِأَنَّ فِي الْحَرَجِ مِنْ مَعْنَى شِدَّةِ الضِّيقِ مَا لَيْسَ فِي ضَيِّقٍ. وَالْمَعْنَى يَجْعَلْ صَدْرَهُ غَيْرَ مُتَّسِعٍ لِقَبُولِ الْإِسْلَامِ، بِقَرِينَةِ مُقَابَلَتِهِ بِقَوْلِهِ: يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ " [٣] ، أما عن الدلالة التي يفيدها الاقتران بين الضيق والحرج في الآية الكريمة فأرى – والله أعلم – من خلال تتتبع سياق الآيات التي ورد فيها الحرج والضيق منفردين أنها تتحدث عن الضيق والحرج في الأرض، أما الآية التي اقترن فيها الضيق والحرج فتتحدث عن الأمور التي تحدث خارج الغلاف الجوي للأرض ، ولا شك أن التنفس خارج الغُلاف الجوي يختلف تمامًا عن التنفس داخل الغلاف الجوي ، مما يستدعي الجمع بين الضيق والحرج ؛ لإبراز تلك الدلالة فـ " مَنْ أَرَادَ اللَّهُ إِضْلَالَهُ عَنْ سَبِيلِ الْهُدَى يَشْغَلْهُ بِكُفْرِهِ وَصَدِّهِ عَنْ سَبِيلِهِ، وَيَجْعَلْ صَدْرَهُ بِخِذْلَانِهِ وَغَلَبَةِ الْكُفْرِ عَلَيْهِ حَرَجًا، وَالْحَرَجُ: أَشَدُّ الضِّيقِ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَنْفُذُ مِنْ شِدَّةِ ضِيقِهِ، وَهُوَ هَهُنَا الصَّدْرُ الَّذِي لَا تَصِلُ إِلَيْهِ

([١]) الفروق اللغوية ص ٣٠٥

([٢]) الدر المصون ٥/ ١٤٢: ١٤٥، مشكل إعراب القرآن ١/ ٢٦٩

([٣]) التحرير والتنوير ٨/ ٥٨ ، ٥٩

الْمَوْعِظَةُ وَلَا يَدْخُلُهُ نُورُ الْإِيمَانُ لِرَيْنِ الشِّرْكِ عَلَيْهِ " [١]، و" قد أثبتت الدراسات الحديثة أن الإنسان إذا ارتفع فوق سطح البحر ما بين عشرة آلاف قدم وستة عشر ألف قدم فإنه يرتفع ضغطه ؛ حتى تستطيع أجهزة الجسم أن توفر حاجة الجسم من الأكسجين ، أما إن تجاوز الإنسان هذه المسافة فإن أجهزة الجسم لا تفي بغرضها في هذا الارتفاع المفاجئ فما الذي يحصل؟ تظهر أعراض في مقدمتها ضيق الصدر الذي وصفته الآية وحتى يصف الله هذه الحالة فقد قال (ضيقاً) ولم يقل (ضائقاً) للمبالغة في وصف ضِيق الصدر، ولم يكتف السياق بوصفه (ضَيِّقا) بل أتْبعه بـ (حَرَجَا) التي تعني ضاق ضِيقاً شديداً ؛ ليؤكد لنا معنى الضيق ، ففي الحرج معنى شدة الضيق مما لا يفيده لفظ ضيق ، وحتى نتصور هذه الهيئة وهذا الألم الذي يعانيه المرتقي عبّر لك عنه بقوله (يَصَّعَّدُ) ولم يقل يصعد لنلمس هذا التكلف في الصعود وأنه ليس بالسهل بل فيه كد ومشقة " [٢] ، فـ : " الْحَرَج موضع الشجر الملتف، فكأن قلبَ الكافرَ لا تَصِلُ إليه الحكمة ، كما لا تصل الراعية إلى الموضع الذي يلتف فيه الشجر" [٣]

ويمكن جعل هذه الآية أصلا تُبنى عليه الآيات التي تجمع بين الألفاظ المتشابهة الدلالة – أو ما يعدها البعض ترادفا – فأقول : إن هذه الألفاظ ليست بغرض التأكيد ، بل لإضافة دلالة جديدة ، وإن هذه الدلالة قد تظهر للبعض، وقد تخفى على البعض حتى تَظهر الحقائق العلمية ، لتبرز هذه الدلالات التي خفيت علينا، وهذه الآية دليل على ذلك حيث كان العربي : "

---

(١) جامع البيان ٩/ ٥٤٤

(٢) لمسات بيانية لسور القرآن الكريم ص ١٢٤

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٢٩٠

يفهمها على عمومها أن الإنسان إذا صعد إلى السماء يضيق صدره ، لكن واقع الحال هو لا يعلم ذلك على وجه الدقة إلى أن جاء العلم الحديث فتكلم عن الطائرات والطائرات التي ترتفع مسافات عالية ويخف الضغط الجوي ويضيق الصدر" [١]" والمعنى أن الضالّ عن الحق يكون صدره ضيقاً حَرَجاً كأنما يصّعَّد في الجو لأن المرتفعَ في الجو يضيقُ صدره لاختلال الضغط كما هو معلوم. وهذا إعجاز علمي عَلاوةً على الإعجاز اللغوي، لأنه أخبر بهذه الحقيقة العلمية قبل اختراع المنطادات والطائرات بِدُهور" [٢]

٤- (غَضْبَان – أَسِفًا)

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا ﴾[سورة الأعراف من الآية : ١٥٠] ، وقال سبحانه : ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا ۚ ﴾ [سورة طه من الآية : ٨٦]

الانفعالات النفسية صعبة ومتداخلة ، ومن أشد الانفعالات تأثيرًا : الغضب، فهو من الصعوبة بمكان من حيث أثرُه أي ما يترتب عليه من أقوال وأفعال ، ولذلك حذر منه المصطفى ﷺ كثيراً ، وحينما أراد الله – عز وجل – وَصْفَ حالةِ موسى – عليه السلام – في القرآن الكريم حين عوته إلى قومه قرن بين وصفين متشابهين دلاليًا ، (غَضْبَان – أَسِفًا) ، وقد ورد الغضب في القرآن الكريم منفردا كما ورد الأسف منفردا ، وقد قُرِن بينهما

---

(١) لمسات بيانية لسور القرآن الكريم ص ١٢٢

(٢) أسرار البيان في التعبير القرآني ص ٤٥

في هذا السياق مرتين ، وهذا الاقتران مقصود دلاليًا فكل كلمة بل كل حرف في القرآن الكريم له دلالته٠

ودلالة الأسف تتشابه كثيرا جدا مع دلالة الغضب ٠

الغضب : " غَضِبَ: رجلٌ غَضُوبٌ: شديدُ الْغَضَب. أَبُو عبيد عَن الْفراء: رجلٌ غُضُبَّةٌ وغَضُبَّةٌ بِفَتْح الْغَيْن وضمِّها إِذا كَانَ يغْضب سَرِيعا" (١)، وجاء في جمهرة اللغة : " وَالْغَضَب: ضدُّ الرِّضَا. وَرجل غُضُبَّةٌ إِذا كَانَ كثير الْغَضَب" (٢) ، يقول ابن فارس: غَضَبَ " الْغَيْنُ وَالضَّادُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى شِدَّةٍ وَقُوَّةٍ. يُقَالُ: إِنَّ الْغَضْبَةَ: الصَّخْرَةُ الصُّلْبَةُ. قَالُوا: وَمِنْهُ اشْتُقَّ الْغَضَبُ، لِأَنَّهُ اشْتِدَادُ السُّخْطِ. يُقَالُ: غَضِبَ يَغْضَبُ غَضَبًا، وَهُوَ غَضْبَانُ وَغَضُوبٌ " (٣)

الأسف : يقول ابن فارس أَسَفَ: " الْهَمْزَةُ وَالسِّينُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الْفَوْتِ وَالتَّلَهُّفِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، يُقَالُ: أَسِفَ عَلَى الشَّيْءِ يَأْسَفُ أَسَفًا مِثْلَ تَلَهَّفَ ، وَالْأَسِفُ الْغَضْبَانُ" (٤)

و" الْأَسَفُ أَشَدُّ الْحُزْنِ ، وَقَدْ أَسِفَ عَلَى مَا فَاتَهُ وَ تَأَسَّفَ أَيْ تَلَهَّفَ، وَ أَسِفَ عَلَيْهِ أَيْ غَضِبَ ٠٠٠وَآسَفَهُ أَغْضَبَهُ " (٥)، كما ورد الأسف بمعنى

---

(١) تهذيب اللغة ٨/ ٥٦ (غ ض ب)
(٢) جمهرة اللغة ١/ ٣٥٤ (ب ض غ)
(٣) مقاييس اللغة ٤/ ٤٢٨(غ ض ب)
(٤) السابق ١/ ١٠٣(أ س ف)
(٥) مختار الصحاح ص١٨(أ س ف)

الغضب في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾ [الزخرف الآية : ٥٥] فَإِنَّ مَعْنَاهُ أَغْضَبُونَا.[١] قَالَ الْأَعْشَى:

أَرَى رَجُلًا مِنْهُمْ أَسِيفًا كَأَنَّمَا يَضُمُّ إِلَى كَشْحَيْهِ كَفًّا مُخَضَّبًا

(٢)

فَيُقَالُ: هُوَ الْغَضْبَانُ"[٣] ، جاء في لسان العرب " الأَسَفُ: المُبالغةُ فِي الحُزْنِ والغَضَبِ ...الأَسف عِنْدَ الْعَرَبِ الْحُزْنُ، وَقِيلَ أَشدُّ الْحُزْنِ" [٤] ، بل إن بعض العلماء ذهب إلى أن دلالتهما واحدة . جاء في المنتخب من غريب كلام العرب : " بَابُ إِعَادَةِ المَعْنَى إِذاَ اخْتَلَفَ اللَّفْظَانِ ، من ذلك ...قوله : ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا ۚ ﴾ "[٥]

لكن الحقيقة أن الأسف وإن كان يستخدم للدلالة على الغضب عند الانفراد لكن عند الاقتران يكون له دلالة مختلفة عن الغضب، وأهم هذه الدلالات دلالاتان :

---

(١) تفسير مجاهد ص ٥٤٩ ، تفسير مقاتل ٣ / ٧٩٨ ، تفسير الثوري ص ٢٧٢ ، تفسير يحيى بن سلام ١/ ١٧٢ ، تفسير عبد الرزاق ٣/ ١٧٠ ، جامع البيان ١٠/ ٤٥٠ ، أفراد كلمات القرآن العزيز ، لأحمد بن فارس اللغوي ص ٩

(٢) البيت من (الطويل) في ديوانه ص ١٦٥، جمهرة اللغة ١/ ٢٩١(ب خ ط) ، المقاييس ١/ ١٠٣(أ س ف)، لسان العرب ١/ ٣٥٧ (خ ض ب)، ٩/ ٥ (أ س ف) ٩/ ٣٠٢

(٣) المقاييس ١/ ١٠٣(أ س ف)

(٤) لسان العرب ٩/ ٥(أ س ف)

(٥) المنتخب ١/ ٦٢٢

الدلالة الأولى : أن الأسف " شِدَّةُ الْغَضَبِ" [١] ، " وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ لَا يَلْزَمُ التَّكْرَارُ لِأَنَّ قَوْلَهُ: غَضْبَانَ يُفِيدُ أَصْلَ الْغَضَبِ ، وَقَوْلَهُ: أَسِفًا يُفِيدُ كَمَالَهُ " [٢] ، فالغضب أول درجات الأسف ، بينما الأسف شدة الغضب.

الدلالة الثانية : أن " الْأَسَفَ، الْحُزْنُ وَالْغَضَبُ مَعًا، وَقَدْ يُقَالُ لِكُلٍّ مِنْهُمَا عَلَى الِانْفِرَادِ " [٣] ، قال الزمخشري : " والأسف: المبالغة في الحزن والغضب " [٤] ، وقال ابن عطية : " الأسف فرط الحزن والغضب " [٥] ، وقد أكد ابن فارس ذلك حيث ذهب إلى أن كل ما ورد من الأسف في القرآن الكريم فهو بمعنى الحُزْنُ والغضب [٦] ، يقال : " أَسِفَ عَلَى مَا فاتَه وتأَسَّفَ وتأَسَّفَ أَي تَلَهَّفَ، وأَسِفَ عَلَيْهِ أَسَفاً أَي غَضِبَ، وآسَفَه: أَغْضَبَه " [٧]

والحقيقة أن مخرج الغضب والأسف واحد ، لكن يتحقق الأسف مع الحزن إذا جاء الأمر ممن هو أعلى ولم يُطِقْه الإنسانُ أي لم يَقْوَ على رَدِّه ، بينما يكون الأسف مع الغضب إذا جاء الأمر ممن هو أدنى من الإنسان ، قال الخليل : " الأَسَفُ: الحُزْن في حال ، والغضب في حال، فإذا جاءك أمرٌ مِمَّنْ هو دونك فأنت أَسِفٌ، أي: غضبان، وإذا جاءك ممّن فوقك، أو

---

(١) مجاز القرآن ١/ ٢٢٨ ، مفاتيح الغيب ٢٢/ ٨٧ ، اللباب في علوم الكتاب١٣/ ٣٥١

(٢) مفاتيح الغيب ٢٢/ ٨٧

(٣) المفردات في غريب القرآن ص ٧٥ (أ س ف)

(٤) الكشاف ٢/ ٧٠٤ ، لسان العرب ٩/ ٥ (أ س ف)

(٥) المحرر الوجيز ٦/ ٧٥ ، ومحاسن التأويل ٧/ ٦

(٦) أفراد كلمات القرآن العزيز ص ٩

(٧) لسان العرب ٩/ ٥ (أ س ف)

من مثلك فأنت أَسِفٌ، أَي: حَزِين ومتأَسِّف أَيْضا " [١] ، و" سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنِ الْحُزْنِ وَالْغَضَبِ، فَقَالَ: مَخْرَجَهُمَا وَاحِدٌ وَاللَّفْظُ مُخْتَلِفٌ، فَمَنْ نَازَعَ مَنْ يَقْوَى عَلَيْهِ أَظْهَرَ غَيْظًا وَغَضَبًا، وَمَنْ نَازَعَ مَنْ لَا يَقْوَى عَلَيْهِ أَظْهَرَ حُزْنًا وَجَزَعًا " [٢] ، فـ" الأسَى واللَّهَفُ حزْن على الشَّيءِ يَفُوتُ " [٣]

وفسره الرَّاغِبُ بقوله : " حقيقةُ الأَسَفِ: " ثَوَرانُ دَمِ القلبِ شَهْوَةَ الانْتِقَامِ، فَمَتَى كَانَ ذَلِك عَلَى مَن دُونَه انْتَشَر فَصَارَ غَضَباً، وَمَتى كَانَ عَلَى مَن فَوْقَه انْقَبَضَ فصارَ حُزْناً" [٤] ، ولهذا قَالَ الشَّاعِر:

فحُزْنُ كل أَخِي حُزْنٍ أَخو الْغَضَبِ" [٥]

وكذلك قال عن الغضب : " الغَضَبُ: ثوران دم القلب إرادةَ الانتقام"[٦]،

---

(١) العين ٧/ ٣١١ ، تهذيب اللغة ١٣/ ٦٦ (س ف أ) لسان العرب ٩/ ٥ (أ س ف)

(٢) المفردات في غريب القرآن ص ٧٥ ، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)٦/ ٥٨٥ ، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ١/ ٩٠ ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٢/ ١٨٥

(٣) فقه اللغة وسر العربية ص ١٣١ ، الكليات ص ١١٤

(٤) المفردات في غريب القرآن ص ٧٥

(٥) الشطر من (البسيط) ، المفردات ص ٧٥ ، والدر المصون ٥/ ٤٦٦، وبصائر ذوي التمييز ٢/ ١٨٥ ، وأوله: (جزاك ربك بالأحزان مغفرة)، في "شرح ديوان" المتنبي للواحدي ص ٣٠٥

(٦) الحديث في : سنن الترمذي ٤/ ٥٤ ، بَابُ مَا جَاءَ مِمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ ، الناشر: دار الغرب

ولذلك قال عليه السلام:" أَلاَ وَإِنَّ الغَضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، أَمَا رَأَيْتُمْ إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَانْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ، فَمَنْ أَحَسَّ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَلْصَقْ بِالأَرْضِ" (١)

وأرى أن الأسف يطلق للدلالة على الغضب ، لكن لا يطلق الغضب للدلالة على الأسف ؛ لأن الأسف : الغضب الشديد جداً المشتمل على الحزن ، يقول الثعالبي : " الأَسَفُ حُزْن مَعَ غَضَبٍ " (٢) ، ويدل على ذلك : أن الله – سبحانه وتعالى – قدم ذكر الغضب على الأسف ؛ لأن الغضب يؤدي إلى الأسف ، ومما يرجح أن الغضبان قد لا يكون معه حزن ، بخلاف الأسِف فلابد أن يكون معه حزنٌ ، ما روي عَنْ عَائِشَةَ – رضي الله عنها – قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مَوْتِ الْفَجْأَةِ؟ فَقَالَ: " رَاحَةٌ لِلْمُؤْمِنِ، وَأَخْذَةُ أَسَفٍ لِلْفَاجِرِ" (٣) ، وما جاء في تاج العروس :" أَسِفٌ، ككَتِفٍ، أَي أَخْذَةُ سَخَطٍ ، أَو أَخْذَةُ ساخِطٍ ، وذلِك لأَنَّ الغَضْبانَ لَا يَخْلُو مِن حُزْنٍ ولَهَفٍ، فقِيل لَهُ: أَسِفٌ، ثمَّ كَثُرَ حَتَّى اسْتُعْمِل فِي مَوْضِعٍ لَا مَجالَ للحُزْنِ فِيهِ " (٤)

ويؤيد هذا : سياقُ آيات الأسف في القرآن الكريم ؛ حيث ورد لفظ الأسف فيها للدلالة على الحزن ، قال تعالى: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ

---

(١) المفردات في غريب القرآن ص ٦٠٨

(٢) فقه اللغة وسر العربية ص ١٣١، الكليات ص١١٤

(٣) الحديث في : مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤١/ ٤٩١ ، باب مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها.

(٤) تاج العروس ٢٣/ ١٤ (أ س ف) ، ينظر : الكليات ١/١١٤

عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴾ [سورة يوسف: ٨٤] ، فالأسف: الحزن العميق [١] ، والأسف أشد الحزن على ما فات [٢] ، وقوله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [سورة الكهف الآية : ٦] و" الأسف" في هذا الموضع الحزن " [٣] ، والْأَسَفُ الْمُبَالَغَةُ فِي الْحُزْنِ " [٤]

أما عن الحكمة من الجمع بين الأسف والغضب في هذا الموطن فيرجع إلى حال سيدنا موسى – عليه السلام – حيث وصل إلى أعلى درجات الغضب والحزن معا حتى إنه تصرف بقوة وشدة حيث " كَانَ مُوسَى غَضْبَانَ عَلَى قَوْمِهِ لِأَجْلِ عِبَادَتِهِمُ الْعِجْلَ أَسِفًا حَزِينًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَتَنَهُمْ ، وَقَدْ كَانَ تَعَالَى قَالَ لَهُ : ﴿ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴾ [سورة طه من الآية : ٨٥] " [٥] ، والغضب والأسف عملية نفسية فيها حزن ، وسَمَّوْها: " المَوَاجِيد النفسية " ، أي الشيء الذي يجده الإنسان في نفسه، وقد يعبر عن هذه المواجيد بانفعالات نزوعية ، ولذلك تجد فارقاً بين من يحزن ويكبت في نفسه، وبين من يغضب، فمن يغضب تنتفخ أوداجه ويَحْمَرُّ وجهه ويستمر هياجُه، وتَبْرَقُ عيناه بالشر وتندفع يداه، وهذا اسمه: غضبان. وصار موسى إلى الحالتين الاثنتين، وقدّم الغضب ؛ لأنه رسول له منهجه ،

---

(١) تفسير الشعراوي ١٤/ ٨٨٤٠

(٢) روح المعاني ١٣/ ٣٩

(٣) المحرر الوجيز ٣/ ٤٩٦

(٤) مفاتيح الغيب ٢١/ ٤٢٦

(٥) مفاتيح الغيب ٣٧١/٥

ولا يكفي في مثل هذا الأمر الحزن فقط ، بل لابد أن يكون هناك الغضب نتيجة هياج الجوارح...لكنَّ (أسِفٌ) صيغةُ مبالغة، مما يدل على أن الحزن قد اشتد عليه وتمكن منه" [١] ، " وَقَدِ اجْتَمَعَ الِانْفِعَالَانِ فِي نَفْسِ مُوسَى ؛ لِأَنَّهُ يسوؤه وُقُوعُ ذَلِكَ فِي أُمَّتِهِ وَهُوَ لَا يَخَافُهُمْ، فَانْفِعَالُهُ الْمُتَعَلِّقُ بِحَالِهِمْ غَضَبٌ ، وَهُوَ أَيْضًا يَحْزُنُهُ وُقُوعُ ذَلِكَ وَهُوَ فِي مُنَاجَاةِ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي كَانَ يَأْمُلُ أَنْ تَكُونَ سَبَبَ رِضَى اللَّهِ عَنْ قَوْمِهِ فَإِذَا بِهِمْ أَتَوْا بِمَا لَا يُرْضِي اللَّهَ فَقَدِ انْكَسَرَ خاطره بَين يَدَيْ رَبِّهِ" [٢]

٥- (فِجَاجًا – سُبُلًا)

من مواطن الاقتران بين المتشابهين دلالياً قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [سورة الأنبياء الآية : ٣١] ، وقوله سبحانه : ﴿ لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ [سورة نوح الآية : ٢٠]

الفَجُّ في اللغة :" الطَّريق الواسِعُ في قُبُل جَبَلٍ ونحوِهِ " [٣]، " وَهُوَ أوسع من الشّعب، وَقَالَ ثَعْلَب: هُوَ مَا انخفض من الطّرق" [٤] ، وقيل: " الطريقُ الواسعُ بَين الجَبَلَيْنِ، وجمعُهُ: فِجَاجٌ ... وكُلُّ طريقٍ بعُدَ فَهُوَ فَجٌّ ، والفَجُّ فِي

---

(١) تفسير الشعراوي ٧/ ٤٣٦٣ ، ٤٣٦٤

(٢) التحرير والتنوير ١٦/ ٢٨٢

(٣) العين ٦/ ٢٤ (ج ف)

(٤) المحكم والمحيط الأعظم ٧/ ٢٢٢(ج ف)

كَلَام العَرَب: تَفْرِيجُكَ بَين الشَّيْئَيْنِ" [١]، وقال الراغب : " الفَجُّ: شُقَّةٌ يكتنفها جبلان، ويستعمل في الطّريق الواسع " [٢]

والسَّبِيلُ : الطَّرِيقُ، وَمَا وَضَحَ مِنْهُ ، أي الطريق الَّذِي فِيهِ سُهُولَةٌ [٣]، " ويستعمل السَّبِيلُ لكلّ ما يُتوصّل به إلى شيء ، خيرا كان أو شرّا " [٤] ، فـ: السبيل معناه الطريق ، لامتداده متميزًا بين ما حوله من أرض مُوَصِّلًا إلى مكان آخر، وهو بهذا المعنى في كل القرآن، وإنما يختلف المراد به بحسب السياق[٥]

من خلال ما ذهب إليه أهل اللغة ، يتضح أن (الفج والسبيل) يشتركان في معنى مِحْوَرِيّ عام هو (الطريق) ، لكن يفترقان في أن (الفج) طريق خاص بالجبال ، أما السبيل فيشمل كل الطرق ، وإن كان الأكثر أنه يطلق على الطرق خارجَ الجبال .فـ (الفج) طريق خاص بالجبال ، يقع بين جبلين ، ومن خواصه أنه طريق فيه صعوبة وبُعد، بخلاف السبيل الواضح الظاهر، ويؤكد هذا الفرقَ أن الحق – سبحانه وتعالى – أضافه إلى رسوله ﷺ ، وجعله طريقًا ظاهرًا وواضحًا فقال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة يوسف الآية : ١٠٨]

---

(١) تهذيب اللغة ٢٧١/١٠ (ج ف)

(٢) المفردات في غريب القرآن ص ٦٢٥(ف ج ج)

(٣) المفردات في غريب القرآن ص ٣٩٥ ، تاج العروس ٢٩/ ١٦١(س ب ل)

(٤) المفردات في غريب القرآن ص ٣٩٥ (س ب ل)

(٥) المعجم الاشتقاقي ٩٥٣/٢ (س ب ل) (بتصرف يسير)

وأيضا حين نهاهم عن اتباع المناهج المُهْلِكة ، استعمل لفظ السُّبُل ، ليبين لهم أن هذه السبل واضحٌ فيها الخطأ ، والبعد عن الحق ؛ لأن منهج الحق واضح لا لبس فيه ولا غموض ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [سورة الأنعام الآية : ١٥٣] ، وقد ورد اقتران (فِجَاجا سُبُلا) في القرآن الكريم مرتين ، قدمت الفجاج على السبل مرة في سورة الأنبياء ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا ﴾ ، وقدمت السبل مرة على الفجاج في سورة نوح ﴿ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾

أما عن الغرض الدلالي في ذكر اللفظين عقب بعضهما البعضِ ، وعدمِ الاقتصار على أحدهما فأرى – والله أعلم – أن الله – عز وجل – جاء باللفظين ، ليجمع كل الطرق ؛ لأن سياق الآيتين هو : بيان قدرة الله ونِعَمِه على الإنسان في تذليله الأرضَ وإيداعه فيها الإمكانيات التي تُمَكِّن الإنسانَ من العيش عليها ، فناسب ذلك بيانَ الطرق العامة والخاصة التي قد لا تتبادر إلى ذهن المتلقي حيث يتبادر إلى ذهن القارئ الطريقُ داخل أماكن السكن والإقامة ، فنبه سبحانه وتعالى إلى أن هناك طرقًا أخرى تستحق النظر والشكرَ من الإنسانِ ، وهي الطرق بين الجبال ، فهي دليل على عظمة الخالق ، كما أنها ذو أهمية كبيرة للإنسان.

وأما عن السر الدلالي في عدم الاقتصار على الفجاج فقط ، لكونها تدل على قدرة الخالق في شق هذا الوُسْعِ بين جبلين ، فلأن الفجاج لكونها صعبة وعرة بين جبال قد يَظن البعضُ أنها غير ممهدة للسير أو للاستخدام ، فأشار سبحانه وتعالى إلى أنها مع كونها فجاجًا إلا أنه عز وجل ذللها

وجعلها سبلا وطرقا سهلة ميسرة يستطيع الناس من خلالها الوصول إلى الأماكن البعيدة بيسر وسهولة.

أما عن السبب الدلالي في تقديم لفظ فجاج في الآية الأولى، وتأخيرِه في الآية الثانية فيرجع إلى مناسبة السياق.

فحينما كان الحديث عن قدرة الله – سبحانه وتعالى – على خلق السماوات والأرض والجبال وما تحويه من عجائِب خلقِه : قدَّم سبحانه وتعالى الفجاج ؛ لأن الطرق بين الجبال ظاهر فيها القدرة ، لأنها بين جبلين عظيمين فالقادر على فج هذه الطرق قادر على كل شيء ، ومن ثم ختم الله سبحانه وتعالى الآية بأنه سبحانه فعل ذلك للناس لعلهم يهتدون إلى الله ، وإلى ما يريدون من الأماكن، لأن " الجبال لو كانت كتلة تملأ وجه الأرض ما صَلُحَتْ لحياة البشر وحركتهم فيها" [1] ، وأيضاً فإن سياق الآيات لبيان دلائل قدرته في خلق السماوات والأرض ، فقدم سبحانه وتعالى الفجاج ؛ لأنها أغلب أرضهم ، فأغلب أرض الحجاز خاصَةً مكةَ المكرمةَ جبالٌ ، فناسب المقام تقديم الفجاج على السبل ، أيضا قدم سبحانه وتعالى الفجاج ، لتناسب الجبال ؛ لأنها آخر مذكور ، ولذلك ذهب البعض إلى ان الضمير في " فيها رواسيَ " يُحتمل أن يعود على الجبال ، يقول الرازي " فِي قَوْلِهِ: فِيها قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا : أَنَّهَا عَائِدَةٌ إِلَى الْجِبَالِ، أَيْ وَجَعَلْنَا فِي الْجِبَالِ الَّتِي هِيَ رَوَاسِي فِجَاجًا سُبُلًا، أَيْ طُرُقًا وَاسِعَةً ، وَهُوَ قَوْلُ مُقَاتِلٍ وَالضَّحَّاكِ وَرِوَايَةُ عَطَاءٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ كَانَتِ الْجِبَالُ مُنْضَمَّةً فَلَمَّا أَغْرَقَ

([1]) تفسير الشعراوي ٩٥٢٧/١٥، ٩٥٢٨

اللَّه قَوْمَ نُوحٍ فَرَّقَهَا فِجَاجًا وَجَعَلَ فِيهَا طُرُقًا. الثَّانِي: أَنَّهَا عَائِدَةٌ إِلَى الْأَرْضِ، أَيْ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ فِجَاجًا وَهِيَ الْمَسَالِكُ وَالطُّرُقُ وَهُوَ قَوْلُ الْكَلْبِيِّ". (١)

أما سياق الآية الأخرى فالحديث عن قدرة الله – سبحانه وتعالى– على بسط الأرض لعباده ، ليتمكنوا من العيش والتنقل فيها بسهولة ويسر، فناسب ذلك تقديم السبل الميسرة السلسة السهلة الحركة على الفجاج الصعبة الوعْرة ، وهذا يدل على قيمة كل حرف في كتاب الله تعالى وأن تقديم الكلمة مرة وتأخيرها أخرى ، إنما هو أمر مقصود للدلالة على شيء معين ، فالدلالة التي تبرزها (فجاجًا سبلًا) غيرُ تلك الدلالة التي تبينها (سبلًا فجاجًا) ، وقد وضح الرازي : " الْفَرْقُ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى : أَنَّ قَوْلَهُ سُبُلًا فِجَاجًا، إِعْلَامٌ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ فِيهَا طُرُقًا وَاسِعَةً، وَأَمَّا قَوْلُهُ: فِجاجاً سُبُلًا فَهُوَ إِعْلَامٌ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ حِينَ خَلَقَهَا جَعَلَهَا عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ، فَهَذِهِ الْآيَةُ بَيَانٌ لِمَا أُبْهِمَ فِي الْآيَةِ الْأُولَى" (٢) ، " فلما تقدم في آية الأنبياء ذِكْرُ الرواسي وهي الجبال قَدَّم الفجاجَ لذلك ، بخلاف آية نوح فإنه لم يرد فيها ذكر للجبال فأخرها، فوضع كل لفظة في الموضع الذي

تقتضيه " (٣)

وأما عن الاقتصار على لفظ (فج) فقط دون (سبيل) في قوله تعالى الآية :

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٢/ ١٣٩

(٢) مفاتيح الغيب ٢٢/ ١٣٩

(٣) لمسات بيانية ص ٤٩٠ ، أسرار البيان في التعبير القرآني ص ٣٩ ، ينظر : ري الظَّمآن في بَيَانِ القُرآن ص ٥٥

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحج: ٢٧] فلأن كلمة (فج) دلت على معنى (السبيل) عن طريق الأولى ، أي أن الله –عز وجل– أمر سيدنا إبراهيم بأن يؤذن في الناس بالحج وأخبره بأنهم سوف يأتونه من كل (فج عميق) أي من كل مكان بعيدٍ وَعِرٍ صَعْبٍ ، وبالتالي : يشمل الذي يسلكون الطرق المعتادة من باب أولى ، ولأن سيدنا إبراهيم كما ورد في الحديث قال : يا رب وما يَبْلُغ صوتي ؟ أي أن صوتي إن وصل للقريب فالبعيد هل سيصله صوتي ويستجيب ، ويؤكد ذلك ما رواه عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِذَا كَانَ يَوْمُ عَرَفَةَ فإِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ فَيُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْثًا غُبْرًا، ضَاحِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ"[1]

ويدل على أن الفج يستعمل للدلالة على الطريق الصعب البعيد ، والطريق الوعر الذي يُتَحَمَّل فيه الصعابُ قوله تعالى : (فَجٍّ عَمِيقٍ) ، حيث استعملها سبحانه للدلالة على استجابة جميع الخلق لنداء سيدنا إبراهيم، أما (السبيل) فهو الطريق الواضح الذي لا لَبْسَ فيه ولا غموض ، ولذلك أضافه الحق سبحانه وتعالى إلى نفسه فقال تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [سورة البقرة الآية : ١٩٠]

([1]) الحديث في : صحيح ابن خزيمة ٢/ ١٣٣٨ ، كتاب الحج ، بَابُ تَبَاهِي اللَّهِ أَهْلَ السَّمَاءِ بِأَهْلِ عَرَفَاتٍ ، حديث رقم (٢٨٤٠)

وأضافه إلى الرسول ﷺ في القرآن ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة يوسف الآية : ١٠٨]

٦- (فَظًّا – غَليظاً)

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ [سورة آل عمران من الآية : ١٥٩]

صفة الرحمة صفة أصيلة في شخصية المصطفى – صلى الله عليه وسلم – وطبيعته ، وصدق الله حين قال : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء الآية : ١٠٧] ، ولخصوصية المصطفى ﷺ استعمل القرآن الكريم في نفى صفة الشدة والعنف عنه مفردة من مفاريد القرآن الكريم وهي (فظاً) حيث لم ترد في القرآن الكريم إلا مع الرسول – صلى الله عليه وسلم – ولم يكتف القرآن بذلك بل قرن معها مفردة أخرى متشابه معها دلاليًا هي (غليظ)، ولا شك أن هذا الاقتران يحمل دلالات خاصة ، وبالرجوع إلى مؤلفات اللغويين للوقوف على هذه الدلالات اتضح أن بين الفظاظة والغلظة تشابهًا دلاليًا كبيرًا لأنَّ : " الفَظُّ : الغليظُ الجانِبِ، السَّيِّئُ الخُلُقِ " [١]، " القاسِي الخَشِنُ الكلامِ" [٢] ، وقيل : الفظّ :

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ١/ ٤٨٣ ، الوسيط في تفسير القرآن المجيد ١/ ٥١٢ ، القاموس المحيط ص ٦٩٧ (ف ظ ظ)

(٢) القاموس المحيط ص ٦٩٧ (ف ظ ظ)

الغليظُ الطبعِ المتجهّم ، ويقال: أفظّه الله ، أي: جعله فظّا لا يحبّ أحد قُربَه [١] ، يقول ابن فارس :" فَظَّ : الْفَاءُ وَالظَّاءُ كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى كَرَاهَةٍ وَتَكَرُّهٍ... قَالَ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ: إِنَّ الْفَظَاظَةَ مِنْ هَذَا. يُقَالُ رَجُلٌ فَظٌّ: كَرِيهُ الْخُلُقِ" [٢] ، والغلظة: الشّدّة " [٣] ، قال الراغب : " الغِلْظَةُ ضدّ الرّقّة، ويقال: غِلْظَةٌ وغُلْظَةٌ، وأصله أن يستعمل في الأجسام، لكن قد يستعار للمعاني " [٤].

والفظاظة وإن كانت تتفق مع الغِلظة في المعنى العام فإن هناك فرقا بينهما ، ذكره الرازي بقوله : " فَإِنْ قِيلَ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْفَظِّ وَبَيْنَ غَلِيظِ الْقَلْبِ؟ قُلْنَا: الْفَظُّ الَّذِي يَكُونُ سَيِّءَ الْخُلُقِ، وَغَلِيظُ الْقَلْبِ هُوَ الَّذِي لَا يَتَأَثَّرُ قَلْبُهُ عَنْ شَيْءٍ، فَقَدْ لَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ سَيِّءَ الْخُلُقِ وَلَا يُؤْذِي أَحَدًا ، وَلَكِنَّهُ لَا يَرِقُّ لَهُمْ وَلَا يَرْحَمُهُمْ . فَظَهَرَ الْفَرْقُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ" [٥]، وقيل : " وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا أي خشن الجانب شرس الأخلاق جافيا في المعاشرة قولا وفعلا غَلِيظَ الْقَلْبِ أي قاسيه " [٦] ، وقال الكلبي: فَظًّا في الأقوال غَلِيظَ الْقَلْبِ في الأفعال " [٧] ، " وذكر بعضهم أن الفظ سيئ الخلق في الأمور الظاهرة من

---

(١) الفرق بين الضاد والظاء للداني ص ٨٥ ، معرفة الفرق بين الضاد والظاء ، بابن الصابُوني ص١٨

(٢) المقاييس ٤/ ٤٤١ ، ينظر: المفردات ص ٦٤٠(ف ظ ظ)

(٣) الفرق بين الضاد والظاء للداني ص ٧٦

(٤) المفردات ص ٦١٢ (غ ل ظ)

(٥) مفاتيح الغيب ٩/ ٤٠٧

(٦) روح المعاني ٢/ ٢١٨

(٧) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ١/ ٥١٢ ، روح المعاني ٢/ ٢١٨ ،

الأقوال والأفعال، وغَلِيظَ الْقَلْبِ السيئ في الأمور الباطنة ، والثاني سبب للأول ، وَقَدَّمَ المُسَبَّبِ لظهورِه ؛ إذ هو الذي يُطَّلع عليه " [1]

وأرى – والله أعلم – أن الفظاظة قد تكون صفة أصيلة رئيسة في الشخص ، أي أنها طبيعته في وقت الرضا والغضب ، فهي صفة دائمة وليست صفة عارضة ، وذلك عندما يكون القلب غليظاً ، أي أن غلظة القلب تؤدي إلى الفظاظة الدائمة في الأقوال والأفعال ، وقد تكون الفظاظة صفة عابرة طارئة ليست أصيلة ، ولكن في وقت الغضب والعصبية يكون الإنسان فظًا على غير طبيعته ومنهجه، أي أن الفظاظة تكون نتيجة موقف عصبي ، ومن ثم يتصرف الإنسان بقوة أو انفعال في هذا الموقف ، في حين أنه في غير هذا الموقف العابر أبعد ما يكون عن الفظاظة ، والنبي ﷺ ليس فظًا في الرضا ، وكذلك ليس فظًا في الغضب ، وهذه خصوصية للنبي ﷺ ، والدليل على ذلك : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأُرِيدُ حِفْظَهُ ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ عَنْ ذَلِكَ ، قَالُوا: تَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَكَلَّمُ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ ، قَالَ: فَأَمْسَكْتُ ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ ، فَقَالَ: " اكْتُبْ ، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ : مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ " [2] ، ويؤيد هذا سياق الآية حيث بيَّن الحق – سبحانه وتعالى – أن الرحمة التي أَوْدَعَها في قلب حبيبه ﷺ جعلته ليناً ، وكذلك عدم غلظة قلبه أبعدت عنه الفظاظة ، فـ" كَمَالَ رَحْمَةِ

([1]) روح المعاني ٢/ ٢١٨

([2]) الحديث في : مصنف ابن أبي شَيْبَةَ ٣١٣/٥ ، حديث رقم (٢٦٤٢٨) ، باب مَنْ رَخَّصَ فِي كِتَابِ الْعِلْمِ

اللَّهِ فِي حَقِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ عَرَّفَهُ مَفَاسِدَ الْفَظَاظَةِ وَالْغِلْظَةِ " (١)

وأيضاً : فإن الرحمة تؤدي إلى اللين ، كذلك الغلظة تؤدي إلى الفظاظة، فالرحمة لمقابلة الغلظة ، واللين لمقابلة الفظاظة ، ويدل على ذلك أنه " قيل لماء الكَرِشِ فظ ، لِغِلَظِه وخُبثه ، ومنه يقال للرجل القاسي القلب فظ " (٢) ، وقد بين الشيخ الشعراوي معنى الفَظِّ بقوله : و" الفظُّ" هو: ماء الكَرِشِ ، والإبل عندما تجد ماءً فهي تشرب ما يكفيها مدة طويلة، ثم بعد ذلك عندما لا تجد ماء فهي تجترّ من الماء المخزون في كرشها وتشرب منه، في موقعة من المواقع لم يجدوا ماء فذبحوا الإبل وأخذوا الماء من كرشها، الماء من كرش الإبل يكون غير مستساغ الطعم " (٣)

" وكأن الحق يقول له: " فبالرحمة المُودعة من خالقك فيك والتي تُناسب مَهمتك في الأمة لِنْت لهم، وما دامت تلك طبيعتَك : فَلِنْ لهم في هذا الأمر واعفُ عنهم واستغفر لهم. (٤) ، "والغلظ في القلب هو ما ينشأ عنه الخشونة في الألفاظ " (٥)

---

(١) مفاتيح الغيب ٩/ ٤٠٧

(٢) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ص ٢٠ ، ينظر : معاني القرآن وإعرابه ١/ ٤٨٣

(٣) تفسير الشعراوي ٣/ ١٨٣٨

(٤) تفسير الشعراوي ٣/ ١٨٣٦

(٥) تفسير الشعراوي ٣/ ١٨٣٨

ومما يؤكد أن الغلظة ليست صفة أصيلة في قلب الرسول ﷺ أن الله أمره بالغلظة مع الكافرين فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ [سورة التحريم من الآية : ٩]

٧- (قَاعًا -صَفْصَفًا)

قال تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴾ [سورة طه الآيتان :١٠٥ ، ١٠٦]

من الألفاظ قليلة الورود في القرآن الكريم لفظ (القاع) حيث وردت هذه المادة مرتين فقط في القرآن الكريم [١] ، وإذا انضم إليها مفردة أخرى من فرائد القرآن الكريم لم تأت إلا مرة واحدة ، وهي لفظ (صفصفا) : فإن ذلك لحكمة دلالية ، ونتيجة لقلة استعمال لفظي (القاع والصفصف)، ولتشابه دلالاتهما اختلف اللغويون والمفسرون فيهما: فقيل : " القاع والصفصف بمعنى واحد وهو المستوِي الذي لا نبات فيه" [٢] ، وجاء في الصحاح : " القاعُ: المستوِي من الأرض" [٣] ، و" الصَفْصَف الْمُسْتَوِي مِنَ الأَرض [٤]،

---

(١) قال تعالى:﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴾ [سورة طه الآية : ١٠٦] ،وقال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ ﴾ [سورة النور من الآية : ٣٩]

(٢) روح المعاني ٥٧٢/٨

(٣) الصحاح ٣ / ١٢٧٤ (ق و ع)

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٣٧٧ ، الصحاح ٤/ ١٣٨٧، لسان العرب ٩/ ١٩٦، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٣/ ٤١٩، ٤٢٠ (ص ف ف)

أما ابن عباس فقال : " قَاعاً : مستويةً ، صَفْصَفاً : أملسَ لَا نَبَات فِيهَا"[١] ، وقيل: الْقَاعُ الْأَمْلَسُ ، وَالصَّفْصَفُ الْمُسْتَوِي [٢]

بينما ذهب الْأَصْمَعِي إلى أن القاع : الْمَكَان المستوي لَيْسَ فِيهِ ارْتِفَاع وَلَا انخفاض " [٣]

في حين ذهب ابن فارس إلى أن " أصل القاع: الأرض الملساء" ، جاء في المقاييس: " قَوَعَ : الْقَافُ وَالْوَاوُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى تَبَسُّطٍ فِي مَكَانٍ ، مِنْ ذَلِكَ : الْقَاعُ: الْأَرْضُ الْمَلْسَاءُ. " [٤] "وأرضٌ صَفْصَفٌ مَلْساءُ مستَوِيَة " [٥] ، " وقاع صفصف: أملس" [٦]، وقال الفراء : " والصفصف الأملس الَّذِي الَّذِي لا نبات فيه"[٧]

يقول الطبري : " يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : فَيَدَعُ أَمَاكِنَهَا مِنَ الْأَرْضِ إِذَا نَسَفَهَا نَسْفًا، قَاعًا: يَعْنِي: أَرْضًا مَلْسَاءَ، صَفْصَفًا: يَعْنِي مُسْتَوِيًا لَا نَبَاتَ فِيهِ، وَلَا نَشَزَ، وَلَا ارْتِفَاعَ ... قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِلُغَاتِ الْعَرَبِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ يَقُولُ: الْقَاعُ : مُسْتَنْقَعُ الْمَاءِ، وَالصَّفْصَفُ: الَّذِي لَا نَبَاتَ

---

(١) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص٢٦٦

(٢) الإتقان ٢/ ٧١، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ص ٣٣١

(٣) غريب الحديث لابن سلام ٥٧/٢

(٤) مجمل اللغة ١/ ٧٣٨ ، مقاييس اللغة ٥/ ٤٢ ، (ق و ع)

(٥) المحكم ٢٧٣/٨ ، المخصص ١١٣/٥ ، لسان العرب ١٩٦/٩ (ص ف ف)

(٦) أساس البلاغة ١/ ٥٥٠(ص ف ف)

(٧) معاني القرآن ٢/ ١٩١ ، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب ص ٢٠١

فِيهِ"[١] ، " وَمعنى (فَيَذَرُها قَاعًا صَفْصَفاً) : أَنَّهَا تَنْدَكُّ فِي مَوَاضِعِهَا وَتُسَوَّى مَعَ الْأَرْضِ حَتَّى تَصِيرَ فِي مُسْتَوَى أَرْضِهَا، وَذَلِكَ يَحْصُلُ بِزِلْزَالٍ أَوْ نَحْوِهُ "[٢]

ومع اختلاف اللغويين والمفسرين في دلالة اللفظين فإنهم متفقون على أن اللفظين لابد منهما ، لأن الدلالة المرادة لا تتحقق إلا بهذيْن اللفظين ، وأن السياق يستدعيهما ؛ لأن القرآن الكريم يتكلم عن الجبال وكيف أن الله ينسفها نسفا كأنها لم تكن موجودة من قبل ، وقد يتبادر إلى الذهن أن إزالتها انهدامُها ووقوعها على الأرض كالإزالة في الدنيا ، فبين سبحانه وتعالى أنها ستُنْسَف ، ويظل مكانها مستويا أملسَ غير مائل ولا منخفض ، أي تصير أرْضا "سَهْلَة مُطْمَئِنَّة واسِعَة ، مُسْتَوِيَة ، حَرَّة، لَا حُزُونَةَ فِيهَا وَلَا ارْتِفاعَ وَلَا انْهباطَ ، قد انْفَرَجَتْ عَنْها الجبَالُ والآكامُ، وَلَا حَصَى فِيها وَلَا حِجَارَةَ، وَلَا تُنْبِتُ الشَّجَرَ وَمَا حَوَالَيْهَا أَرْفَعُ منهَا، وَهُوَ مَصَبُّ المِيَاهِ، وقِيلَ: هُوَ مَنْقَعُ الماءِ فِي حُرِّ الطِّينِ، وقِيلَ: هُوَ مَا اسْتَوى من الأَرْضِ وصَلُبَ، ولَمْ يَكُنْ فيهِ نَبَاتٌ "[٣] ، ولا يمكن فهم هذه الدلالة إلا باللفظين معاً.

---

(١) جامع البيان ١٦/ ١٦٢، ١٦٣

(٢) التحرير والتنوير ٣٠٧/١٦

(٣) تاج العروس ٢٢/ ١٠٣(ق و ع)

٨- (هَمَزَةٌ – لُمَزَةٌ)

قال تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [سورة الهمزة الآية:١]

من الصفات المذمومة في القرآن الكريم (الهمز واللمز)، وقد وردت مادة (هـ م ز) في القرآن الكريم منفردةً مرتين [١]، ووردت مادة (ل م ز) منفردة ثلاثَ مرات [٢]، ومرة مقترنة مع (هَمَزَ) ، وهما من الألفاظ المتشابهة دلاليًا تشابهًا قويًا ، لكن وردا معًا مقترنين في آية واحدة عقب بعضهما البعض ، ولا شك أن هذا الاقتران أضاف دلالة زائدة عن انفراد إحدهما دون الأخرى ، وللوقوف على تلك الدلالة أقول:

اتفق اللغويون والمفسرون على التشابه الدلالي الكبير الموجود بين اللفظين ؛ حيث إنهما يستعملان في الدلالة على الرجل العَيَّاب الذي يَعِيب الناس ويغتابهم ويذكرهم بالسوء والعيب بقوله وفعله في حضرتهم وغَيْبَتهم فـ " الُّلمَزَة : العيَّاب ، وهي صيغة مبالغة زيدت التاء فيها لزيادة

---

(١) قال تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [سورة المؤمنون الآية : ٩٧] ، وقال سبحانه : ﴿ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ﴾ [سورة القلم الآية : ١١]

(٢) قال تعالى : ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [سورة التوبة من الآية : ٥٨] ، ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [سورة التوبة من الآية : ٧٩] ، وقال عز اسمه : ﴿ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِ ﴾ [سورة الحجرات من الآية: ١١]

المبالغة " [١]، جاء في المقاييس : " الْهَمَّازُ: الْعَيَّابُ، وَكَذَا الْهُمَزَةُ " [٢] ، يقال " همزه يهمزه همزًا : ضغطه وتحامل عليه كأنه يَعْصِره ... يقال : همز الإنسانَ : عابه ، ويخصه بعضهم بأن يعيبه في غَيْبَته ، وهو من المعنى السابق كأن العائب يضغط المعيب وينال منه " [٣] ، و" لَمَزَ: اللَّامُ وَالْمِيمُ وَالزَّاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ اللَّمْزُ، وَهُوَ الْعَيْبُ. يُقَالُ لَمَزَ يَلْمِزُ لَمْزًا. وَرَجُلٌ لَمَّازٌ وَلُمَزَةٌ، أَيْ عَيَّابٌ " [٤] ، وفي اللسان : " والهَمْزُ مِثْلُ اللَّمْزِ " [٥] ، وقال الزجاج : " يُقالُ لَمَزْتُ الرجُلَ أَلْمِزُهُ بكسر الميم، وأَلْمُزُه بِضَم الميم إِذَ عِبْتُهُ، وكذلك هَمزْتُه أهمزُه إذا عِبْتُه ... اللُّمَزة الكثير العيْب للناس " [٦] ، " والهُمَزَةُ اللُّمَزَةُ : الذي يغتاب النَّاسَ ويَغُضُّهم " [٧]، قال الشاعر:

إذا لَقِيتُكَ عَنْ كُرْهٍ تُكَاشِرُني وإن تَغَيَّبْتُ كُنْتَ الهَامِزَ اللُّمَزَهْ [٨]

وقال الطبري : " يُقَالُ: لَمَزَ فُلَانًا يَلْمِزُهُ ، وَيَلْمُزُهُ: إِذَا عَابَهُ وَقَرَصَهُ، وَكَذَلِكَ هَمَزَهُ ، وَمِنْهُ قِيلَ: فُلَانٌ هُمَزَةٌ لُمَزَةٌ " [٩] ، بل ذهب البعض إلى أنهما

---

(١) مخطوطة الجمل ٤/ ١٩١(ل م ز)

(٢) مقاييس اللغة ٦/ ٦٥، ٦٦ (هـ م ز)

(٣) مخطوطة الجمل ٥/ ١٦٦(هـ م ز)

(٤) مقاييس اللغة ٥/ ٢٠٩ (ل م ز)

(٥) لسان العرب ٥/ ٤٢٦(هـ م ز)

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٤٥٥

(٧) السابق ، ٥/ ٣٦١

(٨) البيت من (البسيط) ، وهو لزياد الأعجم في ديوانه ص ٧٨ ، مجاز القرآن ١/ ٢٦٣ ، لسان العرب ٥/ ٤٢٦ (هـ م ز)

(٩) جامع البيان ١١/ ٥٠٥

بمعنى واحد : فـ " هُمُ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ الْبَاغُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَيْبَ، وَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ وَهُوَ الْعَيَّابُ" [١] ، فـ" الهمزة العياب الطَّعّان ، واللمزة مثلُه" [٢] و" الهمز واللّمز غايتهما واحدة ، وهى الحطّ من أقدار الناس، ومحاولة إنزالهم منازل الدّون في الحياة... وإن كان الهمز بأسلوب العلانية ، واللمز بأسلوب السرّ والخفاء... ومَنْ كان مِنْ شأنه الهمز كان من شأنه اللمز كذلك ، والعكس صحيح. إذ هما ينبعان من طبيعة واحدة " [٣]، و" قيل قيل هما بمعنى" [٤]

فهذا التقارب الدلالي الكبير جعل أهل اللغة والتفسير يختلفون اختلافًا كبيرا في التفريق بينهما ، فقيل بينهما فرق . قال ابن عباس : " (هُمَزَةٍ) مغتاب للنَّاس من خَلفهم (لُّمَزَةٍ) طعان لعان فحاش فِي وُجُوههم " [٥] ، وقيل : " الهمزة : الذي يعكس بظهر الغيب ، واللمزة : الذي يعكس في وجهك ، وقيل: الهمزة: الذي يؤذي جليسه بسوء لفظه ، واللمزة: الذي يَكْثُرُ عيبُه على جليسه، ويشير برأسه، ويومئ بعينه " [٦] ، وجاء في اللسان : " والهَمَّاز والهُمَزَة : الَّذِي يَخْلُف الناسَ مِنْ وَرَائِهِمْ ويأْكل لُحُومَهُمْ ، وَهُوَ مِثْلُ العُيَبَةِ ، يَكُونُ ذَلِكَ بالشِّدْقِ وَالْعَيْنِ والرأْس... الهَمَّازُ والهُمَزَة : الَّذِي يَهْمِزُ أَخاه فِي قَفَاهُ مِنْ خَلْفِه، واللَّمْزُ فِي الِاسْتِقْبَالِ...الهُمَّازُ العَيَّابُونَ فِي الْغَيْبِ ،

---

(١) معالم التنزيل ٥/ ٣٠٣

(٢) نظم الدرر ٢٢/ ٢٤٤

(٣) التفسير القرآني للقرآن ١٦ / ١٦٧١

(٤) الفروق اللغوية ص ٥٥٩

(٥) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ص ٥١٩

(٦) الفروق اللغوية ص ٥٥٩

واللُّمَّازُ الْمُغْتَابُونَ بِالْحَضْرَةِ " [١] و" يقال: الهمز الإشارة بالرأس والجَفْن وغيره ، واللّمز باللسان ، ويقال: الهُمَزَةُ الذي يقول ما في الإنسان، واللّمزة الذي يقول ما ليس فيه" [٢] ، وقد جمع البَغَوي معظم هذه الفروق بين الْهُمَزَةُ واللمزة فقال : " قَالَ مُقَاتِلٌ: الْهُمَزَةُ الَّذِي يَعِيبُكَ فِي الغيب ، واللمزة الَّذِي يَعِيبُكَ فِي الْوَجْهِ ، وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ وَالْحَسَنُ بِضِدِّهِ ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَقَتَادَةُ: الْهَمْزَةُ الَّذِي يَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ وَيَغْتَابُهُمْ ، واللمزة الطَّعَّانُ عَلَيْهِمْ ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْهُمَزَةُ الَّذِي يَهْمِزُ النَّاسَ بِيَدِهِ ويضربهم ، واللمزة الَّذِي يَلْمِزُهُمْ بِلِسَانِهِ وَيَعِيبُهُمْ ، وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: وَيَهْمِزُ بِلِسَانِهِ ، وَيَلْمِزُ بعينيه ، وَمِثْلُهُ قَالَ ابْنُ كَيْسَانَ : الْهُمَزَةُ الَّذِي يُؤْذِي جَلِيسَهُ بِسُوءِ اللَّفْظِ ، واللمزة الَّذِي يُومِضُ بِعَيْنِهِ وَيُشِيرُ بِرَأْسِهِ ، ويرمز بحاجبه " [٣] ، فـالهمزة " هو الذي يهمز الناس أي يؤذيهم بقوارص الكلم جَهْرة، فيخدش حياءهم، ويمتهن كرامتهم، ليزداد هو علوّا وتطاولا على الناس ، ولتخفّ موازينهم إزاء ميزانه ، فلا يرتفع أمامه رأس، ولا يشمَخ أنف ، و" اللمزة " هو الذي يَنْقُص من أقدار ذوى الأقدار في غير مواجهتهم ؛ إذ كان لا يستطيع أن يلقاهم وجها لوجه. فَيشِيعُ الفاحشةَ فيهم، ويَذيع قالةَ السوء عنهم " [٤]

---

(١) لسان العرب ٥/ ٤٢٦(هـ م ز)

(٢) لطائف الإشارات ٣/٧٦٦

(٣) معالم التنزيل ٥/ ٣٠٣ ، ينظر : جامع البيان ٢٤/ ٦١٦: ٦٢٠

(٤) التفسير القرآني للقرآن ١٦ / ١٦٧١

ويقول الطبري : " وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَمَّ بِالْقَوْلِ كُلَّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ، كُلَّ مَنْ كَانَ بِالصِّفَةِ الَّتِي وَصَفَ هَذَا الْمَوْصُوفَ بِهَا، سَبِيلُهُ سَبِيلُهُ، كَائِنًا مَنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ " [1]

أما عن الغرض الدلالي من الجمع بين (الهُمَزة واللُّمَزة) في هذا الموطن فيرجع إلى أن الكلام هنا عن العقوبة الشديدة لمن يرتكب هذه الأفعال ، فجمع الحق – سبحانه وتعالى – بين اللفظين ، ليشمل جميع أنواع (الهَمْز واللَّمْز) ، وليبين أن عقوبتهما واحدة ، إذ لو اقتصر القرآن الكريم على وصفٍ واحد – الهمز أو اللمز – لظن البعض أن العقوبة لمن يرتكب هذا الوصف – الهمزَ أو اللمز – وأن الوصف الآخر لا يشترك معه في العقوبة ؛ ولذلك جمع القرآن الكريم الوصفين لدفع هذا الظن ، وعلق الشيخ الشعراوي – رحمه الله – على الجمع بين اللفظين بقوله : " والجناس لا يكون جميلاً مؤثراً إلا إذا جاء طبيعياً غير مُتكلَّف ، ومثال ذلك هذا الجناس الناقص في قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [سورة الهمزة الآية: ١]، فقد ورد اللفظ المناسب مُعبّراً عن المعنى المراد دون تكلّف ، فالهُمَزة هو الذي يعيب بالقول ، واللمزة : الذي يعيب بالفعل ، فالقرآن لا يتصيَّد لفظًا ليُحدِث جناساً ، إنما يأتي الجناس فيه طبيعياً يقتضيه المعنى" [2] كما اعترض على تسميته بالنقص ودعا إلى جعله جناس بعض، يعني:

([1]) جامع البيان ٢٤/ ٦١٦: ٦٢٠

([2]) الشعراوي ١٧ /١٠٧٦٩، ١٠٧٧٠

تتفق الكلمتان في كل الحروف أو في بعضها، وبذلك لا نقول في القرآن: جناس ناقص " [١]

٩- (هَنِيٓـًٔا - مَّرِيٓـًٔا)

قال تعالى : ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴾ [سورة النساء من الآية : ٤]

من الآيات التي يظهر فيها الاقتران الدلالي قوله تعالى : " فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا " حيث قرن القرآن الكريم بين (هنيئًا) و(مريئًا) ، مع ما بينهما من التشابه الدلالي، وهذا الاقتران لغرض دلالي، وقبل أن أقف مع هذا الغرض الدلالي أبين دلالة اللفظين في اللغة فأقول : الهنيء في اللغة : " الأمر الذي يأتيك من غير مشقة ولا عناء " [٢]، وفي المقاييس:" الْهَاءُ وَالنُّونُ وَالْهَمْزَةُ: يَدُلُّ عَلَى إِصَابَةِ خَيْرٍ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ... وَالْهَنِيءُ : الْأَمْرُ يَأْتِيكَ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ " [٣] " وَطَعَام هَنِيءٌ: سَائِغ " [٤]،" يُقَالُ: هَنَأَنِي خُبْزُ فُلان أَي كَانَ هَنِيئاً بِغَيْرِ تَعَبٍ وَلَا مَشَقَّةٍ ، وَقَدْ هَنَأَنا اللهُ الطَّعامَ، وَكَانَ طَعاماً اسْتَهْنَأْناه أَي اسْتَمْرَأْناهُ " [٥]، ويقال :" هَنُؤَ الشَّيْءُ ... تَيَسَّرَ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ

---

(١) السابق ، ١٨/ ١١٥٤٠

(٢) مجمل اللغة ١/ ٩١٠ (هـ ن ء) ، شمس العلوم ١٠/ ٦٩٩٣(هـ ن أ)

(٣) مقاييس اللغة ٦/ ٦٨ (هـ ن أ)

(٤) المحكم ٣٦٠/٤، لسان العرب ١٨٥/١(هـ ن أ)، القاموس المحيط ص ٥٧ (هـ ن أ)

(٥) لسان العرب ١٨٤/١ (هـ ن أ)

، وَهَنَأَنِي الطَّعَامُ يَهْنَؤُنِي سَاغَ وَلَذَّ وَأَكَلْتُهُ هَنِيئًا مَرِيئًا أَيْ بِلَا مَشَقَّةٍ " [١]و" هَنِيئًا: هُوَ اسْم فَاعل من هنئ أَو هَنُؤ الطَّعَامُ ... وَهُوَ مَا أَتَاك بِلَا مشقة ، والهنيء: مَا يَلَذُّه الْآكِل، وَمِنْه أَخذ هنيء" [٢]، تقول:" هنأني الطعام أي ساغ لي"[٣]،" وكُلُّ أمْرٍ يأتيك مِنْ غَير تَعَبٍ فَهُوَ هَنِيءٌ" [٤] ، والمَرِيءُ في اللغة : هو ما يسهل هضمه وتُحمد عاقبته ، " وطَعامٌ مَرِئٌ هَنِئٌ : حَمِيدُ المَغَبَّةِ بَيِّنُ المَرْأَةِ " [٥]، " يُقَالُ: مَرَأَني الطعامُ وأَمْرَأَني إِذَا لَمْ يَثْقُل عَلَى المَعِدة وانْحَدَر عَنْهَا طَيِّباً " [٦] " مرِئ الطّعامُ: مرَأ ، سَهُل في الحَلْق وحُمدت عاقبتُه ... مرِئَ الشَّخصُ الطعامَ: استطابه ، ووجده مقبولاً مستساغًا" [٧] " وشيء مريء: أي طيب" [٨] " ومرئ الشَّيْء صَار مريئا: أَي سائغا" [٩]، و" يقال طعام وخيم إذا كان غير مرئ " [١٠]

---

(١) المصباح المنير ٢/ ٦٤١ (هـ ن ن)

(٢) الكليات ص ٩٦٣

(٣) ارتشاف الضرب من لسان العرب ص ٣٩٨

(٤) الصحاح ١/ ٨٤ ، النهاية ٥/ ٢٧٧ ، مختار الصحاح ص٣٢٨ ، لسان العرب ١/١٨٥(هـ ن أ)

(٥) المحكم ١٠ / ٢٩٣ ، لسان العرب ١/ ١٥٥(ر م أ)

(٦) لسان العرب ١/ ١٥٥(م ر أ)

(٧) معجم اللغة العربية المعاصرة ٣/ ٢٠٨٣(م ر أ)

(٨) شمس العلوم ٩/ ٦٢٦٩(م ر أ)

(٩) إكمال الأعلام بتثليث الكلام ٢/ ٦١١

(١٠) القلب والإبدال ص ١٩، الكنز اللغوي في اللَسَن العربي ص ٦٣

يقول الزجاج : " مرأني : تبَينتُ أنه سينهضم وأحمد مغبتهُ ، فإذا قلت أمْرأني الطعام فتأويله أنه قد انهضم وحُمِدَتْ " [1] ، " وَقِيلَ لِمَدْخَلِ الطَّعَامِ مِنَ الْحُلْقُومِ إِلَى فَمِ الْمَعِدَةِ: الْمَرِيءُ لِمُرُوءِ الطَّعَامِ فِيهِ وَهُوَ انْسِيَاغُهُ " [2] ، وقد فرق بينهما العسكري بقوله : " والهنئ: ما لا تعب فيه ، ولا إثم.

والمريء: ما لا داء فيه " [3] ، وجاء في الكليات : " الهنيء: مَا يَلَذُّه الْآكِل ، وَمِنْه أَخْذ هنيء ، والمريء: مَا يحمد عاقبته" [4] ، وَقَالَ كُثَيِّرٌ:

هَنيئاً مَرِيئاً غَيْرَ دَاءٍ مُخَامِرٍ لِعَزَّةَ مِنْ أَعْرَاضِنَا مَا اسْتَحَلَّتِ [5]

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن ذلك من قبيل الإتْباع وهُوَ " أَن تُتْبَعَ الْكَلِمَةُ على وَزنهَا أَو رَوِيّها إشباعا وتوكيدا حَيْثُ لَا يكون الثَّانِي مُسْتَعْملا بِانْفِرَادِهِ فِي كَلَامهم، وَذَلِكَ يكون على وَجْهَيْن: أَحدهمَا: أَن يكون للثَّانِي معنى كَمَا فِي (هَنِيئًا مريئا)" [6]

([1]) معاني القرآن وإعرابه ٢/ ١٢، ١٣

([2]) مفاتيح الغيب ٩/ ٤٩٣

([3]) الفروق اللغوية ٥٦١

([4]) الكليات ص ٩٦٣

([5]) البيت من (الطويل) ، وهو لكثير عزة في : ديوانه ص ٣٤، العين ٤/ ٢٦٣، (خ ر ر م) ومقاييس اللغة ٢/ ٢١٦ ، (خَ مَ رَ) وبلا نسبة في تهذيب اللغة ٧/ ١٦١(خَ رَ م)

([6]) الكليات ص٣٥

" يَقُولُونَ: هنئ مرئ ، وَهُوَ من قَوْلهم: هَنَأَني الطَعامُ ومَرَأَني ، فَإِذا أفردوا لم يَقُولُوا إِلَّا أمرأني، وَلم يَقُولُوا مرأني" (١) ، وقال ابن عاشور : " فَهُوَ تَأْكِيدٌ يُشْبِهُ الِاتِّبَاعَ ، وَقِيلَ: الْهَنِيءُ الَّذِي يَلَذُّهُ الْآكِلُ ، وَالْمَرِيءُ مَا تُحْمَدُ عَاقِبَتُهُ " (٢)

وأرى أن ذلك ليس من قبيل الإتْباع ، بل هي من الآيات التي يبرز فيها أثر السياق في اختيار الألفاظ المتشابهة والتي لا تتضح الدلالة فيها بدونه ، حيث استخدم القرآن الكريم لفظين من الألفاظ المتشابهةِ الدلالةِ للتعبير على حِلِّيَّة المال المأخوذ من الزوجة ، وترجع الحكمة الدلالية من ذكر اللفظين وعدم الاقتصار على أحدهما ، أن الأكل قد يكون هنيئا لذيذا يسعد الإنسان به أثناء تناوله حيث يجد لذة التذوق لكن يصيبه بالضرر والأذى بعد تناوله أي يحدث له سوء هضم أو ألم فتذهب لذة الأكل بل يَكره ما أكل ، حيث يحتاج إلى أدوية لتساعده على هضم الأكل ، ومن ثم ذكر الحق – سبحانه وتعالى – اللفظين ، ليدل على أن الأكل محمود في الحال والمآل .

وأيضًا قد يكون الأكل مريئًا لكنه غير هنيء أي أنه مفيد للصحة ويمد الجسم بالطاقة والقوة لكنه غير مستساغ كما في بعض الأدوية حيث يكون طعمها مرًا لكنها مفيدة ، بل إن لفظ (مريئًا) يضيف دلالة أخرى ، فالأكل مع كونه هنيئًا لذيذًا لا يضر ولا يُتْعِب ، إلا أنه أيضًا مفيدٌ للإنسان حيث

---

(١) الإتباع لأبي علي القالي ص ٧٢ ، الصحاح ١/ ٧٢ (مرأ) ، المحكم ١٠/ ٢٩٤ (ر م أ)، النهاية ٤/ ٣١٣ ، لسان العرب ١/ ١٥٥ (فصل الميم)

(٢) التحرير والتنوير ٢٣٢/٤

يسري في عروقه حاملًا كل مفيد ، بل إنه يصير شفاء له٠" فَكُلُوهُ دَوَاءً شَافِيًا، يُقَالُ مِنْهُ: هَنَأَنِي الطَّعَامُ وَمَرَأَنِي: أَيْ صَارَ لِي دَوَاءً وِعِلَاجًا شَافِيًا"[١]

كما أن سياق الآية يستدعي هذين الوصفين حيث سبقهما الطيب (فَإِن طِبْنَ) فورد هذان الوصفان كنتيجةٍ ؛ لأن الأكل لا يكون هنيئًا مريئًا إلا إذا كان طيبًا في ذاته وخاليًا عن تعلق حق الغير به ، بالإضافة إلى أن البعض قد يجد في نفسه شيئًا مما أخذه الزوج من امرأته فيتعفف ، فجاء الحق – سبحانه وتعالى – بهذين الوصفين لمنع هذا الوهم وأنه خالٍ من أي ضرر أو حرمة فـ " المراد: أنه لا تَبِعَةَ ولا عقاب عليه: أي حلالاً طيباً " [٢]

والسر الدلالي في ذكر الهناءة **أولًا أنها المرحلة الأولى** التي تكون أثناء الطعام حيث يستلذ الإنسان بالأكل أثناء التذوق ويحس بطعم الأكل ، ثم يعقب ذلك **مرحلة المَرْءِ** حيث يسري الطعام في أثناء الهضم سَلِسًا منسابًا دون إحداث أي ضرر، مفيدًا غير ضار٠

فكلوه طيبًا سائغًا لا جَوْر فيه ولا ظلم ولا تعديَ ولا مشقة ، أي أنه خالٍ من التعب والمشقة الصحية ، كما أنه خال من الظلم والجَوْر، فلا يعقبه دواء أو إثم ، ولذلك دعا الرسول – صلى الله عليه وسلم – الله – سبحانه وتعالى – أن يرزقهم مطرًا مريئًا فقال صلى الله عليه وسلم :" " اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا ، مَرِيئًا مَرِيعًا ، عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ ، نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ، فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمُ

---

(١) جامع البيان ٦/ ٣٨٥

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ٢/ ٧٥٠

السَّمَاءُ " [١]" يُقَالُ : مَرَأَني الطعامُ ، وأَمْرَأَني ، إِذَا لَمْ يَثْقُل عَلَى المَعِدَة ، وانحَدر عَنْهَا طَيِّباً " [٢]

ومما يؤكد أن السياق يستدعي اقتران هذين الوصفين : أن لفظ (هنيئًا) ورد في القرآن الكريم أربع مرات كلهن مع الطعام والشراب ، ولم تأت كلمة (مريئًا) مع هنيئًا إلا مرة واحدة ، والناظر في هذه الآيات يجد أن المَوَاطِنَ الثلاثة الأخرى التي لم تأت معها كلمة (مريئًا) تتحدث عن طعام وشراب الآخرة وليس الدنيا ، وفي الجنة لا يوجد إخراج فالإنسان يأكل ويستلذ بالطعام ولا يحتاج إلى تصريف الطعام ، ومن ثَمَّ لم تأت كلمة (مريئًا) ، لأن السياق لا يستدعيها، بينما الموضع الوحيد الذي جاء فيه لفظ (مريئًا) مع (هنيئًا) مقترنين كان في طعام الدنيا التي لا يهنأ الإنسان به إلا إذا مَرِيء بعد الأكل ، ومن ثم جاء لفظ (مريئًا) ، " الْمَعْنَى أَنَّهُنَّ إِذَا وَهَبْنَ مُهُورَهُنَّ مِنْ أَزْوَاجِهِنَّ عَنْ طِيبَةِ النَّفْسِ لَمْ يَكُنْ عَلَى الْأَزْوَاجِ فِي ذَلِكَ تَبِعَةٌ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَبِالْجُمْلَةِ : فَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ التَّحْلِيلِ، وَالْمُبَالَغَةِ فِي الْإِبَاحَةِ وَإِزَالَةِ التَّبِعَةِ " [٣]

---

(١) الحديث في المستدرك على الصحيحين للحاكم ١/ ٤٦٧ ، حديث رقم (١٢٢٢) ، كِتَابُ الِاسْتِسْقَاءِ

(٢) النهاية ٤/ ٣١٣ (م ر أ)

(٣) مفاتيح الغيب ٩/ ٤٩٣

١٠ – (يَئُوس – قَنُوط)

قال تعالى : ﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴾[سورة فصلت الآية : ٤٩]

وصف الله – عز وجل – الإنسان في القرآن الكريم بوصفين ، الوصف الأول : اليأس ، الوصف الثاني : القُنُوط ، وقد ورد كل منهما منفردًا عن الآخر ، كما ورد الوصفان متعاقبان في آية واحدة في كتاب الله ٠

وبالرجوع إلى أقوال اللغويين والمفسرين في دلالة اللفظين اتضح ما يلي:

أولاً : اتفقوا على أن المعنى المحوري العام لهما واحد ؛ " لأن اليأس هو القَنْط ، والقنوط : أن يظهر أثر اليأس فيتضاءل وينكسر" [١] وفي الكليات : " كل يأس فِي الْقُرْآن فَهُوَ قنوط إِلَّا الَّتِي فِي الرَّعْد قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[سورة الرعد من الآية : ٣١] فَإِنَّهَا بِمَعْنى الْعلم ٠[٢]

فـ " اليَـأْسُ : القُنُـوطُ ، وَهُـوَ ضِـدُّ الرَّجـاءِ. أَو هُـوَ قَطْـعُ الأَمَـلِ عَـن الشَّـيْءِ"[٣]، وقيـل : القُنُـوط : اليـأْس مِـنَ الْخَيْـرِ، وَقِيـلَ: أَشـدّ اليـأْس مِـنَ

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ١٨٨/٥ ، ينظر : مفاتيح الغيب ٢٧/ ٥٧٢ ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٥/ ٧٤

(٢) الكليات ٩٧٨ (يأس) ، ينظر : جامع البيان ١٣ / ٥٣٥ ، ٥٣٦

(٣) تاج العروس ١٧/ ٤٩ (ي أ س)

الشَّيْءِ[١] ، قال ابن فارس : " قَنَطَ الْقَافُ وَالنُّونُ وَالطَّاءُ كَلِمَةٌ صَحِيحَةٌ تَدُلُّ عَلَى الْيَأْسِ مِنَ الشَّيْءِ" [٢]

ثانياً : ذهبوا إلى أن لكل لفظ دلالتَه الخاصة ، ولكن اختلفوا في تحديد تلك الدلالة ، فقيل :" اليأس: انقطاع الطمع من الشيء، والقنوط : أخص منه، فهو أشد اليأس" [٣]

وقيل : " الْيَأْسِ مِنْ صِفَةِ الْقَلْبِ ، وَالْقُنُوطُ أَنْ يَظْهَرَ آثَارُ الْيَأْسِ فِي الْوَجْهِ وَالْأَحْوَالِ الظَّاهِرَةِ " [٤]،" فَيَتَضَاءَلُ وَيَنْكَسِرُ ، أي: يقطع الرجاء من فضل الله " [٥] وقال ابن عاشور : " وَالْيَأْسُ فِعْلٌ قَلْبِيٌّ هُوَ: اعْتِقَاد عدم حُصُوله الميئوسَ مِنْهُ ، وَالْقُنُوطُ : انْفِعَالٌ يُدْنِي مِنْ أَثَرِ الْيَأْسِ وَهُوَ انْكِسَارٌ وَتَضَاؤُلٌ " [٦]

في حين ذهب البعض إلى أن اليأس يكون من رَوْح الله ، أما القنوط فيكون من رحمة الله تعالى [٧]

---

(١) تهذيب اللغة ٢٥/٩ (ق ط ن) ، المفردات في غريب القرآن ص ٦٨٥ ، اللسان ٧/ ٣٨٦(ق ن ط)

(٢) مقاييس اللغة ٥/ ٣٢ (ق ن ط)

(٣) الفروق اللغوية ص ٤٣٦ ، مؤسسة النشر الإسلامي

(٤) مفاتيح الغيب ٢٧/ ٥٧٢

(٥) الكشاف ٤/ ٢٠٥

(٦) التحرير والتنوير ١٠/٢٥

(٧) معالم التنزيل في تفسير القرآن ٤/ ١٣٦ ، لباب التأويل في معاني التنزيل ٤/ ٩١

مستأنسين لذلك بأن اليأس ورد مضافا لروح الله ، والقنوط مضافا للرحمة " **قال تعالى : ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ ﴾ [سورة يوسف من الآية : ٨٧]** يعني من رحمة الله ، وقيل : من فرج الله [١]

وقال تعالى : ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [سورة الحجر الآية : ٥٦] أي " وَمَنْ يَيْأَسُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ " [٢]

وقيل: " فَيَؤُوسٌ من الخير قَنُوطٌ من الرحمة ، أي: لا يرجو زواله لعدم علمه بربه، وانسداد الطريق على قلبه في الرجوع إلى ربه " [٣] ، " وَقِيلَ: يؤوس مِنْ إِجَابَةِ دُعَائِهِ قَنُوطٌ بِسُوءِ الظَّنِّ بِرَبِّهِ ، وقيل: يؤوس مِنْ زَوَالِ مَا بِهِ مِنَ الْمَكْرُوهِ ، قَنُوطٌ بِمَا يَحْصُلُ لَهُ مِنْ ظَنِّ دَوَامِهِ، وَهُمَا صِيغَتَا مُبَالَغَةٍ يَدُلَّانِ عَلَى أَنَّهُ شَدِيدُ الْيَأْسِ عَظِيمُ الْقُنُوطِ " [٤]

أما عن النكتة الدلالية في ذكر اللفظين وعدمِ الاقتصار على أحدهما ، فيرجع إلى : أن السياق لبيان حالة الإنسان أثناء مس الضرر حيث يصاب الإنسان بالهلع والخوف والحزن ، ويأس من دفع الشر الذي نزل به فينعكس

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ٢/ ٣٤٨ ، النكت والعيون ٣/ ٧٢

(٢) جامع البيان ١٤ /٨٥

(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ١٨٨/٥

(٤) فتح القدير ٤/ ٥٩٨

ذلك على صحته فيقنط من رحمة الله ، فدلل لنا القرآن الكريم عن حاله من الداخل والخارج أي أن انعدام الأمل أصبح متمكنا منه داخلياً وخارجياً ، والقُنوط الخارجي دليل على اليأس الداخلي ، وإنما قدَّم اليأس على القنوط ؛ لأنه سببه فاليأس سبب للقنوط والقنوط نتيجة لليأس فقدم السبب على المسَبَّب ، أي أن الإنسان يصاب باليأس ثم يتحول اليأس الداخلي إلى قنوط خارجي ، والعلم الحديث يثبت أن الأمراض النفسية التي تصيب الإنسان كالاكتئاب تؤثر على صحته العضوية الظاهرة وربما تؤدي إلى الوفاة ، يقول أبو حيان : " وَبَدَأَ بِصِيغَةِ الْقَلْبِ لِأَنَّهَا هِيَ الْمُؤَثِّرَةُ فِيمَا يَظْهَرُ عَلَى الصُّورَةِ مِنَ الِانْكِسَارِ" [1] ، أيضًا اليأس والقنوط جاءا مع الشر ، وفي حالة وقوع الشر يقع في نفس الإنسان أنه السبب وما حدث ناتج عن تصرفه وتقصيره في جنب الله وأن ذلك عقاب من الله ، وهنا يفقد الأمل ويصاب باليأس والقنوط ، أيضًا المشاكلة الدلالية حيث بيَّن الحق عز وجل أن الإنسان لا يفقد الأمل ولا يمل من طلب الخير والاستزادة منه في حالة الخير ، على النقيض تماما في حالة الشر حيث يفقد الأمل ويصاب باليأس والقنوط.

وأرى – والله أعلم – أن اليأس أقل من القنوط في القوة ، فاليأس درجة من درجات القنوط ، والقنوط أقوي وأكبر لأنه " عبارة عن يأس مفرط يظهر أثره في الشخص فيتضاءل وينكسر" [2] ، واليأس يكون عندما لا يكون الأمر متعلقا بنفس الشخص أو ذا أهمية له ، ومن ثم نجد أن يعقوب عليه السلام خاطب أولاده بعدم اليأس ؛ لأن الأمر لا يؤثر فيهم ولم تظهر عليهم

([1]) البحر المحيط ٩/ ٣١٥

([2]) روح البيان ٨/ ٢٧٨

آثار اليأس التي هي القنوط ، قال تعالى : " ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [سورة يوسف الآية : ٨٧]

كذلك في محاولة إخْوة يوسف استئذانَ الملك في أخذ أخي يوسف عبر القرآن الكريم عن حالهم بقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ ﴾ [سورة يوسف من الآية : ٨٠] " يَئِسوا من يوسف وإجابته إياهم " [١]، والقنوط عندما يكون الأمر مستبعدا من حيث الأخذُ بالأسباب ، والواقعُ يؤكد الاستبعاد كما حدث مع سيدنا إبراهيم – عليه السلام – عندما بشرته الملائكة بغلام استبعد حدوث الفعل ؛ لأن الكِبَر يمنع حدوث ذلك ، ولذلك عبر القرآن الكريم عن حديثه بأنه حديث القانطين ، ومن ثم نفى سيدنا إبراهيم عن نفسه القنوط قال تعالى : ﴿ قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [سورة الحجر الآيتان : ٥٥، ٥٦] الآيسون [٢]

([١]) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣/ ١٧٣

([٢]) تفسير القرآن العزيز ٢/ ٣٨٧

نتائج البحث

بعد هذه الرحلة الطيبة المباركة لبعض آيات الكتاب الكريم التي اقترنت فيها بعض المفردات المتشابهة دلاليا اتضح أن :

- اقتران المفردات المتشابهة من أوجه إعجاز القرآن الكريم .
- الإعجاز الدلالي في القرآن الكريم لا يتوقف على حسن اختيار المفردة بل يمتد ليشمل تركيب المفردات عامة ، والمفرداتِ المتشابهة دلاليا خاصة.
- اقتران المفردات المتشابهة يعطي دلالات إضافية لا تؤديها المفردة الواحدة .
- بعض المفردات تقوم مقام بعضها البعض في الكلام العام ، أما في القرآن الكريم فكل مفردة لها معنى خاص بها لا تقوم مفردة أخرى مكانها .
- الدلالة الخاصة للمفردة هي المرادة عند الاقتران بين المفردات المتشابهة دلاليا.
- السياق له أثر كبير في تحديد الدلالة المرادة من المفردتين عند الاقتران.
- من أسرار الإعجاز الدلالي في القرآن الكريم ترابط جميع المدلولات داخل السياق.
- السياق الدلالي للآية الكريمة لا يتم إلا بالمفردتين معاً .
- التقديم والتأخير بين المفردات له تأثير كبير في الدلالة .

- السياق الدلالي له أثر كبير في التقديم والتأخير بين المفردات المتشابهة دلاليا.
- الرسول ﷺ أول من أشار إلى قضية الاقتران ، والجمعِ بين الألفاظ المتشابهة .
- ألفاظ الاقتران متعددة ومتنوعة وشملت كل مناحي الحياة.
- بعض المفردات المقترنة تكرر اقترانها بينما بعضها اقترن مرة واحدة.
- اشتمل الاقتران على بعض الفرائد القرآنية.
- بعض المفردات المقترنة وردت في سياقات أخرى مفردة.
- الاقتران بين المفردات المتشابهة ورد في الأسماء والأفعال.
- كل كلمة في القرآن الكريم مقصودة لذاتها دلاليا سواء كانت مفردة أم مركبة.
- ليس في القرآن الكريم ألفاظ مكررة المعنى.

- المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١) الإتْباع ، لأبي علي القالي، (ت : ٣٥٦هـ) ، تح : كمال مصطفى ، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهر / مصر

٢) الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي (ت : ٩١١هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م

٣) أحكام القرآن لابن العربي (ت : ٥٤٣هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط٣، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م

٤) ارتشاف الضرب من لسان العرب ، أبو حيان الأندلسي (ت : ٧٤٥ هـ) الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط١، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م

٥) أساس البلاغة للزمخشري جارِ الله (ت : ٥٣٨هـ) دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨

٦) أسرار البيان في التعبير القرآني تأليف : د. فاضل صالح السامرائي

٧) أسرار التكرار في القرآن للكِرْماني ، دار الاعتصام – ط٢، ١٣٩٦

٨) إسفار الفصيح ، الهروي (ت : ٤٣٣هـ) الجامعة الإسلامية – المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ

٩) الأشباه والنظائر للسيوطي (ت: ٩١١هـ) دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م

١٠) الأضداد لابن الأنباري (ت : ٣٢٨هـ) المكتبة العصرية، عام النشر: ١٤٠٧هـ–١٩٨٧ م

١١) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، عائشة عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (ت: ١٤١٩هـ) ، الناشر: دار المعارف ، ط٣

١٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، البيضاوي (ت : ٦٨٥هـ) ، الناشر: دار إحياء التراث ط١: – ١٤١٨ هـ

١٣) الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ، مكي بن أبي طالب ، طبعة ، دار المنارة ، ط١ ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م

١٤) بحر العلوم ، السمرقندي ، دار النشر: دار الفكر – بيروت

١٥) البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان الأندلسي (ت : ٧٤٥هـ) ، الناشر: دار الفكر – بيروت ، الطبعة: ١٤٢٠ هـ

١٦) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، أبو العباس الفاسي (ت: ١٢٢٤هـ) الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة ، ط ١٤١٩هـ

١٧) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) ، ط١، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م الناشر: دار إحياء الكتب العربية

١٨) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، الفيروزآبادى (ت : ٨١٧هـ) الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

١٩) تاج العروس من جواهر القاموس ، الزَّبيدي (ت : ١٢٠٥هـ) ، المحقق: مجموعة من المحققين ، الناشر: دار الهداية

٢٠) التبيان في تفسير غريب القرآن، ابن الهائم (ت: ٨١٥هـ) الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت ، ط١ – ١٤٢٣ هـ

٢١) التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ مـ

٢٢) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، أبو حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ) ،الناشر: المكتب الإسلامي ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م

٢٣) تذكِرة الأريب في تفسير الغريب ، ابن الجوزي (ت:٥٩٧هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م

٢٤) التعريفات الفقهية ، المؤلف: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي ، الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م
٢٥) تفسير ابن عرفة ، (ت : ٨٠٣هـ) ، تح : جلال الأسيوطي ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط١، ٢٠٠٨ م
٢٦) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (ت: ٩٨٢هـ) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت
٢٧) تفسير الإمام الشافعي ، (ت: ٢٠٤هـ) ، الناشر: دار التدمرية – المملكة العربية السعودية، ط١: ١٤٢٧ - ٢٠٠٦م
٢٨) تفسير التُسْتُري ، أبو محمد التُستري (ت : ٢٨٣هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ١٤٢٣ هـ
٢٩) تفسير الثوري ، (ت : ١٦١هـ) ، ط١، الناشر : دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ ١٩٨٣ م
٣٠) تفسير الراغب الأصفهاني ، أبو الأصفهانى (ت : ٥٠٢هـ)
٣١) تفسير القرآن ، أبو المُظَفَّر الشافعي (ت : ٤٨٩هـ) ، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية ، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م
٣٢) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، محمد رشيد بن علي رضا (ت : ١٣٥٤هـ) ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة النشر: ١٩٩٠م
٣٣) تفسير الشعراوي : محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) ، الناشر: دار الغد العربي ، ط أخبار اليوم
٣٤) التفسير القرآني للقرآن ، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة
٣٥) تفسير القرآن الكريم (ابن القيم) ، ابن قَيِّم الجَوْزِيَّةِ (ت : ٧٥١هـ) ، الناشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت ، ط١ - ١٤١٠ هـ

٣٦) تفسير عبد الرزاق ، عبد الرزاق الصَنعاني (ت: ٢١١هـ) الناشر: دار الكتب العلمية ، ط١ سنة ١٤١٩هـ

٣٧) تفسير غريب ما فى الصحيحين ، محمد بن أبي نصر الأَزْدِي الحُمَيْدي، دار النشر: مكتبة السنة – القاهرة ١٤١٥ – ١٩٩٥

٣٨) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ط١ (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م)

٣٩) تفسير مجاهد ، (ت : ١٠٤هـ) ، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط١، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م

٤٠) تفسير مقاتل بن سليمان البَلْخِى (ت : ١٥٠هـ) ، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت ، ط١ – ١٤٢٣ هـ

٤١) التَّلخِيص في مَعرفَةِ أسمَاءِ الأشياء ، أبو هلال العسكري (ت : نحو ٣٩٥هـ) ، الناشر: دار طلاس ، دمشق ، ط٢ ، ١٩٩٦ م

٤٢) تهذيب اللغة ، الأزهري (ت: ٣٧٠هـ) ، تح: محمد عوض ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط١، ٢٠٠١م

٤٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر الطبري (ت : ٣١٠هـ) ، الناشر: دار هَجَر للطباعة والنشر ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م

٤٤) الجامع المُسْند الصحيح ، أبو عبدالله البخاري، تح : محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة ط١، ١٤٢٢هـ

٤٥) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (ت: ٦٧١هـ) ، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ، ط٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م

٤٦) جمهرة اللغة ، ابن دريد (ت : ٣٢١هـ) ، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م

٤٧) الجيم ، أبو عمرو الشَّيْباني بالولاء (تح : ٢٠٦هـ) ، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة
٤٨) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، السمين الحلبي (ت : ٧٥٦هـ) ، الناشر: دار القلم، دمشق
٤٩) دراسات في فقه اللغة ، د. صبحي إبراهيم الصالح (ت: ١٤٠٧هـ) الناشر: دار العلم للملايين ، ط١ ، ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م
٥٠) دلالة الألفاظ د/ إبراهيم أنيس ، ١٩٩٧ م ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية
٥١) الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم ، محمد جعفر مُحَيْسِن العارضي ، كلية الآداب جامعة القادسية ، ١٤٢٣ هـ ... ٢٠٠٢ م
٥٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم ، الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١، ١٤١٥ هـ
٥٣) الرَّوضُ الأُنُف في شرح غريب السِّيَر، المؤلف : عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت ٥٨١)
٥٤) زاد المَسِير في علم التفسير ، جمال الدين الجوزي (ت : ٥٩٧هـ) ، الناشر: دار الكتاب العربي– ط١ – ١٤٢٢هـ
٥٥) شرح الطِّيبي على مشكاة المصابيح (٧٤٣هـ) ، الناشر: مكتبة نزار ، مصطفى الباز ، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م
٥٦) شرح المُفَصَّل للزمخشري ، ابن يعيش (ت : ٦٤٣هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م
٥٧) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكُلُوم ، نشوان الحميرى (ت : ٥٧٣هـ) ، الناشر: دار الفكر المعاصر بيروت ، ط١

٥٨) الصاحبي في فقه اللغة العربية ، ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ) الناشر: محمد علي بيضون ، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م

٥٩) الصحاح – تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري ، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت ط٤ ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م

٦٠) صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر – القاهرة ، ط١ ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م

٦١) العُباب الزاخر واللباب الفاخر ، رَضِيُّ الدين الحسن القرشي الصَّغَاني الحنفي (ت: ٦٥٠هـ)

٦٢) علم الدلالة ، د/ أحمد مختار عمر ، ط ٣ ، ١٩٩١ م

٦٣) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي ، منقور عبد الجليل

٦٤) غرائب التفسير وعجائب التأويل ، الكِرْماني (ت : نحو ٥٠٥هـ) ، دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية – بيروت

٦٥) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، النَّيسَابوري (ت: ٨٥٠هـ) ، دار الكتب العلميه – بيروت ط١- ١٤١٦ هـ

٦٦) غريب الحديث ، الخطَّابي ، الناشر : جامعة أم القرى – مكة المكرمة ، ١٤٠٢ ، تح : عبد الكريم إبراهيم العزباوي

٦٧) الغريبين في القرآن والحديث ، الهروي (ت: ٤٠١ هـ) ، الناشر: مكتبة نزار مصطفى – السعودية ط١ ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م

٦٨) فتح القدير ، الشَّوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت ط١ – ١٤١٤هـ

٦٩) فقه اللغة وسر العربية ، الثعالبي (ت : ٤٢٩هـ) ، الناشر: إحياء التراث العربي ، ط١ ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م

٧٠) في اللهجات العربية ، د٠إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو، ط٩ ١٩٩٥م

٧١) الكتاب ، لسيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ) ، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة ط٣ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م تح : عبد السلام هارون

٧٢) كتاب الأفعال لابن القُوطِيَّة ، (ت: ٣٦٧ هـ) ، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط٢، ١٩٩٣ م

٧٣) كتاب التعريفات ، الجرجاني (ت: ٨١٦هـ) ، الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية ، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

٧٤) كتاب العين ، الخليل بن أحمد(ت: ١٧٠هـ) تح د /مهدي المخزومي ، د / إبراهيم السامرائي ، الناشر: دار ومكتبة الهلال

٧٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، الزمخشري (ت : ٥٣٨هـ) ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣ – ١٤٠٧ هـ

٧٦) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ) ، دار إحياء التراث العربي، ط١ ، ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م

٧٧) الكليات ، أبو البقاء (ت: ١٠٩٤هـ) ، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت

٧٨) الكَنْز اللغوي في الَّسَن العربي ، المؤلف: ابن السكيت (المتوفى: ٢٤٤هـ) ، الناشر: مكتبة المتنبي – القاهرة

٧٩) لباب التأويل في معاني التنزيل ، الخازن (ت: ٧٤١هـ)،الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت،ط١–١٤١٥ هـ

٨٠) اللباب في علوم الكتاب ، ابن عادل (ت : ٧٧٥هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ط١، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م

٨١) لسان العرب ، ابن منظور (ت : ٧١١هـ) ، الناشر: دار صادر – بيروت ، الطبعة ، الثالثة – ١٤١٤ هـ

٨٢) لطائف الإشارات، القُشَيْرِي (ت : ٤٦٥هـ) ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر ، الطبعة: الثالثة

٨٣) لمسات بيانية لسور القرآن الكريم ، الدكتور فاضل صالح السامرائي

٨٤) مجاز القرآن ، أبو عبيدة مَعْمَر بن المُثَنى (ت : ٢٠٩هـ) الناشر: مكتبة الخانجى– القاهرة ، الطبعة: ١٣٨١ هـ

٨٥) المجموع المُغِيث في غريبي القرآن والحديث ، الأصبهاني (ت: ٥٨١هـ) ، الناشر: جامعة أم القرى ، الملكة العربية السعودية ، ط١

٨٦) محاسن التأويل ، القاسمي (ت : ١٣٣٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت ط١ – ١٤١٨ هـ

٨٧) المُحَرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية – ١٤١٣هـ . ١٩٩٣م ، ط١

٨٨) المُحْكَم والمحيط الأعظم ، ابن سِيدَه(ت: ٤٥٨هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م

٨٩) مختار الصِّحَاح ، الرازي (ت : ٦٦٦هـ)، الناشر: المكتبة العصرية – بيروت –، ط٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م

٩٠) المُخَصَّص ، ابن سيده (ت : ٤٥٨هـ) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م

٩١) مدخل إلى علم اللغة ، الدكتور / محمود فهمي حجازي ، ط ٢ ١٩٨٥ / ١٩٨٦ ، دار الثقافة للنشر والتوزيع

٩٢) مِرْقاة المفاتيح شرح مِشْكاة المصابيح ، الهَرَوي(ت: ١٠١٤هـ) ، الناشر: دار الفكر، بيروت – ط١ ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م

٩٣) المُزهِر في علوم ،السيوطي (ت: ٩١١هـ) ،الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ ١٤١٨هـ١٩٩٨م

٩٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، (ت: ٢٤١هـ) ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

٩٥) مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، القاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ)، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث٠

٩٦) مُشْكِل إعراب القرآن ، مَكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ) ، ،الناشر: مؤسسة الرسالة –ط٢ ، ١٤٠٥

٩٧) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، الفيومي (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) ، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت

٩٨) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البَغَوي ، (ت : ٥١٠هـ) ، الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ

٩٩) معاني القرآن ، الفَرَّاء (ت : ٢٠٧هـ) ، الناشر: الدار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط١

١٠٠)معاني القرآن وإعرابه ، الزَّجْاجْ (ت: ٣١١هـ) ، الناشر: عالم الكتب ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

١٠١)مُعْتَرَكُ الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي (ت : ٩١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت ط١ ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

١٠٢)المعجم الاشتقاقي المُؤَصَّل لألفاظ القرآن الكريم ، المؤلف: د. محمد حسن جبل ، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة ، ط١، ٢٠١٠ م.

١٠٣)معجم الفروق اللغوية ، العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ) مؤسسة النشر الإسلامي ، ط١ ، ١٤١٢هـ

١٠٤) معجم اللغة العربية المعاصرة ، د أحمد مختار عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) ، الناشر: عالم الكتب ، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

١٠٥) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار ، دار النشر : دار الدعوة ،

١٠٦) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الرازي (ت: ٦٠٦هـ) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط٣ - ١٤٢٠ هـ

١٠٧) المفردات في غريب القرآن ، الأصفهانى (ت : ٥٠٢هـ) ، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – ط١- ١٤١٢ هـ

١٠٨) مقاييس اللغة ، ابن فارس، الناشر : دار الفكر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٠٩) المُنْتَخب من غريب كلام العرب ، «كراع النمل» (ت : بعد ٣٠٩هـ)، ، الناشر: جامعة أم القرى ، ط١ ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

١١٠) الموسوعة القرآنية ، المؤلف: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى: ١٤١٤هـ) ، الناشر: مؤسسة سجل العرب ، الطبعة: ١٤٠٥ هـ

١١١) نتائج الْفِكَر في النَّحو للسُّهَيلي ، (ت: ٥٨١هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى: ١٤١٢ - ١٩٩٢ م

١١٢) نَظْم الدُّرَر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي (ت : ٨٨٥هـ) ، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة

١١٣) النكت والعيون للماوَرْدِي (ت : ٤٥٠هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية

١١٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (ت : ٦٠٦هـ) ، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

١١٥) الهداية إلى بلوغ النهاية ، مكي بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ) ، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨ م

١١٦) الوجوه والنظائر ، لأبي هلال العسكري (ت : نحو ٣٩٥هـ) الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، ط١، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م

١١٧) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ،النَّيْسَابُوري، (ت: ٤٦٨هـ) ، الناشر: الدار الشامية – دمشق، بيروت ، ط١، ١٤١٥ هـ

مجلة التراث العربي من العدد ٠١ إلى العدد ١١٠ ، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكُتَّاب العرب

فهرس الموضوعات

الموضوع
المقدمة
القسم الأول – الدراسة النظرية
أولًا : تعريف الاقتران في اللغة والاصطلاح٠
ثانيًا : الاقتران الدلالي عند الرسول ﷺ :
ثالثًا : الاقتران وأثره في إكساب دلالات جديدة٠
رابعًا : أثر السياق في الكشف عن الدلالات الخاصة ٠
خامسًا : القواعد اللغوية وأثرها في ترجيح الدلالة الخاصة
القسم الثاني – الدراسة التطبيقية للاقتران الدلالي في القرآن الكريم
الفصل الأول : الألفاظ المقترنة بالعطف٠
(أثاثًا – متاعًا)
(إلًّا – ذِمَّةً)
(البأساء – الضراء)
(بَثِّي – وحُزْني)
(بَخْسًا – رَهَقًا)
(تَبْدِيلاً - تَحْوِيلا)
(تخاف – تَخْشَى)
(خطيئة – إثمًا)
(دعاء – نداء)
(شِرْعة – ومنهاجا)
(ظُلمًا – هَضْمًا)
(ٱلْعَدَاوَة - وَٱلْبَغْضَآءَ)
(ٱسْتَغْفِرُوا - تُوبُوٓا)

(الفحشاء – المنكر)
(أَكْمَلْت – أَتْمَمْت)
(لَعِب – لَهْو)
(نصيب – كِفْل)
(نَصَب – لُغُوب)
(نعمة – فضل)
الهُدَى – دين الحق)
الفصل الثاني : الألفاظ المقترنة بغير العطف
(حلالًا طَيِّبًا)
(سنة – عام)
(ضَيِّقًا – حرجًا)
(غَضْبانَ – أسِفا)
(فِجاجًا – سُبُلًا)
فظاً – غليظاً)
(قَاعًا –صَفْصَفًا)
(هُمزَة – لُمَزة)
(هَنِيَئًا – مَّرِيَئًا)
(يَئوس – قَنُوط)
نتائج البحث
المصادر والمراجع
فهرس الموضوعات